من الكتاب

قضى المؤلف اثنى عشر عاما فى سجون وليمانات ومعتقلات المملكة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة • وبعد خروجه ظل سنوات اخرى يتامل بعض احداث جيله ••• وفى لحظة صدق مع نفسه سجل هذه التجربة الغنية •

ان رحلة المؤلف فى سجون مصر كما سجلها فى هذا الكتاب لم تكن رحلة حقد على احد •• ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجانين •• لان السجانين ببساطة مذهلة يموتون فى اللحظة التى يقبلون فيها هذا العمل •

ان رحلة هذا الكتاب تؤكد ان سؤال الانسان عن حقه فى الحب امر طبيعى •• وان فهم الانسان لظروف مجتمعه امر عادى جدا حتى وان كان غال الثمن •

والكتاب قد يبدو فى ظاهره مجرد رحلة فى السجون السياسية •• لكنه فى اعماقه رحلة انسان يبحث عن حقه الطبيعى فى الحرية والحب • انه رحلة الاصرار على الحق التى تجعل العذاب الذى يفرضه السجان هو طاقة جديدة ينير بها الانسان ايام المستقبل •

حاول ان تفهم حقك فى حب الحياة والناس بان تقرا هذا الكتاب اكثر من مرة •

الناشر





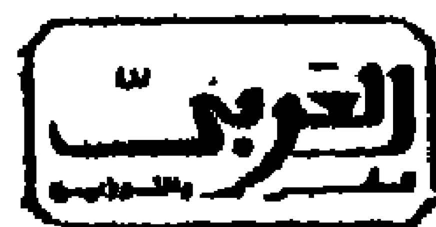
رسائل سجين سياسى
لى حبيبته

العربي

مصطفى طيبة

رسائل سجين سياسى
إلى حبيبته

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلى
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

إليكِ

حبيبتى

هل تذكرين حديثك التليفونى معى فى اول يناير عام ١٩٦٥ ؟
انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد ٠

- الاستاذ ٠٠٠٠٠
- انا هو ٠
- متى خرجت من السجن ؟
- **٤ ابريل ١٩٦٤**
- كم سنة مكثت فى السجن ؟
- **١٢ سنة**
- سجن أو اعتقال
- **١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال**
- ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟ ٠
- من انت ؟
- صديقة ٠
- ما اسمك ؟
- وهل يهمك اسمى ؟
- ما دمت صديقة كما تقولين فيهمنى ان اعرف اسمك ٠
- وهل تعرف اسم كل صديقاتك وأصدقائك ؟
- أظن ذلك والا أكون قد فقدت ذاكرتى ٠
- تواضع هذا ؟
- واين التواضع هنا ؟
- انت فارس الاربعينات ٠

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل أحداث الأربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية ٠

- لماذا توقف ارسالك ؟

وبدت رنة الغضب فى نبرات صوتى ٠

- هل تسخرين منى ؟

ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الأسف والاعتذار

- عفوا « آسفة » كنت امزح معك ٠

واستمرت رنة الغضب فى صوتى ٠

- هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا؟

وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية ٠

- كلا ، كلا

ـ ابدا • ابدا • ولكن لنــا بعض الملاحظات • ومن واجبكم ان تسمعوها •
ـ هل هى ملاحظـات او أحكـام مسبقـة ؟
« ولم تردى الا بعد ثوان ـ ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
ـ معك حق هنـاك فـرق بين ملاحظات قـد تكون سليمة وقـد تكـون خاطئة ومن الضرورى أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة •
« ومـرت لحظة عادت ذاكرتى خلالها الى الوراء •• الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع فى الستينات •• ثـم جـاء صوتك يحمل رنة الصدق »
ـ أرجو ان لا أكون قـد لست جانبـا مـن مسيرتكم يثيـر حساسية خاصـة عندكم •
ـ أبـدا • أبـدا • من رأيى أن هـذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفـوه يا جيـل السنينات •
ـ ولماذا لا تكتبيــه ؟
ـ اخشى أن لا التزم بالموضوعية التــامة •
ـ حـــاول •
ـ حاولت مـرات وفشلت •
ـ ولمـاذا ؟
ـ لاننى فـرد ، جـزء من ظاهرة كبيـرة ومعقـدة •
ـ لكنك لست مجـرد فـرد •• كنت أحد البارزين من قادة المسيرة •
ـ هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عنـد محاولتى الكتابة فى هـذا الموضوع •
ـ مـا العمل اذن ؟
ـ اكتبى انت :
ـ وهل أملك قـدرة الكتــابة فى مثل هذا الموضوع ؟
ـ نعم تملكين •
« وجـاء صوتك يحمل الدهشـــة كل الدهشة »
ـ انا لا املك الا خبرة صغيــرة •
ـ الا تملكين الايمــان بالشعب ؟
ـ كل الايمان • ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره •
ـ ابحثى عنهـا وستجدينهـا •
ـ أيـن ؟
ـ عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة •
ـ ولكنهم مختلفـون •
ـ الأموات فقط هم الذين لا يختلفون ••
ـ كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور •
ـ ابحثى عن أسباب ذلك •

ـ ايـــن ؟
ـ فى كل ما يمولونه ويفعلونه ٠
ـ سيكون مجـرد تسجيل ٠
ـ سجلى أولا ثـم بعد ذلك يجىء دور التحليل ٠
ـ لا أملك القـدرة على التحليل ٠
ـ لا تفكـرى فى ذلك الآن ٠ هيـــا ابـدئى وستجدين معك آخـــرين يســاعدونك ٠
ـ هل تعـدنى أن تكون أحـد الذين يساعدوننى ؟
ـ ليس وعـدا ٠ بل التزامـا ٠
ـ موافقــة ٠ ولكن بشرط ٠
ـ ما هو الشرط ؟
ـ ان تكتب ذكرياتك خـلال ١٢ سنة سجن ٠
ـ موافق ٠
ـ ومتى تبـــدأ ؟
ـ حين أجـد نفسى فى ظـروف تساعدنى على الكتابة ٠
ـ وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
ـ نعـــم ٠
ـ ما هـو ؟
ـ ابحث عن شىء صـادق ٠
ـ هل انت متشائم ؟
ـ بل فى غـاية التفــاؤل ٠
ـ لســت أفهم ٠
ـ لا تتعجلى ٠٠ غـدا تفهمين ٠
ـ هل تساعدنى على الفهم ؟
ـ أعـدك ولكن بشرط ٠
ـ ما هـو ؟
ـ ان تبــدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات ٠٠
ـ سأبـدأ بالبحث عن فرسانها ٠
ـ أو لست أنا أحد فرسانها ٠٠ كمـا تقولين ؟
ـ نعم ٠٠ ومن فرسانها البارزين ٠
ـ اذن نلتقى ٠٠
ـ كل لقـاء لـه شروط
ـ وما هى شروطك ؟
ـ ليست شروطى ولكنهـا شروط الحيــاة ٠

« وساد الصمت لحظـة دار خلالها بيننا حـوار صامت لكنـه ، كـــان أعمق من كل حوارنا الســابق المسموع »

ومنــذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كى اكتب ، وفشلت ح
كنت لا اعــرف لمــاذا ظللت أعلق نجاحى فى الكتــابة على لقــاء
فرحت أبحث عنك عنــد كثيــرات ولم اجــدك • لم أجــد الصورة التى
خــلال حديثك التليفونى معى وبعــده • ومضت الســنوات تجــ
السنوات وكأننى أســير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت •
اننى كنت **أبحث عن لحظة صــدق هى أشبه بالسراب فى عــالم
بالزيف والنفــاق •**

ورغم أن هذه اللحظـه قـد أعـادت الى الثقـة فى قـدرتى على
ومنحتنى الشجاعة كى اكتب كل ما اعـرفه عن الحقيقة ، فاننى لم
غيـر جـزء منها لأســباب موضوعيـة لم تكن مطـروحة منــذ ١٢
يــوم وعدتك ياحبيبتى بأن أكتب •

ولقـد حاولت كل جهـدى أن اتجنب مـا يمكن أن يلوى البعض
ليضعـه فى خدمــة الهـوى المشبوهة ، وفى نفس الوقت كنت مو
قــدر استطاعتى ــ عندما تعرضت لعــدد مـن المواقف السياسية ،
لبعض قيادات « التنظيمات » •• فاعفـرى لقلمى حين تناولهــا
بسخرية مريرة •• ولا ترفضى اجتهــاده عندمــا طرح تســاؤلات
القضايا النظـرية • واحسب أنه قـد آن الآوان كى تعرف الأجيال
حقائق فتــرة خصبة فى تاريخ مصر •

الرسـالة رقـم ١

حبيبتـى

اللحظـة الصادقة التى بحثت عنهـا **١٢ سـنة ، أعيشها اليـوم بكـل كيـانى** • ومن هذه اللحظة أستمد الثقـة فى قـدرتى (على الكتـابة)

وأبـدأ بيـوم خروجى من السجن فى ٤ أبريل ١٩٦٤ : بـدأت رحلـة الافـراج عن آخـر دفعـة مـن المعتقلين الشيوعيين **يـوم ٤ أبريل ١٩٦٤** نقلتنـا السيارات من سجن «**المحاريق** » القابع فى قلب الصحراء **بالواحـات الخارجـة** الى أسيوط ، ومنهـا بالقطار الى محطـة تكنات الجيش بالعباسية• لن أحك كيف تـم « شحننا » •• وأحسب ان **طـريقة** « شحن » الحيوانات أفضل بكثيـر من الطريقة التى « شحنا بهـا » • ولم تكن هـذه هى مشكلتنا فنحن على أى حـال فى طريقنا الى « الحـرية » • فبـل ذلك حين كـانوا « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنـا نحتج ونرفض هذه المعامله اللاانسانية أمـلا فى ان نجـد معاملة أكثـر انسانية فى السجن « المشحونين » اليـه • لكن هذه المـرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هى مشكلة حياتنا فى ظل «الحرية» كنـا أكثـر من ٧٠ شخصا • فى طريقنـا الى الحيـاة التى غبنـا عنهـا سنوات طويلة وصلت الى **١٢ سـنة** بالنسبة للبعض ولم تقل عن **٥ سنوات** للبعض الآخـر • وبالطبع كـان لكل واحـد منـا مشاكله الخاصة ولكنهـا كلها تصب فى مشكلة واحـده هى « لقمـة العيش » • فالجميع ، عمـالا ، وفلاحين وطلبة ، ومثقفين وأساتذه جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهـم منـذ سـنوات • والبعض يستطيع مواجهـة حياته الجديدة بحكم وضعـه الاجتماعى . وقتـا طال أو قصر ، غيـر أنه بالتاكيـد سيجد « لقمة العيش » والبعض ــ بحكم وضعه الاجتماعى ، لن يستطيع مواجهة الحيـاة الا أياما معـدودة تحددها قـدرات عائلاتهم الماليـة المحدودة • بعدها ستكون لقمة عيشهم صعبـة وعسيرة • وغيـر هؤلاء كـان هنـاك من يبحث عن المكـان الذى سيقضى فيـه أياما معـدودة يبحث خلالهـا عن أحـد من أهله أو أقاربه فقط كى ياويـه ليـلا بعـد البحث بالنهـار عن « لقمـة العيش » التى لايدرى متى سيجدها ، ان وجدها ، فهنـاك من لم يجدها حتى اليـوم الا فـى شكل أبشع أنواع الاستغلال • هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » •

راحت « فرحـة » عنـا خـلال الوقت الذى استغرقتـه رحـلة السـيارات

من سجن المحاريق الى اسيوط • وجاءت « الفكرة » بعد ركوبنا القطار المتجه الى القاهرة • وفي محطة العباسية وضع الجميع أمام « المحنة » !

ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

ـ اللى بيته في القاهرة وضواحيها يركب العربية دى ، ودى • واللى بيته فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى •

ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات • سألهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم • لم يجب أحد منهم • ذهبت الى الضابط وهمست فى أذنه :

ـ الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة في مصر كلها •

قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :

ـ ما العمل ؟ ليس أمامى الا أن أسلمهم لسجن الاستئناف حتى يعثروا على محال اقامتهم •

ـ صبرا •• سنجد حلا •

وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه • والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيد تقريبا الذى لم يفاجأ بهذا الوضع • ربما لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى **١٢ عاما** لم تكن مجرد صلة سياسية وانما كانت صلة انسانية فى معظمها ، مئات المشاكل التى واجهت مئات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيرى • ساهمت فى حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البعض الآخر كان مستعصيا على الحل ، منها هذه المشكلة • ناديت على أحد الزملاء المقتدرين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلا لسكنهم حتى يدبروا أمر اقامتهم • وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون فى القاهرة ! أما كيف عاشوا هم والآخرين •• فتلك قصة سأحكيها لك فى رسالة أخرى • عندما أكتب عن **١٢ سنة** بعد خروجى من السجن •

تحركت السيارات وكنت فى احدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هى العناوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجه الى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم اجراءات الافراج بعد التأكد من محل السكن لننفذ باقى العقوبة ! نعم يا حبيبتى باقى العقوبة ، وهى « **المراقبة** » • انا مثلا كان الحكم الذى صدر ضدى هو **١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة** ـ طبعا السنتين الزيادة كانوا اعتقال ـ وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العرض واللص **٩ شهور** فقط وفقا للائحة السجون ، **اما** بالنسبة لمسجون الرأى فهى **١٢ شهرا** بالتمام والكمال ، فقد

تنبهوا فى عــام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الرأى أخطر من أعتى **المجــرمين**. فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا اننى قضيت **فى السجن ١٢٠ شهــرا** بــدلا من **٩٠ شهرا** ثــم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى **٢٤ شهــرا** أخــرى ، فيكون المجموع **١٤٤ شهــرا** وكــان يمكن ان نمد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار **الرئيس الراحل عبــد الناصر** بالافــراج عنـــا • والافراج لم يكن يعنى اسقاط العقــوبة وبالتالى كان على ان أنفــذ بقيـــة العقــوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غــروب الشمس حتى شروقها • والمراقب معه دفتــر يوقع عليــه شرطى بما يثبت وجـــود المسجون فى بيته • وطبعا من حق هذا الشرطى ــ حرصا على **أمن الدولة** ــ أن يوقظ « **المراقب** » فى أى وقت من الليل ليتأكــد مــن وجــوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتــى حــالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فــى عــز الليل ليوقظــه ويجبــره على النزول الى حيث ينتظــره الشرطى علــى البــاب الخارجى للمنزل ليوقع لــه على الدفتــر مــرّة ثانيــة وربما ثالثـــة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقــوبة الهرب من حكم المراقبــة ؟ السجن مــرة أخــرى وقــد يصل الى الحــكم بقضــاء مــدة المراقبــة فى السجن ! ولقــد حاولوا هــذا معى بعــد خروجى من السجن باسبوع واحــد حين جــاء زوار الفجــر ليقبضــوا على بتهمه الهـــرب مــن المراقبـــة الليليـــة • فــى تلك الليلــة لــم يات الشرطى كالمعتــاد فى كل ليلة • ولمــا وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبيته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القســم ويثبتوا فى محضر اننــى موجود فى المنــزل واطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتــر • وكان هذا المحضر هو السند القــانونى الــذى استند اليــه المحامى الذى تطــوع للدفاع عنى عنـــد محاكمتى وأفـــرج عنى القاضى ولكن بعـــد أن قضيت **٤ أيــام فى** سجن الاستئناف وتسمى « **التخشيبة** » وكانت افضــل على أى حــال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخــرى •

وقــد اعتــرف رجل المباحث (••) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لقضاء السنوات الخمس ! ثــم اعتــرف لى بعــد ذلك أنـــهم حاولوا مــرة أخــرى معى ومع عــدد من الزمــلاء تلفيق تهمــة الهـــرب مــن المراقبة لولا صدور قرار **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقــوبة عن كل الشيوعيين الذين أفرج عنهم** • اذكــر اننى فــى اليوم نفسه الذى صــدر فيــه هــذا القــرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهــرة سيرا علــى الاقــدام طــول الليل • وكانت هذه أول مــرة أرى فيهــا ليل القاهرة بعــد **اثنــى عشر عامــا ونصف** !

أعــود بك الى ٤ ابريل ١٩٦٤ ، يــوم خروجى من السجن وعودتى اليــه مــرة أخــرى فى اليــوم نفســه •

قلت لك اننى زكبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعونى مع عدد من الزملاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعد حوالى ٦ سنوات اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصال فهى لم تعد تحتمل مطاردتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننى فى السنوات الأخيرة وطدت نفسى على اننى ساقضى ما بقى من عمرى فى السجن • وبالطبع استبعدت الذهاب الى منزلى السابق • لم يبق أمامى غير ثلاثة أمكنة فى القاهرة• الأول فى شبرا حيث يسكن أحد أخوتى الكبار •• لكنه قاطعنى تماما منذ أكثر من ٨ سنوات خوفا على عمله وعلى بيته ، فانقطع تماما عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبر منى أيضا ـ رحمه الله ـ كان يسكن فى طره بجوار السجن الذى قضيت فيه ٤ سنوات ولم يفكر أبدا فى زيارتى منذ قبض على ـ ولم يبق أمامى غير منزل أخى الصغير ـ رحمه الله ـ كان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضا ثم آثر السلامة بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٥ لكنه تزوج وأنجب طفلة خلال وجودى فى السجن ، ولا أعرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكير أكثر وارسال من يتحسس الموقف عند الاخوة الثلاثة • ولما طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقوله :

ـ لا استطيع ان اتحمل بقاءك هنا حتى الصباح •

قلت له مشكلتى •• وتأثر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فى مكتبه حتى الصباح • كان شابا له صلة بالسياسة واهتماما بها • وبينما نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغر مسعد « رحمه الله » أمامنا فى المكتب • لقد راح منذ الصباح يسأل عنى فى أقسام الشرطة حتى عرف من بعض الزملاء اننى هنا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقاء الانسانى بعد أكثر من ٨ سنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقل عن ١٢ جنيها أجور مواصلات فقط • يضاف اليها مصاريف المبيت فى أسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قال :

ـ صدفة عظيمة جدا •

ـ ما هى ؟

قال ـ رحمه الله ـ والدموع تسيل من عينه :

ـ اليوم ٤ أبريل عيد ميلاد ابنتى وذكرى زواجنا •

ـ كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد ! حقا لما ينسعد الفقى تيجى له عشوتين فى ليلة واحدة •

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق • وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم مصر الجديدة لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » • الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكس • خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، أبى الذى مات فى أحد الملاجىء !!
تصورى مات فى ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى ولكن مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابريل ١٩٦٢ — تاريخ انتهاء العشرة سنوات — ولما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء • و • و • و تجسدت امامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل • وشعرت فجأة بصداع شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاى فى مكتب الضابط النوبتجى بقسم مصر الجديدة • بعد أن هنأنى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لأن الموظف المختص غير موجود • لم أعلق • لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته • وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس • والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى • وطبعا قبلنا الشرطين وشكرناه •

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

— ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة •

— وما رأيك انت ؟

— انها لم تنسك لحظة واحدة

— وأولادها كيف حالهم ؟

— الابن فى كلية الطب ، والبنت موظفة •

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شىء وقع منى • ولما استأنفت السير ظللت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها • قال :

— هل ارسل من يطلب ميمى ؟

لم يسمع منى جوابا ، وانما سمع بكائى المتشنج · لم أعرف لحظتهـــا لمـاذا بكيت كالأطفال · بعـد اقل من نصف ساعة قضيتها فى جـو غـريب عنـى ، جـو لم اعـرفه منـذ شبابى المبكـر ، شعرت وكأننى لا انتمى الى هذا العـالم · **وحلمت بالسجن مـرة أخـرى** ! بل ان نفسى لـم تهـدأ الا بعد أن عـدت مـرة أخـرى الى سجن **قسم مصر الجديدة** · هل تصدقين ؟ **هذا ما حـدث ·· احكيـه لك** فى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ·

٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٢

حبيبتى

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » فى اذنى وانا ما زلت عند باب العمارة • أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفى كل مرة كان الشرطى يمسك بذراعى •• كى لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من اخى أن يعفينى من حضور هذه الحفلة • لم يجب •• واحتوانى بين ذراعيه وأخذ يقبلنى ، وجاء صوت نسائى لينتزعنى من هذه اللحظة الانسانية •

ـ أهلا وسهلا •• حمد الله على السلامة •

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » • حدثنى عنها كثيرا فى خطاباته القليلة الى فى السجن • هذه الابتسامة التى تملأ وجهها لم تبدد احساسى ببرودة صوتها وهى تحييننى ولا برودة يدها وهى تسلم على • معذورة • عليها أن تقوم بالواجب أرضاء لزوجها • لكن اخى حدثها عنى كثيرا •••

هكذا كتب الى فى خطاباته ! • أغلب الظن انها لم تفهم شيئا مما قاله• سكتت الموسيقى فجأة وأتجهت كل انظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب • **احد المدعوين يتابط ذراعه شرطى** • منظر يستحق الفرجة • همس يدور ، وزوجة أخى تتركنى لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية • هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن • لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف •• وارتفعت أصوات :

ـ حمد الله على السلامة •

ـ أهلا وسهلا •

وعادت الموسيقى تصدح مرة اخرى • الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص • والذين لم يعرفوها بعد يتهامسون قليلا مع زوجة أخى ثم يعودون الى الرقص • وراح المصور يلتقط لى صورا كثيرة •• على باب الشقة • وبين المدعوين واثناء جلوسى • وكان الشرطى الحارس حريص على ان يظهر معى فى الصورة وهو يتابط ذراعى • انا لا احب الأضواء لا كما يقولون فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لى صورا عديدة من كل الجهات ، • وفى كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة •• يوم قبضوا على •• وعند نقلى من سجن الى آخر •• وما اكثر السجون التى تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالعشرات •• لتوزع على جميع **اقسام بوليس المملكة المصرية**

ثم ـ جمهورية مصر ـ ثم الجمهورية العربية المتحدة ـ ! فيوم دخلت السجن يا حبيبتي كانت مصر ما زالت « مملكة » ·· ومكثت به ١٢ عاما وهي « جمهورية مصرية » ثم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامي ·· لأول مرة منذ غادرت قسم السيدة زينب مرورا بقسم مصر الجديدة ، حتي وصولي المنزل ، لم تترك يد الشرطي اليمني يدي اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساوندويتش يتحسسني ليطمئن على وجود وديعته ! رغم انني استحق الشفقة فقد اشفقت حقيقة على اخي مسعد · كان المسكين يجلس الى جانبي لحظة يرحب بي ويعزم على بالأكل ثم يذهب الى مدعويه وهكذا ·

« مالي انا وهذا العالم » · ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما أبيض لم تسمع صوت امرأة · لم تلمس يداك يد امرأة · عيناك لم تر غير لون الزنزانة الأصفر ·· ولون الصحراء ·· الأصفر · واذناك لم تسمع سوى أصوات « بروجي » حرس السجن ـ والسلاسل التي يقيدونك بها··· تسمع صوتها في نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من الموت الى الحياة ·· وأي حياة ؟ » كاد رأسي ينفجر ·· هاجمني الصداع ·· صرخت ··

ـ أسبرين ··

توقفت الموسيقى وعادت بسرعة بعد أن تناولت الأسبرين من فتاة كانت تجلس الى جانبي طول الوقت ·· كانت صامتة ولكن نظراتها ودودة ·· وابتساماتها حلوة ·

« هذه الفتاة من تكون ؟ ربما ابنة أخي الكبير · ان له ولد وبنتين· يوم دخلت السجن كان أحمد في الثانوية العامة · وكانت آمال في الاعدادية وأميرة في الابتدائية ! أغلب الظن أنها آمال · هل أسألها ؟ لا داعي · لكن هي بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتي الآخرين ، وهي أيضا ليست ديدي بنت أختي ـ الله يرحمها ـ فقد ولدتها وأنا في السجن ، وهذه الفتاة لايقل عمرها عن ٢٢ عاما · ربما تكون « تيتي » بنت زوجتي السابقة ·· يا سيدي لا تتعجل الأمور · بكرة تعرف كل حاجة »

رأسي يتثاقل ·· أشعر برغبة شديدة في النوم فقد انهد جسدي تماما ·· ورحت في اغفائه ·· وحلمت ·· نعم حلمت ·

مازلت اذكر كل تفاصيل هذا الحلم البعيد · ساحكيه لك يا حبيبتي بالتفصيل · الفتاة التي كانت تجلس الى جانبي تقول لي وابتسامتها الودودة لا تفارقها ·

ـ أنا لست قريبتك يا استاذ ···

ـ عفوا ·· وهل سألتك ؟

ـ تعبيرات وجهك كانت تسأل

ـ تقرئين افكــــارى ؟
ـ اقرأها ٠٠ وأومن بالعــام منهــا ٠
ـ لا زلت صغيــرة ؟
ـ وأنت ٠٠ ألم تبــدأ فى مثل عمــرى ؟
ـ يبــدو انك تعرفين عنى الكثيــر ؟
ـ لست وحــدى ٠٠ كثيرون يعرفون ٠
ـ كيف ومتــى ؟
ـ كمــا عرفت أنت الذين سبقوك ؟
ـ عرفناهم من الكتب والصحف ٠
ـ ونحن كذلك ٠٠ ولكــن ازيــد عليك ٠٠ فأنــا اعــرفك شخصيا ٠
ـ شخصيا ! انت فى عمــر ابنتــى لو كان لى بنتــا ٠
ـ كنــا جيرانك حين أتــوا للقبض عليك
ـ اذن كان يجب ان اعــرفك ٠
تسكت الفتــاة لحظــة ثــم تقــول :
ـ كنت طفلة ٠٠ وكــان عمرى ٨ ســنوات ٠٠ وكــانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ٠٠
ـ لم تنسك لحظــة واحــدة ٠٠
وأصرخ قائــلا وبضحكة هيستيرية
ـ لم تنسنى لحظــة ٠٠ سيدى يا سيدى ٠
تأخذنى الفتــاة بين ذراعيها ٠٠ تهدهدنى كالطفل وتقــول :
ـ انها تحبك ٠٠ صدقنى ٠
أصرخ مــرة أخــرى وأقــول ٠
لكنهــا قتلت ابنــى ٠٠ أسقطته وهو جنين ٠٠ كان عمره الآن ١٣ ســنة ٠
ـ أدركت خطأها ! ٠ وهى تريــد طفــلا منك ٠
ـ بعدها ٠٠ تصرف نظــر ٠
وتعود الفتــاة الى هدهدتى كطفل رضيع :
ـ انهــا تنتظــرك ٠٠ صدقنى انها تحبك ٠
ـ انا لا احبها ولم أحبهــا فى حداثتى ٠٠ لن ترانى ابدا ٠٠ ابدا ٠
ـ لماذا تزوجتهــا اذن ؟
كــان من الضرورى ان استيقظ من النــوم ٠ فهذا السؤال لن أجــد لــه جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق يشدنى ٠
ـ فيــه حــد ينــام ليلة الافــراج عنــه ؟
أخذنى عبد السلام هاشم وهو الأخ الأصغر لصلاح هاشم زميل الدراسة وزميل السجن ٠ تركتــه فى سجن المحاريق فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم ينهــوا مــدة العقــوبة مثلى ٠ حكم عليه فى نفس قضيتى بــ ١٠ سنوات

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو فى السجن ! وتهمته أنه قاد مظاهرة من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة •• كان غيره كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وانا ما زلت فى حالة نوم

- والله كبرت يا عبد السلام •
- ومخى كبر كمان •• مالك ؟
- قرفان تعالى ننزل •
- نروح فين ؟
- نقعد على قهوة •• عاوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت بأننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة اخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتى

مازلنا فى يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ ـ يوم الافراج عنى ٠

عدت الى سجن « التخشيبة » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن « ساعتين » قضيتها فى حفلة عيد ميلاد بنت أخى ثم أحد المقاهى الشعبية٠

ما ان وطأت قدماى أرض « التخشيبة » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !

تصورى يا حبيبتى ٠٠ احسست بالأمان مع اللصوص والنصابين والقوادين ٠٠ الصغار طبعا ٠٠ فالكبار لا يأتون عنا ٠٠ ومع المتسولين والمشردين و ٠ و ٠

الأمان داخل « حجرة » أرضها مكسوة « بالزفت » وخليط من « بصاق » النزلاء وبولهم ٠٠ وبرازهم ٠٠ فهى للنوم ٠٠ و « لقضاء الحاجة » فى نفس الوقت ! وجدران « التخشيبة » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم الحشرات ٠ فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون أن تحدث « خناقة » بين النزلاء تستخدم فيها الأمواس والمطاوى ٠ كما لا يمكن أن يعيش « الانسان » لحظة واحدة فى هذه « التخشيبة » دون ان ـ يقتل مئات من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسان فى امتصاص دم أخيه « الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبة » ؟

ربما لأن البشر يكدسون بها كما يكدس الخشب فى المخازن !

هذا هو الأرجح ٠٠ فقد رحت ابحث عن مساحة أقف عليها داخل هذه « التخشيبة » ٠

ـ اتفضل يا بيه هنا ٠٠

ـ لا يابيه تعالى هنا ٠٠

وكادت تحدث خناقة تستخدم فيها كالعادة الأمواس والمطاوى لولا تدخل « المعلم »٠

ـ بس يا واد انت وهوه ٠٠ سيب « الايراد » ده ليه ٠٠ اتفضل هنا يابيه ، وأشار الى مكان بجانبه ٠

ـ ألف شكر يا معلم ٠

ـ جاى فى أيه يا بيه ؟

نظرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم الباركر أيضا لم أجده لم أجب ·· وضعت الاكل الذى كان فى يدى على الارض ·

ــ اتفضلوا يا رجالة ·

ما كاد الرجال يهجمون على الأكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

ــ اسنني باواد أنت وهوه ··

تراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم ·

ــ ياولاد « الكلب » بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول · اسمع يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع ذلك تعزم علينا بالأكل الحلو ده ·· يا واد يا عبده هات حاجات البيه ·· يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

ــ اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة · فيها خمسة جنيه أهم ·

ــ متشكر قوى ·· اتفضلوا ··

ــ متشكرين يا بيه ·· دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح ·

« لم ينسوا القيم الشعبية ·· أكل العيش والملح يعنى الأمان ·· أن لا تخن من أكلت معه ·· اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى السرقة من أجل أن يعيشوا · لكن اللصوص الكبار ·· نجوم المجتمع ·· غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة ·· خيانة الناس·· وخيانة الوطن »

واستمرت جلستنا حتى الصباح ·· يسألون واجيب على أسئلتهم ·· نظراتهم تفيض مودة وحبا ·

قال أحدهم :

ــ يا بيه أنت صحيح بنى آدم ··

قلت ضاحكا ··

ــ ·· هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

ــ لا يابيه ·· فيه ناس ولاد الشيطان ·· بيعاملونا زى الكلاب ·

ــ الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان ·· انما هى حكاية الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وباسلوب بسيط عن استغلال الانسان لأخيه الانسان ·· كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على الاستغلال » ·

ويسأل أحدهم :

ــ والاشتراكية دى يا بيه تدينا الفرصة انّنا نعيش زى البنى آدمين ؟

ــ طبعا ·· الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

ــ زى ما عبد الناصر بيقول ؟

ــ تقريبا ··

تعرفين يا حبيبتى اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو باسبوع واحد ٠٠ ولم أشهدها الا فى **٤ ابريل ١٩٦٤** ٠٠ ولكن كـان لى موقف مختلف تمامـا عن مواقف زملائـى حين كانوا خارج الأسـوار وكان مختلفـا أيضـا عندمـا قبض عليهم فى **ينـاير ١٩٥٩** ٠٠ وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلى المقبلة ٠

١٠ ينـاير ١٩٧٧
بغـــداد

الرسـالة رقـم ٤

حبيبتـى

طلع على صباح يـوم ٥ ابريل وأنا مستغرق فى حديث منـذ العـاشرة مسـاء اليـوم السـابق مع نزلاء « تخشيبة » قسـم شرطة مصر الجديدة ٠ ولقـد عرفت « التخشيبة » مرتين ، كانت المـرة الأولى فى « تخشيبة » قسم شرطة الوايلى يـوم قبض على أحمد حلمى رئيس المباحث العـامة « البوليس السياسى سـابقا » فى ١٨ يوليـو ١٩٥٢ ، فقـد أودعنى هنـاك لحسـابه حتى انتقل الى سجن مصر لحسـاب النيـابة العامة ٠ فى ذلك اليوم حـذر أحمـد حلمى مأمور القسـم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفـة انفـرادية ! ٠ وأحتـار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسـم غير غرفة للرجال وأخـرى للنساء ، فاين يضعنى ؟ وأخيرا وجـد الحل ٠٠ غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعـد عن غـرفة الرجـال ٠٠ فوضعنى فى طـرقة صغيرة تطل على غـرفة النسـاء ٠٠ ولكن ظلت مشكلة هى أنـه يمكن الحديث مع النساء المسجونات مـن شباك واسع لغرفتهن ٠٠٠ ولم يكن أمامـه من حل خوفـا على المرأتين سوى أن ينبهما الـى خطورتـى ٠ وبعـد أن اغلق بنفسـه باب غـرفة النسـاء ٠٠ وتأكـد مـن اغلاق بـابه الطـرقة ٠٠ وبعـد اعطـاء التعليمـات المشـددة للحراس بان لا يتصل بـى أحـد والتنبيـه الى أى حـديث يجـرى بينـى وبين المرأتين ٠٠ أنصرف مطمئنـا !

ويبـدو ان تلك الاجـراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المـرأتين فبعـد دقائق قالت أحداهن :

ـ أيه الحكاية يا بيـه ٠٠ أنت جاى فى أيـه ٠٠ أنا عمرى ما شفت كده٠

ـ وانتى بتيجى هنـا كتيـر ؟

ـ مـرة كل أسبوع ٠٠ مرتين ٠٠ حسب الأحوال ٠

« لـم أفهم ما تقصـده ٠٠ فلم أرد عليهـا ٠٠ فقالت بغضب »

ـ أيه يا فندى ما بتردش على ليـه ٠٠ مش قـد المقـام والا أيه ؟

وتدخلت المرأة الأخـرى ٠

ـ يا أختى ٠٠ حيلك على البيه شوية ٠٠ ده باين ابن ناس ومش فاهم٠

قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :

ـ الحقيقة مش فاهم ٠

قالت نفس المرأة :

ـ مش باقول ـ والنبى ده ابن ناس ٠٠ شوفى ضحكته يا روحى عليه

قالت الأولى :

ـ آه والنبى ٠٠ ضحكته حلوة ٠٠ يحميك لشبابك ٠

ـ الله يخليكى ٠٠ لكن ٠٠ بتبجى هنا كثير ليه ؟

ـ لما تتسحط وما اقدرش أدفع المعلوم

« ويبدو أن وجهى لم يستطع اخفاء الاحساس بالألم والاسمئزاز » ٠

قلت :

ـ أيه ابدا ما فيش حاجة ٠

قالت بغضب :

ـ أيه يعنى أحنا ولاد ناس برضه ٠٠ بس الزمان اللى حكم علينا ٠٠ ولقمة العيش مرة ٠

« لقد حسبت المسكينة اننى احتقرتها ٠٠ كما يحتقرها حتى أولئك الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

ـ وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط ٠٠ انا زعلان علشانك !

وتدخلت المرأة الثانية

ـ والنبى ماليكى حق يا ستيه ٠٠ شوفى صوته فيه حنية قد أيه !

قالت الأولى :

ـ متأسفة يا بيه والنبى أنت طيب وباين عليك خام قوى ٠

« عرفت لأول مرة انها اذا نادتنى بيا بيه تكون راضية عنى واذا قالت يا افندى يكون ذلك تعبيرا عن غضبها ٠٠ قلت :

ـ لا أبدأ مفيش داعى للأسف ٠٠ أنتو مظلومين ٠

قالت الأولى :

ـ أول مرة فى حياتى حد يقول لى أنتى مظلومة ٠

قالت الثانية :

ـ والنبى ده خام قوى ٠٠ أنت يا بيه جاى فى أيه ٠

ـ جاى فى قضية سياسية ٠

ـ يعنى أيه يا بيه ٠٠ عملت أيه ؟

ـ بنطالب بأن الناس تعيش كويس ٠٠

ـ طيب واللى يطالب بكده يحبسوه ؟

ـ طبعا لانهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ٠٠

قالت المرأة الثانية

ـ يعنى البيه عاوز يخلى كل الناس كويسين ؟

قالت الأولى :

ـ صحيح يا بيه ؟

قلت :

ــ كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد

قالت الأولى .

ــ الله يحميك لشبابك أنت واللى زيك يا اخويا ٠٠

وقالت الثانية :

ــ الله ينصرك انت وزمايلك يا حبيبى ٠٠

« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة ٠٠ سمعتها كثيرا من زوجتى السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة ٠٠ هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل ينفعلون كما انفعلت ٠٠ بالقطع لا ٠٠ وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا ٠٠ كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتى وتأملاتى :

ــ شوفى يا سنية ٠٠ وشه زى الملاك ٠٠ والنبى ده بني آدم ٠

« رغم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لمسة صادقة تعود اليها انسانيتها المهدرة ٠٠ » ٠

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا ٠٠ ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الأولى :

ــ الايراد وصل ٠٠

وقالت الثانية :

ــ الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب ٠٠ وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب ٠٠ زج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم ٠٠ وبعد ان اغلق الباب عليهن ٠٠ تنبه الضابط الى وجودى ٠٠ سأل بغضب ٠

ــ انت أيه ٠٠ وأيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

ــ انا زى ما انت شايف ٠٠ واللى جابنى هنا المأمور ٠

ــ ليه ما دخلتش حجرة الرجالة ٠

ــ والله تسأل المأمور فى الحكاية دى ٠٠ يظهر انه مش حريص قوى على حماية الآداب !

قال بغضب :

ــ انت بتهزر ٠٠ انت جاى فى أيه ؟

ــ أسأل البكباشي **أحمد حلمى** رئيس البوليس السياسى ٠

« وما كاد الرجل يسمع اسم **أحمد حلمى** حتى ظهر على وجهه الرعب ٠٠

فأسرع بغلق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبهه عليه بأن يمنعنى من أى كلام مع النساء ٠
بعد انصرافه ٠٠ قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :
ـ طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات ٠٠ طيب وليه هوه راح يقول لهم أيه يعنى ٠٠ ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم ٠٠ انا مش فاهم ٠
ناديت على الشرطى وقلت له :
ـ افهمك انا ٠٠
ـ الله يسترك فهمنى انا عقلى راح بطير ٠٠ الظابط النوبتجى قال خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات ٠٠ والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن ٠٠ وأنا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو ٠٠ كلامك حلو ٠٠ ما فيهش ابدا لا مؤاخذة ٠٠ قلة أدب ٠٠
قلت مقاطعا :
ـ اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن ٠٠
قال :
ـ أمن مين بس ؟
ـ أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك ٠٠
ـ آه فهمت ٠
ـ أيوه ـ فهمت أيه بقى ٠
ـ فهمت ٠
« انصرف الشرطى بعيدا ٠٠ ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » ٠
واردت أن أروح فى اغفاءة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النيابة الذى لم يبق عليه سوى ساعات ٠٠ لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة ٠٠ سمعت احداهن تقول :
ـ وأنت شفتى سياسيين قبل كده ؟
وترد أخرى ٠
ـ آه وحياتك ٠٠ بتاتى واحد مرة ٠٠ ما عملش حاجة ٠٠ لكن اداني فلوس ٠
وترد الأولى ٠
ـ وعرفتى منين أنه سياسى ؟
ـ هوه قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس ٠٠ ولما اطمأن مشى ٠٠
« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى ٠٠ اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله ٠٠ اذكر اننى حتى زواجى الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس ٠٠ وذات يوم فى عام ١٩٤٨ حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن من ذلك ٠٠ واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الأولى والأخيرة حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محددا لهذا الموقف الشاذ فى نظر زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحوا يتهكمون على ويسخرون من قدراتى ويشككون فيها ٠ ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى تكوينى ٠٠ لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة ٠٠ عرفت ان لحظة الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل الانسانى والفكرى والعاطفى ٠ وهذه اللحظة هى أصدق لحظات الانسان الحقيقى ٠٠ واظن ان مثل هذه اللحظات الصادقة ٠٠ نادرة جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق ٠

ورحت فى اغفائه صحوت منها على صوت ينادينى ٠

شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكباشى **أحمد حلمى** ٠٠ جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة ٠٠ للتحقيق معى ٠

كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها « **تخشيبة** » قسم الشرطة ومنها خرجت الى **سجن مصر** ثم الى **سجون أخرى** كثيرة سأحدثك عن ذكرياتى فيها فى رسائلى المقبلة ٠ وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها « **التخشيبة** » هى يوم الافراج عنى بعد **١٢ عاما** عشتها فى سجون مصر المختلفة ٠

وكل « **تخشيبات** » **أقسام الشرطة** تشهد مع صباح كل يوم نشاطا كبيرا ٠٠ اعداد من رجال الشرطة يحملون **القيود الحديدية** التى توضع فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » **أو جنزيرا** طويلا يربطون به عددا من المتهمين « غير الخطرين » ٠ ومع اشراقة صباح كل يوم عندما يسمع نزلاء التخشيبة صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل ٠٠ وعادة يعرف كل واحد اين سيذهب ٠٠ هذا للتحقيق معه ثم السجن ٠٠ وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه ٠٠ وهكذا ٠٠ كنت انا الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبة » ليفرج عنى فى الصباح ٠

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبة » وعانقونى فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى ٠٠ وبالفعل حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى ٠

وعلى الرغم من اننى خرجت من **التخشيبة** حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

٥ **أبريـل ١٩٦٤** فانني لـم اغـادر **قسم مصر الجديدة** الا الساعة التاسـعة مساء حيث صحبوني الى المباحث العـامة ومنهـا الى المنـزل الـذى وصلته حوالـى الثانية عشر مسـاء وخلال تلك الساعات حدث الكثير ٠٠ وهو مـا سأحيكه لك يا حبيبتي في الرسالة المقبة ٠

١٢ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسـالة رقـم ٥

حبيبتى

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب **مأمور قسـم مصر الجديـدة** لعمل الاجراءات اللازمة للافـراج عنـى • حيانـى الرجل بابتسـامة عريضـة وودودة وحولنـى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجـراءات •• وما كـاد الجاويش يبـدأ فى تدوين البيانات المطلوبـة •• الاسـم •• السـكن •• العمل •• الخ حتى دخل رجل بملابس مدنيـة •

وهمس بكلمات لـم اتبينهـا فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مـع ضابط المباحث الى مأمور القسـم •• ثـم عـاد ليقول لى ان على ان انتظر حتـى تأتى الأوامر بالافـراج •

قلت مستفسرا :

ـ أوامـر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

ـ والله يا ابنى ما أنا عارف •

ـ امـال مين اللى يعـرف ؟

ـ المباحث العامـة •

ولعب الفار فى « عبى » •• لا بـد ان أمـرا قـد حدث •• طلبت مـن الجاويش ان اقـرأ صحيفـة الصباح •• فناولنـى اياهـا وهو يبتسم ابتسـامة من يعرف مـا الذى اريـد ان اعرفـه من قـراءتى للجريـدة •• وبعـد ان تصفحت **أهـرام ٥ أبريل ١٩٦٤** قلت :

ـ مفيش انقلاب ضد عبد الناصر •• ايه الحكاية آمال ؟

ـ والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا **المباحث العامـة** •• اصبر شـوية ربنـا يفرجهـا •

ذهبت الى مأمور القسـم لاعرف منـه الموضـوع وقبل ان ادخـل مكتبـه قابلت بعضا من أهالـى المسجونين الذين ما زالوا فى **الواحـات** ولـم يصدر عنهم قـرار الافراج بعـد •• وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **المحاريق** **بالواحات الخارجية الى اسيوط** ومنها الى القاهرة للافراج عنا نحن المعتقلين ٠٠ دبرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم في انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** اسحق » وجرح محمد سيد أحمد و د٠ اسماعيل صبرى عبدالله ٠

بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اثناء « فسحة » الزملاء المسجونين ٠٠ وكان هذا التحرش هو ساعة الصفر ما ان بدأ المسجونون يتجهون الى حيث يقف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص المدافع الرشاشة** من وراء الأسوار الخارجية للسجن ٠٠ وأسقطت احدى الرصاصات الغادرة **الشهيد** « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجه **محمد سيد أحمد** وأخرى ساق د ٠ **اسماعيل صبرى عبدالله** وكادت تتحول الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن الذى صاح بأعلى صوته ٠

ـ احذروا هذه مؤامرة ضدكم ٠

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المامور ويبدو أنه كان يعرف تواطؤه مع المباحث العامه بالكف عن اطلاق الرصاص ٠٠ ونصح الزملاء المسجونين بدخول العنابر ٠

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس **جمال عبدالناصر** يوضحون فيها ابعاد المؤامره وأهدافها ويطلبون التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية ٠ كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى يرسلوا برقيات مماثلة الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطلبون التحقيق ٠

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين مقسمين بين **رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس جمال عبد الناصر** يعلنون تأييد أبنائهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالى الغاء قرار الافراج عنهم ٠

ولم يهدأ بال الأهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق ٠ وفى التحقيق شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة بما حدث من استفزاز مأمور السجن لأحد الزملاء ٠ وشهد بعض السجانة بأن المأمور أمرهم بالاستعداد **بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الأسوار الخارجية للسجن واطلاق النار على المجسونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان قد حضر بعد رحلينا مباشرة ٠**

وعندما عرض التحقيق على **الرئيس عبد الناصر** أمر باحالة **مأمور السجن** الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه **المؤامرة فى المباحث العامة** • ويبدو ان نقل حسن المصيلحى **من المباحث الى الجوازات والجنسية** كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيحلى هذا ـ وهو منذ **أواخر عام ١٩٦٤** يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف ـ قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة•

وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا **يوم ٤ أبريل** ـ وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة ـ فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت أهدافها والغى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا **يوم ٤ أبريل** ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فشلت مؤامرة المباحث العامة •

وفى الساعة الثامنة **مساء ٥ أبريل** كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رأيت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأنى بالافراج •• وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحى • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

ـ لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « **حسن المصيلحى** » يريد أن يتحدث معك قليلا • « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى **حسن المصيلحى** كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

ـ سأحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا واكرم ضيافتنا !

قال :

ـ انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بنفذ أوامر علينا •

ـ ومؤامرة المحاريق •• كانت أوامر علينا أيضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبت معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى **احمد صالح داود** رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى **سجن مصر** عندما رحلت اليه من

سجن **المحاريق بالواحات** حيث كان من المفروض ان يفرج **عني في ابريل** ١٩٦٢ ٠ غير ان **المباحث العامة** استضافتني عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك يا حبيبتي في رسالة سابقة ٠ في ذلك اليوم كان معي زميل **في قضيتي** نفسها وزميل آخر في قضية أخرى ، أنا وزميلي الأول قبض علينا في يوم واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه ٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام ٠ وفي صباح اليوم نفسه الذي خرج فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن ٠٠ **انتباه ٠٠ انتباه ٠٠ انتباه** ٠ يصيح بها السجانة بصوت عال جدا حين تصل الى السجن **شخصية خطيرة** مثل شخصية **أحمد صالح داود** ٠ دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من **ضباط المباحث ومأمور السجن** وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة التي تحتويني وزميلي صاح سجان بصوت عال :

– تفتيش ٠٠ تفتيش ٠٠

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه ٠٠ تلتقي نظراتهم بعيني التي ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون ٠

– لا يوجد شيء ممنوع ٠ اطمئن ٠٠

والتقت نظرات **أحمد صالح داود** وضباط المباحث الذين معه بعيني فلم يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجيء ٠ وبعد دقائق معدودة كان كل شيء واضحا ٠ الغرض الذي أتى من أجله ضباط المباحث لم يتحقق ٠٠ لم يجدوا **علبة السلمون !**

لا تضحكي يا حبيبتي ٠٠ أقسم لك انهم جاءوا من أجل **علبة سمك** سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !

قال أحد الضباط بغيظ :

– فين الأكل اللى كان معاكو ٠

قلت بسخرية ٠٠

– قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه ٠

– أيوه فين هيه ٠٠ ؟

– اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذى خرج اليوم اسالوه عنها ٠٠ لعله لم يزل عندكم بعد في الانتظار ٠

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوهم بالحقد والغضب ٠٠ لقد فشلت مؤامرتهم لتلفيق **قضية جديدة لي ولزميلي من أجل استضافتي عشر سنوات أخرى** ٠

كان معنــا بالفعـل علبة ســلمون ٠٠ تركهـا معنـا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبـا منـا ان نعطيهــا لاحـد زملاءنـا فى سجن القناطـر الخيرية الذى سنذهب اليـه انا وزميلـى الثانـى قبــل اعتقالنـا مـن جـديد أو الافـراج عنـا من هنـاك ٠ لا أدرى لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربمـا لانـه مكث طـول الليـل يكيل لـى المديح والثنـاء كيـلا الـى الحد الـذى جعلنـى اشـك فى أنـه يدبـر شـيئا ٠ وحتـى صباح اليـوم التـالى كانت علبـة السلمون فـى حوزته ٠٠ واعطاها لـى قبـل ان يتـرك سـجن مصر بدقائق ٠٠ ولـم تمض دقائق بعــد أن تـرك الزنزانــة الا وكـانت العلبــة مفتـوحة ٠٠ لـم يكن بهــا سـمك السلمون اللذيـذ ٠٠ وانمـا كـانت محشـوة بالأوراق ٠ بعضهـا مكتوب بخط اليد ٠٠ وبعضها مطبوع على الرونيو ٠٠ وبسرعة أحرقت وزميلى كـل الأوراق فى « جردل البـول » وتصـادف ان جـاء موعـد « الفسحة » ٠٠ والفسحة معناها ان يخرج السجين الى دورة الميـاه ليقضى حاجـة ولبـلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طـول الليـل وسـاعات النهار التـى تغلق فيها الزنزانـة ٠٠ وفى دورة الميـاه ازال زميلـى الثانـى أى أثـر للورق المحروق واعطى الكوز لأحـد المساجين الذى فـرح بـه كثيرا فـان لــه استعمالات عـديدة فى السجن ٠ مأمور السجن فهم هذا كلـه دون ان انطق بكلمة ٠٠ وكان سـعيدا سـعادة لا حد لهـا ٠٠ وعنـد انصراف هـذا الجمع الحاشـد الذى جـاء لبضبط علبـة السلمون ٠٠ تأخـر المأمـور خطوات ليشد على يـدى شاكرا ممتنا فلو ان المباحث وجدت علبـة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه ٠

تسألين ٠٠ لماذا ياحبيبتى ؟ ٠٠ سأقول لك ٠

عنـد دخول أى سجين الى السـجن أو خروجه منـه لأى غـرض ٠٠ التحقيق معه ٠ أو العلاج ٠٠ الخ يجرى تفتيشـه بدقـة شـديدة حتـى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعـات ٠ والممنوعات كثيرة جـدا ٠٠ تبـدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهـى بالمنشـورات « الشيوعية » ٠ وكـل الممنوعات بمـا فيها **المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « المنشـورات »** ! ويا ويـل المسجون السياسى الـذى تضبط معـه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتـى نظيفة فهى دليـل على انـه ينـوى كتابـة أفكـار « **هـدامة ومستوردة** » ولكن اذا وجدت مخـدرات مع مسـجون فلا بأس ٠٠ فالجميـع يمكـن ان « ينبسـطوا » !

وعـادة يقـوم ضباط السـجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنــا بحثـا عن منشـورات أو أوراق نظيفـة بوصفها « مشروع منشـورات » ٠ وفى حالتنـا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أياهــا وما بهــا من أوراق لانهدت الدنيـا على مامور السجن وضباطه وسجانيـه لأعمالهم وعدم

بفظتهم وبالتالى يضع رجال المباحث أرجلهم فى السجن بشكل واضح وهو ما ترفضه ضباط السجن حيث يجدون فى هذا تدخلا فى عملهم ، فقانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش واذا حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك فى حالتنا هذه وفى حالات اخرى نادرة جدا ٠ لم أعرف ماذا حدث « للزميل » الثالث حين عاد ضباط المباحث بخفى حنين ٠ لكنه أفرج عنه على أى حال وعدت وزميلى الى سجن القلعة ثم المحاريق معتقلين ٠ وحين افرج عنى فى أبريل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميل الثالث يكتب فى الصحف والاذاعة والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقد والادب ، وحتى السياسة ! وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « كبير » يشار اليه بكل أصابع اليدين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الأولى التى أقابل فيها **احمد صالح داود** ٠٠٠ وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بى من **سجن الاستئناف** الى **المباحث العامة** ٠٠ لاعتقالى ٠٠ أو للافراج عنى ٠ يومها لم أشك لحظة فى اننى ساعتقل ٠٠ وما كنت أفكر فيه هو اننى سأفقد كثيرا من**امتيازات المسجون** ٠٠ سأخلع الحذاء وامشى حافيا ٠٠ لن يسمح لى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة السجون ٠٠ لن استطيع شراء شىء من الكانتين ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠ والبدلة « الملكى » التى ألبسها هذه ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه ٠٠ لم ألبسها قبل عشر سنوات الا اياما قليلة خلعتها مره أخرى كى ألبس « بدلة » المعتقل !! ما كدت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتى الكبار ٠ هجم على وهو يكاد يختنق من البكاء ويقول :

ــ اختك فى انتظارك ٠٠ راح تموت لو ما طلعتش ٠٠

ويقول اخى :

ــ ذنب اختك فى رقبتك ٠٠ اعمل اللى يقولوا لك عليه ٠٠

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهى الاجراءات المطلوبة ٠٠٠ يقول وعلى وجهه ابتسامة باردة ٠٠ باهتة ٠٠ خبيثة ٠٠

ــ مستعجل ليه ٠٠ خليك شوية مع اهلك ٠٠ يا أخى هما مش واحشينك والا أيه ؟ ٠

[...]ت بغضب والالم يمزقنى

ــ من امتى المواقف الانسانية دى ؟

وتعمد هذا الوحش فى زى الانسان ان يتركنى مع زوج اختى الذى يبكى كالاطفال واخى الذى يلح على أن أكون واقعيا ! واكتب لهم ما يريدون ٠ اكثر من نصف ساعة لم استطع ان احبس الدموع التى طفرت من عينى ! ولم اتكلم كلمة واحدة ٠

(م ٣ ــ الرسائل)

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شىء قد اتضح قال :
ـ أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ؟
قلت بهدوء :
ـ طبعا عارف ٠
ـ وأيه رأيك ؟
ـ انت عارفه ٠
وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلا .
ـ ما فيش فايدة ٠٠ أنا قلت لكو ٠
وانصرف أهلى يبكون ٠٠ وذهبت انا الى سجن القلعة ٠٠ ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى ٠
ـ وهل امتنعت عن الخروج ؟
قال :
ـ كلمتين تكتبهم وتخرج ٠٠
قلت بغضب :
ـ انت عارف الاجابة ؟

يومها قضيت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى٠٠كان سؤال يطن فى رأسى٠ هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ ٠ المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة ٠٠ لا لست مسئولا ٠٠ حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده ٠ والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة ٠ بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مامور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله ٠ قدم لى الرائد «٠٠٠» مامور السجن العزاء ٠ وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة ٠
والمرة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ ابريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة ٠ ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا ٠٠ ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه، ويده ممدودة بالتحية ٠٠ وقال :

ـ ارجو انك ما تكونش زعلان ٠
ـ ودى مسألة تهم سيادتك ؟
ـ طبعا تهمنى ٠٠ خصوصا الآن ٠
ـ ولماذا الآن بالذات ؟

ـ من أجـل الثورة والتطـور الاشتراكـى ·
ـ ومؤامره أمس ضد زملائنـا ·· كانت من أجل ذلك ؟
ويرد الرجل بخبث شـديد :
ـ عببكو يا شيوعيين انكو بتحطونـا فى كفـة واحـدة · انا ليس لـى علاقـة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك ·

فهمت ما يقصـده ·· ولم أعلق ·· وعنـد انصرافـى قـال للضابط الذى يرافقنـى ·
ـ اللواء **حسن الصيلحى** عاوز يشـوف الأستاذ ··
وجدت الرجل « مهذبـا » أكثر من اللازم الى درجـة أنـه اسـتقبلنـى على باب مكتبه ثـم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
ـ ارجو ان تفهموا موقفـى على حقيقته ··
ـ موقفك بالذات معروف لنـا تماما ·
قال بأدب متجاهـلا سخريتى
ـ موقفـى ينبع من أرضية فكرية ·
ـ ولحساب من هذا الموقف ·· الذى تسميه فكريـا ؟

بلع الرجل كلماتى ·· ومد يـده محييا ·· انصرفت الى منزل أخى لأول مـرة بعد ١٢ عاما · وبعد أيـام نقـل حسن الصيلحى الى ادارة الجـوازات والجنسية ·
والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن الصيلحى كانت فى صيف **عام ١٩٦٨!** فى خـلال استراحة احد المسارح وكان معـى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف** وجرى حديث بينه وبين **حسن الصيلحى** وكنت صامتـا · وادرك الخفيف اننى لا اتذكـر حسن الصيلحى ·· فقـال من خلال ضحكته العاليـة المشهورة عنـه ··
ـ أنت مش عارف الأستاذ والا ايـه ؟
قلت وانا اتأمله محاولا تذكـره ··
ـ والله مش واخد بالـى ·
ـ حسن الصيلحى ·
[illegible] كلمة دون أن [illegible]
ـ [illegible] ساتر ··
ضحك حسن الصيلحى وقال :
ـ لا خلاص ·· انا دلوقت رجل أعمال ·
وأكمل الدكتور محمد الخفيف بخفـة دمه المعروفـة ·

ـ شركة استيراد وتصدير يا استاذ ·· فى جنيف ·· امـال ·· عقبال املتـك ·

- أمـل عدوينـك يا دكتور ٠
ويقـول المصيلحى ٠٠
- لبـه بقى ٠٠ والشغلة دى فيها أيـه كمان ٠
قلت بسخريـة :
- يعنى ٠٠ ترقيـة ٠٠ الشغل بقـى على مستوى عالمـى ٠
قـال :
- يعنى انت لسـه عند رأيك ٠٠ طيب دلوقت لحساب مين ؟
قلت ضاحكـا :
- لحساب كله ٠٠ عالمى يا أسـتاذ ٠
قـال :
- على أى حـال أنـا ضد الشيوعية ٠٠ من موقع فكرى ٠
قلت والخفيف فى نفس واحـد بسخرية :
- واضح ٠٠ واضح جـدا ٠

فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن المصيلحى مساء يوم ٥ ابريـل ١٩٦٤ ٠

حبيبتى

هذه هى الرسـالة السادسه اليك ٠٠ ومازلت عنـد احـداث يوم الافـراج رأيت ان ابـدأ بهـا ٠ فربما تعطيـك فـكرة عن بعض مـا تريدين معرفتـه عنـى ٠ أما عن ذكرياتـى خـلال ١٢ عاما من السجن والاعتقـال فموعدهـا رسائلى القبلـة ٠

١٤ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم ٦

حبيبتى

بعد تلك الليلة المثيرة التى قضيتها فى « **تخشيبة** » **قسم بوليس الوايلى** ، أخذنى **البكباشى أحمد حلمى** « رئيس قسم مكافحة الشيوعية » ومنئذ الى النيابة العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفيه معلنه منذ حريق **القاهرة فى يناير ١٩٥٢** • كانت الشهور التى تلت حريق القاهره تشهد ازمة النظام الخانقة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليدية بما فيها الأحكام العرفية ذاتها وكانت الدوره تدق الابواب ، ولكن لم يكن هناك التنظيم الجماهيرى القادر على القيام بثوره شعبية تطيح بالنظام الملكى • ومن هنا كان موقفنا هو التحذير من انقلاب فاشى والنضال من أجل عودة **حكومة الأغلبية ،حكومة الوفد** • كانت السلطة الحقيقية هى للبوليس السياسى ، وبالتالى كان البكباشى **أحمد حلمى** هو الحاكم الفعلى وبعد الاستعمار الأمريكى الذى بدأ منذ الخمسينات على وجه الخصوص يوطد نفوذه فى البلاد • حين بدأ **رئيس النيابة العسكرية** التحقيق معى تجاهل تماما طلبى بعدم **حضور أحمد حلمى** التحقيق ولما كررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما لم اتبينه • وحين طلبت أن يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمى •• رفض أيضا بغضب •• قلت بهدوء :

ـ طيب على الأقل •• واحتراما **للسلطة القضائية** •• هل تأمر بفك **القيد الحديدى** من معصمى ! اختلطت حمرة الغضب بحمره الخجل ليكسو وجهه لون غريب جسد كل ما يعانيه الرجل من مذله ومهانه •

بعد فتره صمت قصيرة ، **تدخل أحمد حلمى** وأمر بفك القيود من يدى !

كان ... سريعا و...سيرا فلم ... أى ... قانونى يثبت تهمه تأسيس وإدارة وتنظيم « الحزب ... المصرى » • حتى تقارير البوليس السياسى لم تكن تعرف اسمى الحقيقى فحتى يوم القبض على **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل بدء التحقيق أن استفيد من موقفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح به المحامون بعد ذلك • ولم يكن فى القضية سواى وزميل آخر مارسوا معه كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ • انتهى التحقيق فى أيام وبقينا

فى سجن مصر فى انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الأيام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى ٠

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحى رضوان وزير « الارشاد القومى »** تفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** سوف يفرج عنهم فورا ٠ وخلال زيارات الاهالى لنا قالوا ان **فتحى رضوان** أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا فى **العهد** الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات التنظيمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** وكان عددهم لا يتعدى الثلاثين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمتهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض ٠ وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى **أحمد شوقى الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا ٠ وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وانما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة واحدة فقط هى حالة استيلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزميلى **مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١** آخرين قبض عليهم **بعد ٢٣ يوليو** والاتهام الموجه للجميع هو قلب **نظام الحكم** ٠٠ اثنان متهمان بقلب **نظام الحكم الملكى** والباقى متهمين بقلب **نظام الحكم الجديد !!**

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات** العسكرية وأعضائها من مستشارين كى ينظرها **مجلس عسكرى** اعضاؤه **من العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقى عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكرى وباجراءات مجلس عسكرى** ٠ وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها **مجلس عسكرى خاص** ٠

وقد نشرت **روز اليوسف** خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية ارتاحت** لتشكيل **مجلس عسكرى خاص** لمحاكمة الشيوعيين ٠ وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسأل باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون **صدقى** الذى أقصى عقوبة فيه هى **١٠ سنوات أشغال شاقة ؟** أم بقانون محاكم الثورة والذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى صدر عام ١٩٤٦ غير الدستورى لانه صدر

فى قبة البرلمان حلما ننمناه !! ومضت أيام لم نصلنا اى اجابة على هذا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنا لم يعرفوا اجابة على هذا السؤال ! أكثر من ذلك لم نكن نعرف ولا المحامين يعرفون أين سنحاكم ؟ .. هل فى احدى قاعات **المحاكم الجنائية أم** فى أحد **معسكرات الجيش ؟** ووصلتنا اشاعات تقول بأن النية تتجه الى عمل محاكمات سريعة فى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عدد من الأحكام **بالاعدام وتنفيذها فورا رميا بالرصاص !**

وهكذا عشنا أكثر من عشرة أيام نهبا للاشاعات والاخبار المتضاربة ، غير ان الروح المعنوية للغالبية العظمى من الزملاء المقدمين الى هذه **المحاكمة الاستثنائية** كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح ـ **الاستشهاد فى النهاية** وكنا فى نهار كل يوم نعقد **الاجتماعات** لتقوية الروح المعنوية ، وفى المساء بعد قفل الزنازين ننشد الأناشيد الوطنية .

ولم نعرف موعد المحاكمة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الذى خرجنا فيه للمحاكمة ، ولم نعرف وفق أى قانون سنحاكم الا من نائب **الأحكام البكباشى حسن سرى** قبل ان تبدأ أول جلسة للمحكمة .

وبدأت محاكمتنا لتستمر أكثر من شهرين ثم توقفت لتبدأ محكمة جديدة **برئاسة اللواء فؤاد الدجوى بعد أن قبض على رئيس المحكمة الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .**

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون ارهابا لنا ولكل زملائنا فى الخارج، ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحدينا ارهابهم وحدثت أثناء محاكمتنا أمام المحكمتين قصص طريفة .. موعدها معك يا حبيبتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان يوم ٨ **يوليو ١٩٥٣ يوما** غير عادى فى سجن مصر . فمن المعتاد أن تفتح زنازين كل عنبر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكي يقضى المساجين « حاجتهم » فى دورات المياه ، ثم ينزلون الى فناء السجن فى « طابور » صباحى ، بعدها يتسلمون وجبة الغذاء ، ثم تغلق **الزنازين** .
لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد . الزنازين التى كان بها الزملاء المتهمون فى القضية الأولى المقدمة الى **المجلس العسكرى برئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** هى فقط التى فتحت تحت اشراف مأمور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنا من الطابق الثانى عنبر ب **فى سجن مصر** وهتافاتنا تهز كل جدران السجن .. عاش نضال الشعب المصرى .. تحيا مصر حرة مستقلة وكان زملاؤنا من التنظيمات الأخرى ينشدون .. بلادى بلادى ويلوحون لنا بأيديهم مشجعين .

وفى غرفة المأمور كان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجراء الكشف على قلوبنا .. لا أدرى لماذا ؟

بعد الكشف على قلوبنا ووضع **القيود الحديدية** فى معاصمنا خرجنا من باب السجن العمومى لنجد أربع سيارات وقد امتلأت برجال الشرطة .. **الأسلحة الرشاشة فى أيديهم** مصوبة نحونا .. وعربتان مغلقتان تماما مثل الزنزانة ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** . كانت المنطقة المحيطة بالسجن خالية تماما .. الدكاكين مغلقة .. لا باعة .. والأهالى فقد منعت الزيارة فى هذا اليوم . ومن الطريف أن قائد الحرس كان لايعرف شيئا عنا فسألنى .

- أيه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بأيه ؟
- شيوعية .
- طيب وليه الهيصه دى كلها ؟

قلت بسخرية :

- بيبدو ان احنا خطرين قوى ..

وأردت أن أعرف منه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لى انه لايعرف بعد !

ــ أمـال راح تودينـا فين ؟

قال الرجل الطيب :

ــ اديني مستنى الأوامـر ٠٠

وعرفت من **البكباشي رئيس الحرس** أنه استدعى مسـاء أمس مـن قنـا حيث يعمل هنـاك ــ فى مهمـه سرية جـدا وعليه أن يتواجد فى سـجن **مصر يـوم ٨ يوليـو ١٩٥٣ !**

بعـد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب المهيب ٠٠ سيارتان فى **المقدمة ورشاشات** تحملها الشرطة مصوبة **الى امام** العربيتين اللتين نركبهمـا ٠٠ وسيارتان خلفنا **والرشاشات مصوبة الى الخلف ٠٠**

نادانى مأمور الحرس لأجلس الى جانبـه ٠٠٠ بعد دقائق قلت ضاحكا :

ــ أيه العظمة دى كلهـا !

رد على الرجل وكان التأثر بادىا على وجهه ٠

ــ يا ابنى انت فى أيه والا أيه بس !

ــ يا سيدى ولا يهمك ٠٠ لكن احنا راح نتحاكم فين ؟

ــ فى محكمة الاستئناف ببـاب الخلق

صحت فرحـا وأعلنت الخبـر للزملاء ٠

تعجب المأمور وسألنى فى اندهاش

ــ أيه الحكاية مبسوطين قـوى كـده ليـه ؟

قلت :

كنا فاكرين اننا رايحين أحـد معسكرات الجيش ٠٠٠ نتحاكم هنـاك زى **خميس والبقـرى ٠٠٠**

علق الرجل وقـد ازداد اندهاشـه ٠

ــ ليـه يا ابنى وانتو عملتوا أيـه ؟

كـان الموكب قـد وصل الى مـيدان باب الخلق ٠٠ هذا الميـدان **المزدحم** الذى لاتجـد فيـه موطأ لقـدم ٠٠ كـان خاليـا تمامـا ٠٠ مـن السيارات وعربات الكارو ٠٠ ومن كل الناس ٠ وقفت عربات الموكب ، وعلـى **طـول** السلم والطـرقات المؤديـة الى قاعة المحكمـة ٠٠ اصطفت اعداد **هائلـة مـن** الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هـذا الحشـد الهائل من الجنود ٠٠ **سرنا** نرفع ايدينـا المقيدتين **بالقيود الحديديه** نحيى أهالينا الذين وقفـوا **علـى** مبعدة منـا وننشد ٠٠ **بلادى ٠٠ بلادى ٠٠ لك حبى وفؤادى ٠٠**

وبعـد أن ادخلونا قفص الأتهام ٠٠ دخل الأهالى والمحامون **الى قاعـة** المحكمـة ٠ جـاء عـدد كبيـر مـن المحامين التقدميين والوطنيين ٠ **كان من** التقدميين أسماء لامعـة ولمعت أكثـر فى الستينات ٠٠ **وكنت اعـرفهم** جميعـا ٠٠ للأسف كان موقفهم مخزيا ٠٠ واحـد منهم تنحى عن **الدفـاع عنـى وآخـرون** تنحوا **أيضـا** ٠٠ ولمـا **سألت** عن السبب **قالوا :**

ـ أصل ما فيش فايــدة ·· الأحكام صادرة ·· صادرة ·

يؤسفني أن أقـــرر انني استقطتهم جميعـا ·· واحتقارا لشانهم لم اعلق ·

الذين دافعوا عنـا كانوا متطوعين كـان من بين **الوفـدين ·· سليمـان غنـام** ، **أحمد الحضرى** ، ومن بين رجـال المحاماة البارزين **موريس أرقش وعادل أمين** وغيـرهم · حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنـا كان موقفهم عظيما · اذكر منهم **الدكتور مدحت** الــذى جاءنى فـى قفص الاتهام يطلب منى فـى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاسـتاذ سليمان غنـام** ·· قـال :

ـ رغم انني لست محامي جنايات لكنى قـرأت كـل التحقيق ·· وأنت ١٠٠٪ بـــراءة ·

ـ ١٠٠٪ بـراءة ؟ سيادتك متفائل قـوى ·

قال الرجل ورنـة صوته تحمل كل الثقـــة ·

ـ التهمــة الموجهة اليك قلب **نظـام الحكم الملكى ··**

قلت مازحـــا :

ـ طب ودى فيهـا أيــه ؟

ـ ما أهو **الضباط** قلبـوا **نظـام الحـكم الملكى** فعـــلا اللى انت متهـم بمحـــاولة قلبـــه ·

ـ ده كـلام منطقى يا دكتور ·· لكن ··

ـ ما أهو يا تطلع انت براءة ·· **يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك··**

لمحت على باب القاعـة الاستاذ **سليمان غنـام** قادما نحـوى ·· ســمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقـال مبتسما :

ـ يا دكتور مدحت ·· ما تزعلش ·· روق دمك ··

ورأيت الدهشـة على وجه **الدكتور مدحت ··** وراح يخبط يـده باليـــد الأخـرى ويقـول كلامـا لم اتبينــه ··

قال لـه الاستاذ **سليمان غنـام** مبتسما ··

ـ بعدين افهمك يا دكتور مدحت ·

قال لـى **الأستاذ سليمان غنـام** « رحمه الله » :

ـ موقفك فى القضية سليم جـدا ·· لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون بـــراءة ·

قلت ضاحكا :

ـ هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

ـ انا باقول القـانون ·· مش المنطق ·· ليس هنـاك دليل واحد عليك·

قلت :

ـ يا استاذ غنـام ·· أنت موكـل للدفـاع عـن **الديمقراطية والحـريات السياسية ·· كل ما** تـريده **هو** أن يسمع الرأى العام **دفاعك عن الحـرية** ·

وصاح الحاجب :

ـ محكمـــة ·

ـ دخل **القائمقام احمد شوقى عبد الرحمن** رئيس المحكمه ·· وضـابطان برتبـه صاغ ·· بعدهما دخل **حسن سرى** نائب الأحكام ·· ثـم **على نور الدين** « المدعـــى » ·

قبل أن يجلسوا ·· وقف أعضاء المحكمـه ووضعـوا أياديهم اليمين علـى المصحف ورددوا القسـم ·· وبـدأت المحاكمـــه ·

نادى رئيس المحكمة ·· المتهم الأول (···)

ـ هل لك اعتراض على المحكمه ؟

ـ اعترض على تشكيل المجلس العسـكرى ·· وليس لى اعتـراض على اشخاص المحكمـة ·

واعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكرى

وتقـدم المحامون ·· **سليمان غنـام ·· أحمد الخضرى ·· موريس أرقش، عادل أمين** يطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظـر **مجلس الدولـة فى المذكـــرة** التى تقدموا بهـا يطعنون فى دستورية **تشكيل المجلس العســكرى** ·

ورفعت الجلســه للمداوله ·

وانعقدت المحكمة بعـد نصف ساعة وأعلن الرئيس

ـ قـررت المحكمة الاستمرار فى نظـر القضية المعروضة عليها حتى يصدر **مجلس الدولة** قـراره بشأن اعتراض الدفاع على تشكيلها ··

واستؤنفت المحاكمة ·· جلسات صباحية ومسائية واستمرت شـــهرين كاملين ·· وقبل ان تصل اجـراءات المحاكمة الى نهايتها بأيـام ·· **قبض على أحمد شوقى عبد الرحمن رئيس المحكمـة وعلى المرحوم الاستاذ سـليمان غنـام !** كيف بـدأت المحاكمه ·· وكيف انتهت **بالقبض على رئيس المحكمـة وعلى المحامى الذى** يدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبلة ·

١٦ ينـاير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم ٨

حبيبتي

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا **أمام المجلس العسكري** برئاسة **القائمقام أحمد شوقي عبد الرحمن** • وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساءا، وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والاصدقاء وتناول الأكل « **البيتي** » الذى حرمنا منه مدة طويلة • كميات وافرة من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منذ دخلنا السجن •• كنا نأكل في المحكمة ونأخذ معنا أيضا • حدث مرة أن أعترض ضابط السجن (•••) وكان معروفا بصلته **بالمباحث العامة** ، على ادخال ما نأخذه معنا من طعام الى السجن • شكونا لنائب **الأحكام حسن سري** فأمر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت في قاعة المحكمة •

قلت له يوما :

ــ تبدو انسانا •• خلاف ما يدل عليه مظهرك •• ودورك في المحاكمة

ابتسم وقال :

ــ وعلام يدل مظهري ؟

قلت ضاحكا :

ــ فاشي

ضحك وقال :

ــ وهل تأخذ بالمظهر ؟

ــ أرجو أن نتاح لي فرصة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكري تكونت بيننا شبه صداقة • اذا شكونا له من سوء معاملتنا في السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمر بمعاملة حسنة **وفق اللائحة** •

ورئيس الحرس •• نشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

ــ لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• ساشعر بنقص في حياتي بعد انتهاء المحاكمة •

قلت ضاحكا :

ــ بسيطة •• دعني أهرب ••

قال :

والله يا ابنى لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهرب .. لكن أنا عارف انك راح تخرج براءة .

– ومنين عرفت .. ؟

– لقد سمعت رئيس المحكمة **يهنئك** .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينه واقعه القبض عليك .

وحقيقة .. لقد **هنانى رئيس المحكمة** .. كما هنانى **على نور الدين** المدعى العام **وحسن سرى** نائب الاحكام والبك ما حدث .

حين بدأت المحكمة فى سؤال شهود الاثبات .. تضاربت أقوال الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زميلى **مصطفى كمال خليل** مساء وكان قد قبض عليه صباحا .. والآخر قال اننى بعد ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجرى خلفى وهو يصيح :

– حرامى .. حرامى ..

وعلق **الاستاذ سليمان غنام** ساخرا .

– ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاستاذ **غنام** انتقال المحكمة لمعاينه واقعه القبض على كان **رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل** ..

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا تدخله الشمس ابدا .. ويقبع فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد فى حوشه أو على السلم فى وضح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زميلى وكنت انتظرهم فى الشارع همس غنام فى اذنى .

– المحكمة مقتنعة تماما ببرائتك .

وقال على نور الدين :

– مبــــروك .

قلت :

– كان المفروض أن تقوم النيابه بذلك .

لم يعلق الرجل

والتفت الى **أحمد شوقى عبد الرحمن** وقال :

– من الناحية القانونية .. **مبـــروك** .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف **أحمد شوقى عبد الرحمن** . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل **الجوانب القانونية** . ورغم ان المدعى طلب مرات عديده أن تعقد الجلسات سريه فقد رفض الرجل وكان يصر على **علنية الجلسات** ويطلب نشر ما يدور بها

فى الصحف • وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئا فيما عدا **جريدة المصرى** التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى جلسات المحاكمة • ويوميا وطوال مدة المحاكمة كنت أقول للاستاذ غنام أن الصحف **لا** تنشر شيئا •• وكان يطلب من المحكمة ضروره أن تنشر الصحف ما يدور فى المحكمة •• وكان **أحمد شوقى عبد الرحمن** يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون الرأى العام رقيبا على ما يدور •• **وكان** يطلب يوميا من نائب **الأحكام الاتصال** بالصحف وأن يطلب منها النشر •• وكثيرا مالام مندوبى الصحافة الذين يحضرون الجلسات •

وهكذا تحولت المحاكمة **ما يقرب من الشهرين الى نزهة •• فيها ما فيها من الطرائف ••**

وفى أحد الأيام ذهبنا **كالمعتاد** الى المحاكمة •• **وقبل ان ندخل قاعة** المحكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس باعادتنا الى السجن •

سألته ••

ـ ماذا جرى ؟ **هل أجلت المحاكمة ؟**

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

ـ أيوة أجلت ••

ـ ليه ؟

ـ **لأن القاضى القى القبض عليه !**

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيه شهرا فى انتظار محاكمة جديدة حتى شكلوا مجلسا عسكريا جديدا برئاسة اللواء فؤاد الدجوى •

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ••

موعدها معك يا حبيبتى فى الرسالة القبلة •

١٧ يناير ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتــى

بعــد القاء القبض على « **القاضى** » **احمد شوقى عبد الرحمن** مكثنــا فــى السجن أكثــر من شهر ونصف ٠ وبدات محاكمتنا من جـديد امــام مجلس عسكرى برئاسة **اللــواء فؤاد الدجوى فى أكتــوبر ١٩٥٣ ٠**

لم تبــدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كمــا يحدث فى المحاكم الجنائيــة ٠ وانمــا باجراءات المجلس العسكرى الذى يلغى كل اجــراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد ٠ بعد أن أقسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها علــى :

– المتهم الأول ٠٠ **عبد الرحيم عثمان** – هل لك اعتـراض على تشــكيل المحكمــة ؟

– أعترض شكلا وموضوعــا ٠

– المتهم الثانى (٠٠٠)

– أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة فى الدعوى المرفوعــة أمامــه بعــدم دستورية تشكيل هذا المجلس ٠

– هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا ٠

– بل هو مجلس عسكرى ٠٠ وأحكامه جاهزة ٠

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد ٠٠ وترتفع هتافاتنا ٠٠ الدستور٠٠ الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظــر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه ٠ ويتداول « القاضى » مع نائب الأحــكام ٠٠ ويقول :

– قــررت المحكمة الاستمرار فى نظــر القضية ٠٠ المتهم الثالث (٠٠٠)٠

– تشكيل هذا المجلس غير دستورى وأعترض عليه ٠

ويسأل « الدجوى » :

– [illegible] تعترض [illegible]

– [illegible] ٠٠ أعترض ٠٠

– لماذا تعترض ؟ ٠ ستحكم بالقانــون ٠

– لا تملكون ٠٠ الأحكام جاهزة ٠٠

ويصرخ الدجوى ٠ يهدد مــرة أخــرى ويقول :

– كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (٠٠٠)

– هذا النــوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات ٠٠ لا للقاضى ٠٠ ولا للمحامى ولا للمتهــم ٠٠.

ويعــاود الدجوى صراخه ٠٠ وتتوالى تعليقات الزملاء :

ـ أين القاضى الســابق ؟

ـ أين أحمد شوقى عبد الرحمن ؟

ـ وأين الدفــاع عن المتهمين ؟

ـ أين الاستاذ سليمان غنــام ؟

ـ فين هيــه الضمانــات ؟

ـ الدستور هو الضمــان ٠

وترفع الجلسة ٠٠ وبعــد خمس دقائق تعــود **للانعقــاد** ٠ يهدد مــــرة أخــرى ثــم ينــادى :

ـ المتهم الخامس (٠٠٠)

ـ نرفض التهــديد ٠

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ نرفضكم شــكلا وموضوعا ٠

ويعترض المتهم السادس ٠ ثم المتهم السابع ٠٠ وكنت أنا المتهم الثامن٠٠ اقــــول :

ـ أين الاستاذ سليمان غنــام ؟

ويصرخ الدجــوى ٠٠

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ سأجاوب ٠٠ ولكن فى حضور المحامى الموكل عنى ٠

ـ محامى لم يحضر ٠٠ المحكمة مالهــا ؟

ـ المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟

ويتقــدم محامى من مكتب الاستاذ غنــام ٠٠ يقول :

ـ **الاستاذ سليمان قبض عليــه** ٠٠ وهو يطلب السماح بحضوره للدفــاع عن المتهــم ٠

ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :

ـ على النيــابة أن تقوم بعمل اللازم ٠٠

ويقــول لى :

ـ جاوب على السؤال ٠

ـ لمــا يحضر الاستــاذ غنــام ٠

ـ المحكمة ستنتدب محاميا آخــر ٠

ـ وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنــام ٠

(صمت)

ثــم ينــادى على المتهم التاسع ٠٠ و و ٠ والثالث والعشرين ٠٠ الجميــع يعترضون على تشكيل المجلس العسكرى من حيث الشكل والموضوع ٠ وفــى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتنعقد فى صباح الغــد ٠

فى مســاء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمــة وقــررنا

أن نجعل منهـا مظاهـره سياسية نطالب بالديمقراطيـة والحـريات السياسية والدسـتور . ومع أننـي اتفقت مـع الزملاء على أن أقـوم بعمل دفـاع سياسـي . الا أن الزملاء في الخارج رفضـوا ذلك . بحجـة أنـه لا يجب التفريط في موقفـي القانونـي في القضيـه ، خاصـه وأن « القاضي » السابق كـان قد أبدى رأيا ببراءتي . واتفقنـا على أن يقـوم الزميـل **سعد باسيلي** بعمل هـذا الدفـاع السياسـي وكنت قـد انتهيت من اعـداده قبل أن يلقيه سعد باسيلي بوقت كاف حيث أرسلناه للزملاء في الخـارج لطبعه وتوزيعـه أثنـاء القـاءه في المحكمة . وبالفعـل بينما كـان سعد باسيلي يلقي دفاعـه السياسي كان زملاؤنا في **الخـارج يوزعونـه** وكانـوا قـد أرسـلوه الى القاضـي وأعضـاء المحكمة وكل المحامين .

وكان مشهدا طريفـا .. **سعد باسيلي** يلقـي دفاعـه السياسـي من ورق مكتوب بخط اليـد .. وعدد مـن المحامين يستمعون اليـه .. ويقـرأون ما يسمعونه في **كتيب** « **مطبوع** » .. الصمت يلف قاعـه المحكمة وأعضائهـا وصوت سعد باسيلي يرتفـع .

وتوالـى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقـد ركزوا على الجانب السياسي في القضية ولم يكن الجانب القانوني يحتل في دفاعهم سـوى القـدر الضئيل جـدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف . بعدهـا سمعنـا اشاعات قوية تقول بأن القضيـة سـوف تحـول الى محكمـة الثورة . وقد ازعجتنا هذه الاشاعات . فقانون صدقي « غيـر الدستورى » أقصى عقوبـة ينص عليهـا هـي عشرة أعـوام أشغال شـاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعـدام . وفي أحـد الأيـام همس نائب الأحكام لنـا :

ـ اطلبوا من المحامين الاختصار في الدفاع .

ـ لماذا انها فرصـة لرؤيـة الأهل وشم الهواء .

قال الرجل بجديـة :

ـ هنـاك اتجاه قوي لتحويلكم الى محكمة الثورة .

واستمرت المحاكمة عـده جلسـات ، ثـم رفعت الجلسـة وأعلن رئيس المحكمة انتهـاء المحاكمة في **النصف الثانـي من نوفمبر عام ١٩٥٣** . وبقينـا في سجن مصر ننتظـر اعـلان الأحـكام ، فالمجلس العسـكرى لا يعلن أحكامه في قاعة المحكمة وانما بعـد التصديق عليهـا من رئيس الجمهورية !

وفي **١٢ ينـاير ١٩٥٤** أعلنت حـالة الطوارىء في السجن كله وفي كـل المنطقة المحيطة بـه .. لسبب لم نعرفـه ولم يعرفـه احد الا بعـد ان وقف ٢٣ زميـلا في طابـور ليتلو **ضـابط كبيـر** في الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكـي لك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١٠)

حبيبتـــى

كتبت جريدة **المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤** وصفا للطريقة التـى **اعلنت** بها الأحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به **الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجونا** ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وانما كان تعبيرا عن **موقف حزب الوفد** من الحريات السياسية والديمقراطية ٠

فى ذلك اليوم ظلت **زنازين السجن** كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحا وهى عادة تفتح فى السابعة ٠ السجانة يقفون خارج الزنازين لا يعرفون السبب ٠ والمنادى الذى ينادى يوميا على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالمعتاد ٠ والأهالى الذين كنا نراهم يوميا حول السجن من شبابيك الزنازين الضيقة لم نجد لأى واحد منهم أثرا ٠ الدكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن أغلقت كلها ٠ ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان **انقلابا جديدا** وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر ٠ سالنا السجانة والححنا فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعا ٠٠ كما يصمت أبو الهول ٠ وفى التاسعة صباحا ٠٠ فتح باب العنبر ٠٠ ثم سمعنا صوتا ينادى ٠٠ بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء ٠٠ عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها ٠ وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتا :

ـ الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل ٠

اذن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثناء تلاوة الأحكام ٠

وقفنا صفا واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام ٠٠

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يده :

ـ كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام ٠

وبدأ ينادى ٠٠

ـ المتهم الأول ٠٠ **عبدالرحيم عثمان** ٠

ـ ١٠ سنوات أشغال شاقة ٠

ويهتف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصري
- المتهم الثاني ·· (··) ·
- ١٠ سنوات أشغال شاقة ·
- عاشت الحرية ويسقط الارهاب ·

وهكذا ·· كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم · ولم يصدر حكم واحد بالبراءة · لم يعترض احد من الضباط على الهتافات ·· وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل انحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام · ثم ارتفعت أصوات زملاءنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ·· بلادى ·· بلادى ·

كنت انا **ومعى ١٠ زملاء** حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ **سنوات** · وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين ١٠ **سنوات و ٥ سنوات سجن** وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان · وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق يلبسون الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة يلبسون **بدلة زرقاء ·· ممزقة ·· بالية** · بها اعداد كبيرة من حشرات « **القمل والبق** » ·· ويدق فى كل قدم حلقة بها **سلسلة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ·· وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى · ويقضى الحكم بأن يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها ابدا ·· سواء فى نومه ·· أو فى يقظته ·· أو حتى عند الاستحمام ··**

على باب سجن مصر الخارجي كانت تنتظر عربتان ·· انا وخمسة زملاء ركبنا احداها ·· والخمسة الآخرون ركبوا الآخرى ·
سارت بنا العربة الأولى الى ليمان أبي زعبل واتجهت العربة الثانية الى ليمان طره ·

وعندما تحركت بنا السيارة ·· لمحت على البعد اخى مسعد « رحمه الله » ومعه زوجتى السابقة يلوحان لى من بعيد ·· كانا قد أتيا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من **سجن مصر الى ليمان أبو زعبل** ·· كنا ننشد نشيد (بلادى ·· بلادى) · وننشد :

اخى ما الحديد اذا البسونا الحديدا
لقد جهلونا اذا حسبونا عبيدا

فجأة .. قال **وليم اسحق** وهو يبتسم وقد أمسك قيوده بيديه
ـ الا قولى يا درش .. لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاى ؟
وتنبهت الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها القدم .. وحاولنا جميعا خلعها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول القدم .. وتصل الحلقتان **سلسلة حديدية ثقيلة** لا يمكن الافلات منها الا على يد « حداد » .. ومتى ؟ **بعد ١٠ سنوات** ! !
قلت ضاحكا ..

ـ على أى حال نمكن ان نستفيد من خبرة من سبقونا .
قال وليم اسحق ضاحكا :
ـ شوف استفيدوا انتو بقى .. شوف .
كان يرفع قدمه اليمنى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها منها بيده ..
قال مجدى ضاحكا :
ـ يا نحنك يا وليم .. عملتها ازاى .. ؟
قال بزهو :

ـ دى عى يا استاذ .. امال بنلعب .
كان وليم نحيفاً الى درجة مخيفة .. ويبدو ان الحداد الذى وضع له الحلقتين فى قدميه ثم وجد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى رجله اليمنى .. فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج رجله منها رغم محاولاته .

قلت لوليم ضاحكا
ـ انت بمبنى يا وليم ..
ـ انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالى ساعة .. كنا أمام **ليمان أبو زعبل** .. على باب الليمان كان يقف **المأمور ومعه ثلاث ضباط** واكثر من **عشرة سجانة** .. من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « الجبل » كان **موكب العبيد يقترب** منا تدريجيا .. وفى **الأفق** كان شعاع الشمس الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد **نهار كامل** من الشغل فى **تقطيع** أحجار **البازلت** فى الجبل . ويحيط

بهم عشرات الجنـود وهم يحملون مدافعهم الرشـاشه ٠٠ وعـدد من الضباط يمنطـون حبولهم ٠

وعلى باب الليمان جلس المساجين « ديز » لاجـراء التمام ٠٠ بعـد دقائق ضرب بروجـى « التمام » والتمام فى لغـه السجون هو مراجعـه عـدد المسـاجين للتاكـد من مطابقـة العـدد لما فى دفاتر السجن ٠٠ وهى عمليـة تجـرى يوميـا صباحا ومسـاء عنـد خروج المساجين للعمـل وعند عودتهم ٠

« اذن سنكون من الغـد أفـرادا فى حشد العبيـد هـذا ٠ وهـل يطـول بنـا العمر عشر سنوات على هذه الحـال ٠٠ وهـل نحتمل هـذا العذاب اليومى » ؟ ٠

وأفقت من تـأملاتـى على صوت سـجان ينـادى علينـا ان نتبعـه ٠ كـان السـكون مخيما تماما على الليمـان ٠٠ العبيـد دخـلوا عنابـرهم ٠٠ عدد من السجانـة والضباط يغـادرون الليمان الى بيوتهم ٠٠ وعلى باب مكتب المامور وقف الضابط النوبتجـى و٣ سجانـه ٠٠ وأمـام المكتب وقفنـا صفـا واحـد ٠٠ ما ان خـرج المأمور من مكتبه حتى سمعنـا صوتا عاليـا يقـول :

ـ اقعـد « ديـز » يا مسـجون أنت وهو

لم ننفـذ ٠٠ وظللنـا واقفين

عاد الصوت أكثر حـدة :

ـ يا مسـجون أنت وهوه أقعـد

ظللنا واقفين ٠٠ وهم احـد السجانـة بعصاتـه كى يضربنـا ٠٠ لكن احد الضباط منعـه ٠٠ وقال :

ـ ليـه ما بتنفذوش الأمـر

قلت بتحـد :

ـ لم نعتـد على هذا ٠

ـ لكن انتو دلوقت محكوم عليكو بالأشغال الشاقة

ـ ولـو

ـ يعنى ايـه ولو ؟

ـ يعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين ٠

كان المامور فى مكتبه يسمع الحوار وفجـأة خرج وهو يصيح بصوت عـال :

ـ انتو هنـا فى الليمان ولازم اللائحـة تتنفذ ٠

ـ وهل فى اللايحة اهانة المسجونين ٠

ـ بلاش فلسفة ٠٠ حكاية الشيوعية دى مش هنا ٠٠ انتم هنا مساجين٠

ـ مساجين بس سياسيين ٠

زاد غضبـه :

ـ وايه يعنى ٠٠ عايزين امتيازات ؟

ـ لا ٠٠ عاوزين بس **تطبيق اللايحـة** ٠

تدخل ضـابط كـان يراقب الموقف صامتـا ٠٠ كـانت فـى نظـراته مودة نحونـا ٠٠ همس فى اذن المامور كلاما لـم نتبينه ٠٠ ثـم جـاء الينا وطلب ان نتبعـه ٠ وفى مكتبه دار معـه حديث ودود ٠٠ قال :

ـ انا طبعـا ماليش دعـوة بالسياسـة ٠٠ وانا عمرى ما شـفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس منقفين ٠٠ لكن طبعـا لازم تنفذوا اللايحـة ٠٠ فاهمين اللايحـة ٠٠

ـ احنـا لا نريـد غير تنفيذ اللايحـة ٠

ـ مضبوط ٠٠ يا الله يا سجـان خدهم على **التاديب** ٠٠

قلت محتجـا ٠٠

ـ منين لايحـة يا حضرة الضابط ٠ ومنين تودونا التاديب ٠٠

قـال ضاحـكا :

ـ تعجبنـى ٠٠ اهو كـده ٠٠

ثم تركنا وذهب الى مكتب المأمور ٠

فى السجون زنازين نسمى « **التاديب** » يسجن فيهـا المسـجون الـذى يرتكب مخالفـة فى السجن ٠ وتأديب المسجون هو ان يسجن « انفـرادبا » وينـام على **الأسفلت** ٠٠ ولا يأكـل **الا عيش حـاف** وملح الثلاث وجبـات ، ولا ولا يخرج من زنزانته أبـدا ٠

وطبعـا وضعنـا فى هذه الزنازين مخالفـة واضحة للائحـة السـجون ٠ جاء الضابط (٠٠) قائلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

ـ أصـل بقى فيـه مشـكلة ٠٠ انتو شيوعين والمأمور مش عـاوز يخليكو مع المسـاجين فى العنابـر ٠٠

ـ ليـه بقى وهو احنـا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقـال :

ـ خايف عليهم من المبادىء الهدامة بتاعتكو دى !

ـ معنى كـده اننا نعيش هنـا فى سـجن انفرادى ٠٠ يعنى اشـغال شـاقة وتأديب كمـان ٠٠

ـ دى مسـألة مؤقتـة

ووجدنـا الأمـر يصلح للمسـاومة ٠٠

ـ طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانة ٠٠

قال الضابط :

ـ أنا عرضت المسألة دى على المأمور ٠٠ ووعدنى أنه بعـد كـام يـوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ٠٠

ونظـر الينـا الضابط نظـرة ودودة وكنـا قـد ارتحنـا اليـه حيث

لسـنا منـه رغبـه جـادة في مساعدتنـا ·· فوافقنـا بشرط ان يتعهـد هو بتنفيذ ما وعد بـه ·

وتعهد الرجل بذلك ·

في الطريق الى التأديب ·· قال الضابط (···)

ـ والله « التأديب » ده أحسن من العنابـر ·· نضيف ومسـتمل ·· زى الفيـلا تمـام ··

ثم ضحك وقـال .

ـ وعلى فكرة الفيلا اللى أنا ساكن فيها بتطل عليكو ·

قلت ضاحكـا :

ـ يعني جيران ·· والجار لـه على الجار سبع حاجات

قـال .

ـ يا سيدى خليهم عشرة الا حكاية التزاور ·

ـ على الأقل من جانبك ·· تزورنا أنت ·

قال الرجل بـود :

ـ قوى ·· كل ما أكون هنا راح أمـر عليكو ·

فتح السجان ٦ زنازين ·· دخلها الضابط الواحـدة بعد الأخـرى ثـم

ـ كل مسجون لـه بطانية واحدة ·· وبرش يا افنـدم ·

قـال السـجان :

التفت الينـا الضابط ضاحكـا :

ـ شايفين وادينى بقيت برش ··

ثم وجـه كلامه للسجان :

ـ امشى هات لهم كل واحد بطانية زيـادة ·

وزنزانـة « التأديب » يا حبيبتى تختلف عن الزنازين العاديـة فـى السجون والليمانات · جدرانها من الأسمنت المسلح · ونافذتها الوحيـدة فى سقفهـا العالـى جـدا ، وبابها من الحديد · وليس بـه سـوى ثقب صغير يسمونـه فى السـجون «نضارة » ـ أى التى ينظـر السجان منها كلمـا أراد أن يطمئن على وجـود « ودبعتـه » ! بعد أن يحـرك قطعة الحديـد التى تـ[illegible] الخارج وينظـر منـه بعين واحـدة · [illegible] الثقب الـذى لا يزيـد [illegible] عن ٥ سم هو الوسيلة الوحيدة بين المسجون وسجانه عندما يغلق بـاب الزنزانـة ·

واذا حـدث مرة أن أراد سـجان التحدث مع مسـجون وهو داخل الزنزانة كى يسلى نفسـه فهو مسـجون مثله داخـل اسوار مبنـى « التأديب » ، فعليـه أن يحـرك قطعـة الحـديد التى تسـد الثقب ويمسـكها بيـده ، ويضـع فمه على الثقب ويتكلم بصـوت عـال (كذا ·· كذا) ·· ثـم يسرع بوضـع أحدى أذنيـه على الثقب ليسـمع المسـجون (كذا · كذا) ومرة ثانيـة يضع فمه على الثقب ليرد (كـذا · كـذا) ثـم يضع أذنـه

ويسمع من المسجون (كذا · كذا) ، ·· وهكذا حتى « يزهق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ، ثم أحدى اذنيه تارة أخرى ·· مرات يزيد عددها كلما طال الحديث ·

داخل هذه الزنزانة ، **وفى ١٢ يناير ١٩٥٤** ، وفى عز البرد ، أمضيت الليلة الأولى · انتقلت فجأة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس الملكية ويأكل الأكل « الملكى » من عند « المتعهد » أو من الأهالى الى محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية ·· ويأكل ؟ ··· يفتح باب الزنزانة ·· وأجد « **قروانة** » **بها شيء لم أتبينه** · لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر في معرفة « هذا الشيء » ! لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » · وجلست الى جانبها ·· ربما تبعث بعض الدفء في يدى المرتعشتين ! لسعات أسفلت أرض الزنزانة تخترق « البرش » الذى أجلس عليه ، فأهب واقفا ، وتحتك **السلاسل الحديدية** بقدمى العاريتين ·· أمسكها بيدى ·· أزيحها عن قدمى ·· فتمتص الحرارة التى أخذتهما من بخار « القروانه » · دمائق وتتحول « القروانة » هى الأخرى الى كتلة من **الثلج** · أفرش بطانيه مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « أنى » لبرش منسوج من الليف وعليه هذه البطانية أن يحمى جسمى الذى أحاول تمديده من البرد القارص ·· أنفخ فى يدى ·· وتبعث أنفاسى فيهما الدفء ·· لكن جسمى كله يكاد يتجمد ·· كتفاى ·· وظهرى ·· وصدرى · · وقدماى · من أين يأتيهم الدفء · جسم شبه عار ·· قيدوه بسلاسل حديدية ·· وتحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتيه » ، والهواء البارد يصب على رأسى لسعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلويه هكذا ·· طول الليل ·· محاولات يائسه للبحث عن أقل دفء ·· أقف تارة ·· وأجلس تارة أخرى ·· وأمدد جسمى المنهك مره ثانيه ·· والبرد لا يرحم ·· وأصوات الحراس تطن فى اذنى بين لحظه وأخرى .

ـ تا ·· ما ·· م
ـ تا ·· ما ·· م
ـ تا ·· ما ·· م

أى « **تمام** » · يتبادل الحراس الذين يقفون على سور الليمان الخارجى النداء بها طوال الليل · منذ غروب الشمس حتى شروقها فى صباح اليوم التالى ·

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان **نوما** ، **أم كان سقوطا فى غيبوبة** ؟ **كل ما أذكره** أننى تنبهت على صوت « زقزقة » **العصافير التى خرجت من اعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التاديب » تستقبل مولد يوم جديد** · شدتنى أصواتها الجميلة وأدخلت فى نفسى هدوءا سرعان ما بدده صوت البروجى يعلن ·

ـ تمـا ٠٠ مـا ٠٠ م ، تـا ٠٠ مـا ٠٠ م ٠

أى طلع الصباح يا مدير الليمان وكله « تمـام » ولـم يهـرب أى أحـد من المسجونين ! ٠ السـجان يضـع مفتاحـه فى بـاب الزنزانـة وأهب واقفـا وفى يـدى **جـردل** البول لأذهب بـه الى دورة الميـاه ، ولأمضـى « **حاجة** » « **حبستها** » طول الليـل وسببت لـى آلامـا حـادة ٠ عنـد عودتـى من دوره الميـاه ٠ وجدت على البرش ملابس سـجن أخرى ولكـن « أحسن شويـة » من هذه التى ارتديتهـا فى سـجن مصر ٠

سألت السـجان :

ـ **ألبسها ازاى ؟**

ـ أنت باين عليك « **كركـى** »

و « **كركى** » معناهـا فى لغـة السـجون هو عـدم المعرفـة بعالـم السـجون والليمانات !

ـ أيـوه « كركـى » خـالص ٠

ويبدأ الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف ألبسها !!

ورغم أن هذا السـجان وغيره كثيرون شرحـوا لى عمليـة خلـع الملابس ولبسـها فاننى لا أذكـر اننى استطعت يوما أن أقـوم بهذه العمليـة المعقـدة دون مسـاعدة السجان قبل كـل استحمام وبعده ٠

أشرح لك يا حبيبتى هذه العمليـة وأعـرف أنـك لن تفهمى منها شيئا !

لا صعوبـة فى نزع السيـور من على « وسـط الجسـم » ٠ وانما الصعوبة فى خلع الملابس ٠ ولابـد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحـذق ٠ ان علـى السـجين بعد نزع فـردة السروال اليسرى أن يمررهـا بين « الحجـلة » ـ أى الحلقـة ـ والسـاق ، وأن يعيد امرارهـا فـى الاتجاه المعاكس تحـت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما ٠ ويكـون علـى السـجين بعدئذ أن يمرر فـرده السروال اليسرى تحت « حجلة » السـاق اليمنى ، وأن يعيد امرارهـا ثانية الى الوراء مع فـردة السروال اليمنى ٠

وهذه العملية المعقدة تتم أيضـا عند لبس الملابس !

وبعد أن القـى علـى السجان هذه المحاضرة ٠ أغلق باب الزنزانـة ، وذهب الى كل زميل ٠٠ يفتح عليه ويلقى عليـه المحاضرة نفسها ثم يغلق الزنزانـة ويذهب الى زميـل ثـان ٠٠ وهكـذا ٠٠ ألقـى المسـكين المحاضرة نفسها ست مرات ٠٠ فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « الستة » أبـدا خوفـا علـى « **أمن واستقرار** » الليمان ٠ وظللنـا هـكذا **١٢ يوما** ٠٠ وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخـذ موقفا ٠ **الاضراب عن الطعام** ٠٠ والمطالب هـى ٠٠ نقلنـا الى **ليمان طـره** فنحن « **سـابقة أولى** » ومكاننـا هناك وليس فى أبى زعبل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغـداد

الرسالة رقم (١١)

حبيبتـــى

فى اليـوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعبل لـم أكن أنـا فقط الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجـى » الصباح الذى اختلط باصـوات زقزقة العصـافير الواقفـة على أغصـان الأشـجار المحيطـة بغـــرف الزنازين ٠

ـ صباح الخير يا درش

ـ صباح الخير يا وليـم

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا عبد الرحيـم

وكأننا ارتكبنـا جريمة لا تغتفـر ٠٠ جـاء السـجان مذعـورا يقـرع الزنازين بكـل قوتـه ويصيح ٠٠

ـ اسكت يا مسجون انت وهو ٠٠

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا وليـم

ويصيح السـجان ٠٠

ـ يا مسـجون اسكت ٠٠ المامور يسـمعكم

ـ وفيها أيـه لمـا المامور يسـمع ؟

ـ يا نهـار أسـود ٠٠ فيها أيـه ٠٠ فيها مصيبة ٠٠ فيهـا خصـم ١٥ يوما

ـ ليـه كـده ؟

ويهمس السـجان

ـ ده نـده علي من الصبح وقال لـى خد بالك من الجماعـة الشيوعيين دول ٠٠ واوعـى حـد يتكلم مع زميلـه والا راح اوديك فى داهيـة ٠٠

ـ طيب افتح علشـان نروح دورة الميـاه

ـ المامور قال لـى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط

ـ طيب روح انـده واحد من الضبـاط

ـ أهو حضرة الضابط جـه

وسمعنا السـجان يشكونا للضابط (٠٠٠) ٠٠ وتفتـح زنزانتـى وأقـول للضابط ٠

ـ صباح الخير يا حضرة الضابط

يمسكني السجان من كتفي وينهرني قائلا :
ـ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
ويبتسم الضابط ويقول :
ـ صحيح ٠٠ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟
وارد على ابتسامته بابتسامة خفيفة
ـ آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !
ـ أيوه كده ٠٠ خد بالك من اللائحة
كان يلمح لنا بان لا نتهاون في تطبيق اللائحة ٠٠ ورغم ان الضابط كان يحاول جاهدا أن يبدو في مظهر « ناشف » أمامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة ٠٠ كيف يتحدث **مسجون مع ضابط بمثل هذه البساطة ؟**
قلت للضابط :
ـ ممكن أصبح على زملائي
ـ طيب ما أنت صبحت
ـ يعني نفف مع بعض شوية ٠٠
ـ ما فيش مانع ٠٠ بس اجيب اذن من المأمور
ثم يقول متصنعا الحده
ـ يا سجان افتح الزنازين كلها ٠ ٠ وهات المساجين عندي هنا ٠٠
فتحت الزنازين الستة ٠٠ وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكاننا افترقنا لسنوات ٠٠
الضابط يتظاهر بالانشغال في أمور أخرى ٠٠ والسجان يُرتفع صوته عاليا
ـ ما حدش يكلم حد يا مسجون انت وهوه ٠٠
ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى **جريمة** حديثنا مع بعض فيقول بحدة تبدو مفتعلة ٠٠
ـ أيه ده يا مسجنون أنت وهوه ٠٠ تعالوا هنا ٠٠
ونتجمع حوله ٠٠ لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح
ـ أقعد يا مسجون أنت وهوه ٠
ويقول الضابط
ـ سيبهم يا سجان ٠٠ سيبهم واقفين
ويستطرد في سخرية
ـ دول ما يستاهلوش الرحمة ٠٠
كان يشير الى ما حدث بالأمس مساء عندما رفضنا أن نجلس « ديز » أمام المأمور ٠
قال الضابط برنة أفهمتنا ان علينا أن لا نقبل أوامر المأمور التي يقولها ٠

ـ أوامر حضرة المأمور هى ٠٠ **الحبس الانفرادى** ، ممنوع حـد يتكلم م زميله **زنزانة واحدة** بس اللى نتفسح مرة الصبح ومـره بعد الظهر ولمدة **خمس دقائق بس** ٠٠

ـ اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيش عبر الجلد ٠٠ سامعين ؟

ـ دى أوامـر ممكن التفاهم فيهـا ؟

ـ دى أوامـر المأمور ٠

ـ طيب بقى نتفاهم مع المأمور

ـ المأمور مش عاوز يقابل حـد

ـ طيب يبقى فيـه طريقـة **تانية للتفاهم**

ـ أيـه الطريقه التانية دى ؟

ـ أضراب عن الطعـام

ويبدو على وجـه الضابط الارتياح ٠٠

ـ يعنـى مصممين على الأضراب ؟

وبأبتسـامة خفيفة أقـول

ـ مصممين جـدا

ـ طيب ٠٠ يا سجان أقفل عليهم ٠٠ **انا رايح للمأمور** ٠

ويستمر أضرابنـا عن الطعام **ثلاثة أيـام** ٠٠ وكان هذا **هـو الأضراب الأول فى ليمان أبو زعبل** والذى لـم يشهد مثله طـول تاريخه وخلال تلك الأيام الثلاثة كان الضابط يأتى الينـا ،

ـ لسـه مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظـل مضربيين

وفى **رابع يوم** جـاء الضابط يبلغنـا أن **النيابة وصلت** للتحقيق ٠٠ وفى الطريق لمقابلة وكيـل النيابة همس الضابط ٠

ـ تمسكوا بتنفيذ اللائحـة ٠

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لمـا جـاء بهـا فسأل المأمور عن السبب ٠

وكانت أجابتـه

ـ **الأوامـر اللى عندى** ٠٠ أعمل ايـه ؟

قال وكيل النيابة بغضـب

ـ أوامـر مين ٠٠ أنت عندك اللايحة تنفذها ٠

وأمـر وكيل النيـابة بمنع الحبس الانفـادى ٠ واقـر حقنـا **فى الطابور الصباحـى وطابـور بعد الظهر** ٠

قلنـا لوكيل النيابـة

ـ باقـى حاجتين ٠٠ ان نخرج الى العمل **فى الجبـل** ٠٠ وان ننقـل الـى **ليمان طـرة** ٠

- دى بقى حاجات مش فى اللائحة ونرجع فيها الى المصلحة . ووعدنا برفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا فى العمل فى الجبل هو الخروج للشمس والهواء ولو حتى فى موكب « العبيد » فلم نعد نطيق الجلوس فى زنزانة مقفلة نخرج منها للفسحة فى داخل مساحة ضيقة جدا . وكان مطلبنا للنقل الى ليمان طرة نستند الى أن **السابقة الأولى فى حكم الأشغال الشاقة** مكانه ليمان طرة حيث العمل فى الجبل هو تكسير **الحجر الجيرى** أما ليمان أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير **الحجر البازلت .**

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل **الا بعد شهر .. وكان يوما مثيرا** - أقص عليك أحداثه يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتـــى

شهر كامـل منذ جئنــا الى **ليمان ابو زعبـل** ونحن لا نعـرف شــيئا عمـا يجرى فى خارج الأســوار ٠الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنـا أى صلة بالسـاجين ٠ السجان هو صلتنـا الوحيدة بالعالم الخارجـى ٠ وعبثـا راحت كل محاولاتنـا مع سـجان الصباح أو سـجان المسـاء الذين لـم يتغيرا أبـــدا فكلاهما صامت لا يتكلم خوفــا من المأمور الذى نبـــه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الاطلاق ٠ وطـوال شــهر كامـل لـم ندخن خلاله نفسـا من سيجارة ٠ كان عزاؤنـا أن **لوليـم اسحق** قـدرة هائـلة على الحديث ٠٠ فكنا نقضى ليالـى بكاملهـا نستمع اليـه ٠٠ حتـى أن زملاء الزنزانـة الأخـــرى أحتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننـا نستاثـر بوليم فاتفقنـا أن يبيت وليم كـل ليلة فى زنزانـة ٠

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجـاء اخـر بـدلا منـه كـان أســمة **عم على** ٠٠ يبلغ من العمر اكثر من **٦٠ عاما** ٠٠ أطلق عليه وليـم أســم عـم « كاكـا » ٠

ـ لماذا كاكا يا وليـم ؟

ـ هو كـده مفيش أسم ينفعة الا كاكـا ٠ ٠

فى المسـاء طلبنـا منه سيجارة ٠٠ لم يتردد الرجل ٠٠ أشـعل سـيجارة وتناولناهـا من ثقب الزنزانـة ٠٠ وعندما وصلت السيجارة الى نصفَها بعد أن تبادلناهـا نحن الثلاثة ٠٠ جـاء صوت من الزنزانـة الأخرى ٠

ـ عاوزين **نفس** يا عـالم

وجرى عـم كاكا ليعطيهم سيجارة اخـرى ٠

وجرى حديث ظريف ، وبعـد أن اطمان لنـا الرجل ساله وليـم ٠

ـ أيـه الأخبار يا عم على ؟

ـ الحمد الله ٠٠ كله كويس

ـ ما تعرفش حاجة عن أخبار **الحكومة**

ـ ما لها الحكومة كويســة ٠٠ **النحاس باشا راجل عال العال**

ـ النحاس باشا ٠٠ النحاس باشا ما له ٠٠ جرى لـه حاجة ؟

ـ حاجة أيـة ده **رئيس الحكومة**

ـ **النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على** ٠٠ ؟

ـ **أيـوه طبعا أمـال مين ٠٠ ؟**

وابتعد الرجل بعيدا .. ورحت كل محاولتنا عبثا عن حق أن يعود الينا لنفهم شيئا .. ولكن يبدو أن الرجل يشعر بانه تحدث معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود الحديث مرة أخرى ..

ورحنا طول الليل نحلل **الموقف السياسى** . معقول جدا أن تعود **الوفد** الى الحكم .

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يدرى ان **النحاس باشا** بعيد عن الحكم مدد وعن طويل مهل عاد حقا ؟ ومن المؤكد أن عم على يعرف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة منذ أكثر من عام . لا بد أن شيئا جديدا قد حدث .. **معقول جدا أن يعود الوفد للحكم** . ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب **وتولى النحاس رئاسة الحكومة** . ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسى بعد أن تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حقيقة . وبالطبع خرجنا بنتيجة منطقية هى أن **الوفد** سيعتمد فى حكمه **على اطلاق الحريات السياسة والديمقراطية** وبدا أمل الافراج عنا فى الامن ثم رحنا فى نوم عميق نحلم **بالافراج عنا .. بالحرية** .

وفى الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا يطلب أن نستعد للخروج .

صاح وليم اسحق فى سعادة بالغة .

— مش قلت لكم .. أفراج .. **يحيا الوفد**

ويقول **مجدى فهمى**

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية .. أنت دايما متفائل

ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكوا .. ولكن عندى احساس فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما .. لبس من أجل الافراج .. ولكن للعمل فى **الجبل** .

علق وليم ضاحكا ..

— أهوه برضه خروج .. نشم الهواء ونقعد فى الشمس

ضحكنا من الاعماق .. لم نفقد الأمل أن يكون **النحاس باشا** قد تولى الحكم بالفعل .. وضرورى من كام يوم وسوف يفرج عنا . ولكن أحدا لم يصرح بما فى نفسه لزمله .

كان خروجنا الى العمل فى الجبل أمرا مثيرا لكل المساجين الذين سمعوا عنا ولم يرونا أبدا . كنا محور حديثهم طوال الشهر الذى أنقضى . وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة . لاحظنا هذا عندما وضعونا فى **مؤخرة طابور** المساجين . رأينا الجميع ينظر خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه **الحراسة المشددة**، أطلقوا علينا أسم « **الفرقة المخصوصة** » وكان يحرسنا **حارسان وصول وضابط أى أن أربعة يحرسون ستة** ، وهذه حراسة خاصة . الى

حاسب الحراسه العامه المكونسه من عسرات الجنود والضباط ٠

سرنـا فى نهايـة طابـور العبيـد فى طريقنـا الى **الجبـل** ٠٠ ومن حسن حظنـا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنـا **الضابط** (٠٠٠) ٠ أقترب منـا ودون أن يلتفت الينا وهو يركب حصانه **قال** :

ــ أزى الحـال ٠

ــ الحمد لله ٠٠ **أيه حكاية النحاس باشـا ؟**

لـم يستطع الرجل أن يمسـك نفسه من **الضحك** ٠

ــ **نحاس باشا مين ٠٠ أنت بنحلم ٠٠ ؟**

وتبددت كل احلامنـا ٠٠ كل التحليلات السياسية راحـت هبـاء ٠٠ جزاك الله يا عم كاكا ٠

ووصلنـا الى مكان العمل ٠٠ الى الجبل ٠٠ حفرة **هائلة** يبلغ **اتساعهـا أكثر من عشرة كيلو مترات** ٠٠ يحيط بها **جبل كبير من حجـر البازلت والعمل** هناك مقسـم ، عده مجموعـة من المسـاجين تضـع الديناميت فى فتحات الجبل ثـم تفجرها ٠ وعـدة مجموعه ثانية تفكك **الأحجـار الكبيـرة بعـد** أن يفجر الديناميت ٠ وعده مجموعة ثالثه **تحمل أحجـار البازلت الضخمـة** الى مجموعات متفرقة من المسـاجين ليقوموا **بتكسيرهـا بالشاكوش الـى قطـع** صغيرة ٠ وبعيـداً عن كل المساجين **أجلسـونا فى ركن بعيـد** ٠٠ يحرسنا السجانان والصـول والضابط **أكثر من نصف سـاعة لـم نتكلم** ٠٠ ننظر الى ما حولنـا مندوهين ٠٠ كلما حـاول مسـجون الاقتراب منـا نهـره الحراس بشـده فيبتعد خائفـا ٠٠ ثـم جـاء الضابط وقال :

ــ دلوقت يبقـى ٠٠ كل واحد يكسر ٧ **غلقـان** من الحجر ده ٠

ــ حجر أيـه الى نكسره ده ٠٠ ؟

ــ حجر البازلت ده ٠

ــ ما عندناش خبـرة بالمسئلة دى ٠

ــ كلها يوم ويعرفوا

نلنـاباضرار ٠

ــ لا يوم ولا يومين ــ احنا مكانيا مش عنـا ٠٠ عاوزين نـروح ليمـان طـره ٠

وظهرت ابتسـامة على وجـه الضابط

ــ لازم نعملوا **الطريحة** لغايـة ما تروحوا ليمان طـرة ٠

ــ لا طريحة ولا غيره مضربين عن الطعام

وارتاحت أسارير الرجـل ٠٠ وقال بلهجته التى اعتدناها والتـى تعنى التشـجيـع ٠٠

ــ يعنى **مصرين على الاضراب** ٠

ــ أيـوه مصرين ٠

بعد أن اتخذنا قـرار الاضراب عن الطعـام ٠٠ كان امامنـا مشـكلة

ارسال **خطاب** الى زملائنا **فى** الخارج · كيف ؟ ممكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين · ولكن كيف نتصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب · نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحدا منهم أن يقترب منا . والسجان يلازمنا لا يتركنا لحظه · والصول يأسى اشد من النحس والحين « ينمم » علينا · **قلت لوليم اسحق :**

– تصرف يا وليم

يمسك وليم بيد الزميل **عبد الرحيم عثمان** ويقرأ له الكف · وكلما يقول وليم شيئا يرد عليه عبدالرحيم ·· مضبوط ·· تمام · والسجان فاغر فاه من الدهشة ·· فجأة يقول لوليم ··

– ممكن تشوف كفى ؟

– قوى ·· قوى ··

ويستمر وليم فى مشاغلة السجان وقتا نتمكن خلاله **مجدى فهمى** من لمح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه ··

– أنت مجدى فهمى أخو مصطفى مهمى ؟

– أيوه ··

– أنت شبهه تمام ··

– عاوزين خدمة صغيرة ··

– رقبتى ·

ويذهب المسجون (···) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به الينا ويضعه أمامنا ·

ما أن يراه السجان حتى يصيح ··

– ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

– حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاى يكسروا الحجارة ·

ويقول وليم للسجان ·

– خليك معايا أنت ·· ما تبوظش الشغل ·

ويواصل قراءة **كف السجان** · بينما يتفق مجدى مع صديقه المسجون (···) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيره كانت ملقاه فى بطن الجبل « **ويعقب** » ملم رصاص كان المسجون يخبئه **فى** ملابسه · **يعطيه** مجدى للمسجون (···) ويساله ·

– امتى يوصل الخطاب ده لاخى مصطفى ؟

– النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها الى **ادارة الليمان ومصلحة السجون** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق مطالبنا ونقلنا الى **ليمان طره** · وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت النيابة للتحقيق · كان مطلبنا محددا هو النقل الى ليمان طرة فنحن سابقة أولى · وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المامور على خروجنا الى الجبل سأله وكيل النيابة عن السبب ٠٠ فقال بغضب ٠٠

ـ يا بيه دول فى أقل من ٤ ساعات أتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات ترف ٠

يقول وكيل النيابة :

ـ شدد الحراسة عليهم ٠

ويرد المامور

ـ أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المامور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمتابة نزهة وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات الى الخارج ٠

بعدها نقلنا الى ليمان طرة ٠ ولكن فى منتصف ذلك الشهر جاءت عائلاتنا لزيارتنا ٠ فالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة بعد ٤٥ يوم ٠ ٠ وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى ٠٠ وهى زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى القبلة يا حبيبتى ٠

أول ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتـــي

مضى علينـا شهر ونصف لـم نحلق ذقونـا كان كـل مـا بنصـــور بشاعة مطهره حين ينظر الى زميله ٠ الأمواس ممنوعـه في السـجن ٠ غير ان ذقـون كل المساجين ناعمة تماما ٠٠ فالجميـع عندهم أمواس ويحلقـون ذقونهم ٠٠ ولم يكن بوسعنـا أن نحصل على أمواس حتى يـوم فوجئنـا **بزيـارة أهاليتـا**؛

نادوا علينـا للزيارة وسط حراسة مشـددة ٠ **والزيارة** في السـجون تتـم من خلال **حاجزين** من الاسـلاك يبعدان عن بعضهما حوالـى **متر ونصـف** ٠ يقف المسـجون خلف الحاجـز السلكـى داخـل السـجن ويقف الزائـــر خلف الحاجز الآخـر القريب من باب السجن ٠ وبين الحاجزين يقف السجانـة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا **عـن القـانون** ٠٠ أو يقوموا بتهريب ممنوعات ٠

كان في زيارتـي أخـي مسعد « رحمه الله » وزوجتـي السابقة ٠

كما ان علاقـة الـدم وحدهـا ليست كافيـة لقيـام علاقـة انســانية حقيقيـة كذلك فان علاقـة الزواج وحدهـا ليست كافيـة لبنـاء علاقـة حب حقيقيـة ٠ واليـوم بعـد أكثر من ٢٢ عاما وأنـا أحـاول أن أستعيد ماذا كانت عليه مشاعري وأحاسيسي حيال أخوتي عامـة ومسعد خاصـة ، كـذا مشـاعري وأحاسيسـى حيال زوجتـي السابقة أجد أن علاقتـي بأخـي مسعد كانت علاقـة انتماء بكـل ما تحمل هذه الكلمـة من معنـى ، بينما كانت علاقتـي بأخوتـي الآخرين مجرد علاقـة دم ٠ أما علاقتـي بزوجتـي السابقة فلم تكن أكثر من علاقـة عطف من جانبـي ، وحب مريض من جانبها ٠

وأعـود بذاكرتـي الى ظروف تعرفـي عليهـا ٠

ذات يوم من أيـام **صيف ١٩٥٠** دعانـي زميل في العمل الى رحـلة نيلية الى القناطـر الخيريـة ، وقبلت الدعـوة كنـوع من التغيير في حياتـي اليومية التى لا تتغير ٠ العمل صباحـا ثـم الاجتماعات التنظيمية حتـى ساعة متأخـرة من الليـل ثـم أعـود الى حجرتـي الجرداء من كل شـيء سـوى سرير صغير وبعض الكتب الملقـاة على أرض الحجرة ٠٠ وحيـدا لا أجد من اتبادل معـه كلمة ٠

على سطح السفينة المتجهـة الى القناطر الخيريـة صدحت الموسيقـى الراقصـة وراح الجميـع يغنـون وأنا جـالس بعيـدا تتضارب الأفـكار في

رأسى • هـل يتفق هذا مع القيـم الثورية ؟ مـرة أقـول لا ومرة أخرى •• ماذا في هذا ؟ وهل يرقص الثورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى يروح في الرقص والغناء هل هـو وقت ضـائع ؟ الثورى لا يحب أن يضيـع وقتـه ؟ كل الوقـت يجب أن يكـون للثورة •ولكن أليس من حق الثورى أن يستمتع أحيانـا بمثـل هذه الحيـاة ؟

بقيت هكذا مثـره •• لا أجـد اجابـة واضحـة علـى مـا يدور فى رأسى •• حتى وجدت نفسى محاطـا بزميلـى فى العمـل وصديقتـه ومنمـى صديقتهـا •

ـ لماذا لا ترقص ؟

ـ لا أعـرف •

قال زميلـى ضاحـكا :

ـ الرقص لا يتعارض مع السياسة •

ويسـتطرد :

ـ يا اخى أن لبدنك عليك حقـا •

وقالت منمى برقـة :

ـ أعلمك الرقص •• هناك فى مؤخرة السفينة

وبشـكل تلقائـى وجدت نفسـى أرقص معها •

وبعد مليل صـاحت :

ـ أنت هابل •• تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجـد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين •

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية •

كانت هذه أول مـرة أذهب فيها الى هنـاك • وبشـكل تلقائـى وجدت نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كنـا نبـدأ حديث التعارف حتى سمعت من يصيح عليهـا ••

ـ ماما •• ماما •• عاوزين نركب فلوكـة •

كانت طفلة عمرهـا سبع سنوات وطفـل لا يزيد عن ٩ سنوات • قالت وضحكـة حزينـة تمـلأ وجهها •

ـ تيتى •• ولوسى •• أولادى •

يبدو أن تعبيرات وجهى •• كشفت ما فى أعماقى وقتئذ •• ما الذى كان فى داخلـى • كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولـم تنشـا بينى وبين امرأة أى علاقـة عاطفيـة أو حسية • فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ » •

قالت والدموع تجرى من **عينيهـا** :

ـ ولكنـى الآن مطلقـة ••

قـلت :

ـ وهل عندكم طـلاق ؟

قـالت :

ـ اعلنت اسلامى حتى احصل على الطلاق ٠
وبدأت تحكى قصتها والدموع لا تجف فى عينيها ٠
كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا ويشغل وظيفة كبيرة فى وزارة الأشغال ٠ ولدت فى روما وحضرت وهى طفلة مع والدها واخوها الذى يكبرها وأختها الأصغر منها ٠ بعد سنوات أصبح أخوها مليونيرا من أعمال المقاولات وتزوجت اختها من امريكى وسافرت معه ٠ ولما توفى ابوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركته اختها ، وجدت نفسها وحيدة بعد توفيت والدتها منذ زمن ٠ كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاما ٠٠ لا تعرف من العربية الا كلمات قليلة وتعيش فى شقة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها ٠ وكانت عائلة لبنانية تسكن فى الشقة المجاورة لها ٠ وفى احدى الحفلات التى كانت تقيمها هذه العائلة تعرف عليها شاب لبنانى وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة٠
وفى بيت الزوجية وجدت ما لا يتفق مع قيمها الاخلاقية ٠ حفلات يقيمها الزوج ويدعو اليها شخصيات بارزة فى الدولة وبعض رجال الأعمال لعقد صفقات ٠ وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض ضيوفه !

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه ٠ فى البداية كان لا يعلق على شكواها ٠ ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه اثناء غيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعقد معهم صفقات تجارية ٠٠ ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة ٠ وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها الى ان استقر بها المقام مع عائلة فقيرة فى حى القلعة ٠ ومكثت هناك ٧ سنوات تحيك الملابس لأهل الحى كى تعيش ٠ وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل الحى ٠ وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر ٠ فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد ٠٠ يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية ٠
قالت لها .
ـ أولادك ينتظرونك كى تركبى معهم المركب ٠
قالت :
ـ نركب كلنا معا ٠
وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم وولديها والمركب تخف بنا فى عرض النيل ٠ ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتى اقبلهم ويقبلوننى ٠
وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظللت

أرقص معها طول الوقت ٠٠ ضممتها الى صدرى ٠٠ وضمتنى وغبنا أكثر من مرة فى أكثر من قبلة ٠

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى باب الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك بيدى فترة ٠٠ ثم يحتج الابن ويطلب حفه فى ان يمسك يدى ٠٠ حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة ٠

وجدت نفسى أفكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى فى حجرتى على السطوح فى حدائق القبة ٠ لم أصل الى شىء محدد سوى اننى فى حاجة الى امرأة ٠٠ولكن ليست أى امرأة ٠٠ ربما كنت فى حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية ٠٠ لكن تجربتى كشاب اكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية ٠٠ انما اطلب شيئا آخر ٠٠ اطلب الحب ٠ ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن أعرف ٠٠ ولم أعرفه بعد ذلك الا أخيرا وبعد أكثر من ٢٢ عاما ٠

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى تعمل به ٠ فوجئت بى فلم نكن على موعد سابق ٠ عرضت عليها ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت ٠ وبعد السينما ركبت معها المترو حتى بيتها ٠ وعندما عدت الى منزلى سألت نفسى مرة أخرى ٠٠ ما الذى اريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية ٠٠ فى حاجة الى حنان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حبا يفوق كل حبها لاخوتى ٠ وتذكرت يوم ماتت أمى ٠٠ أصرت على ان تضع رأسها على رجلى وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة ٠٠ كانت أخر كلماتها ٠

ـ خد بالك من مسعد يا مصطفى ٠٠ خليه يكمل دراسته ٠٠ مسعد أمانة فى رقبتك انت يا مصطفى ٠

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم ٠ بعد وفاه أمى تحول المنزل الى جحيم ٠ كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمل بالسياسة وكانت تخاف على وعلى مسعد ، ولكنها كانت تحمينا من أبى ومن اخوتى الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركناه الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل دراسته ويجد وظيفة ٠

ربما كنت فى حاجة الى حنان ؟ ولكن ليس فقط حنان الأم ٠٠ انما حنان المرأة فانا أريد حقا ولكنى أيضا أملك القدرة على العطاء ٠٠ والعطاء بسخاء ٠ حقا اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتى ٠٠ ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جدا مع امرأة ؟ ٠٠ وهل هذه المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟

وظل السؤال بلا جواب حاسم ٠٠ وجدت نفسى فى ذات الوقت

أقابلها يوميا أما فى عملها أو فى أى مكان آخر كلما سنحت لى ظروف العمل السياسى . وذات يوم كنت اقوم بتوصيلها الى منزلها قابلت وليم اسحق ومعه صديقته التى تصادف انها تعرفها . وذهبنا جميعا الى مرسم وليم وكان يطيب لى ان اذهب اليه كلما سنحت لى الفرصة فى جلسات انسانية رائعة .

بعد أيام عرضت على وليم هذا السؤال الذى لا أجد له جوابا .

سألنى : هل تحبها ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقة انسانية وعاطفية

قلت : وفكرية أيضا

ـ اذا توفر يكون أفضل

ـ اذن فانا لا أحبها

ـ ولكنك لا تستطيع الاستغناء عنها

ـ ربما

ـ بل من المؤكد

ـ لنفرض ذلك

ـ فلتكن علاقة

ـ حسية ؟

ـ وانسانية

ـ احساسى انها لن تكون تلك العلاقة التى انشدها

قال ضاحكا :

ـ وما هى مواصفات هذه العلاقة التى تنشدها ؟

قلت بأسى :

ـ المصيبة لا أعرف مقوماتها

واعدت مناقشة هذه المسالة مع عدد من الزملاء المقربين . بعد المناقشة ازدادت حيرتى . مشكلتك هى العلاقة الحسية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتك الى الحنان . يا اخى تزوجها واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسى حين تحل مشكلتك الحسية ... و . و . و . وتضاعفت حيرتى عشرات المرات وكادت تتحول الى أزمة نفسية .

وذات مساء . . ودون أى حديث سابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فورا وسألتنى أمتى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مأذون فى شارع الجيش ومعى صديقان مررت عليهما فى الطريق وجاءا معى كشاهدين على العقد وفى اليوم التالى قمت بايجار غرفة مفروشة حتى اسسنا شقة قامت هى بالنصيب الأعظم فى مصاريفها . ومكثت معها ١١ شهرا بعدها القى القبض على . وخلال تلك الشهور رغم كل العناية التى

كانت توليها لـى ، ورغم حنانهـا وحبها وتفانيها الذى وصـل الـى حـد تكليفهـا ببعض الاعمـال التنظيمية ، فاننى لـم أشعر يوما بان هـذه هى العلاقـة التـى احتاج اليهـا ٠

حبيبتـى ٠٠

لقـد افضت فى حديثى عن زوجتى السـابقة قبل ان القاها فى أول زيارة بعـد صدور الحكم على **بالاشغال الشـاقة ١٠ سنوات** ٠ ربمـا هى محاولة لتفسير مسلكى الجـاف معهـا فى الزيارة ٠

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتشنج ٠٠

واحترت ٠٠ هل تبكى حزنا على مظهرى ٠٠ الملابس الممزقـة ٠٠ **والقيـود** فى اقدامى ٠٠ وذقنى الطويلة ! ٠٠ أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لهـا بـلا أى مقـدمات

ـ انا افضل الانفصـال

رفضت بشـدة رغم الحاحى وقالت انهـا تفضل الموت على الانفصال ٠٠ غير أنـه بعـد ٦ **سنوات** لـم تقـم خلالها بزيارتى الا مـرات قليلة وصلنـى **حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال** ٠

الغريب اننى لم افكـر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة ٠ والاغـرب اننى لم أشعر بأى أسف بعـد الزيارة ولا بعـد ان انفصلنا ٠ حتى اننى خشيت ان يكـون موقفى هذا لا انسانيا ٠ على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعـد خروجى من السجن **بعـد ١٢ عـاما** ورغم مقابلتى الجـافة لهـا حين جـاءت لمقابلتى فقـد تزوجنا مـرة أخـرى بعـد خروجى بشهرين ثـم انفصلت عنهـا بعـد شهر واحد ولم أرها بعـد ذلـك ابـدا حتى اليـوم ٠ وايضـا لم أشعر بأى أسف رغم انهـا قامت بـكل ما يمكن ان تقـوم بـه امرأة من أجل رجل تحبـه حبـا مريضا ٠

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانيـة أحكى لك عنها فى الرسـالة المقبلـة ياحبيبتـى

٣ ابريل ١٩٧٧

بغـداد ٠

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتـــى :

رغم شـــدة القيـــود التى كانت مفروضة علينـــا خلال الزيارة ، فقد كانت الحصيله كبيرة ٠ الأربعة أعـداد الأخيره من «رايـــة الشـــعب »جريـــدة الحزب والعدد الأخير من « الحقيقه » نسرة الحزب الدخلية ٠ ورســالة مـن زملائنا فى الخارج، عرفنامن الرسالة اننا سوف ننتقل قريبا الى لبمان طره،وان حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنـــا من قبل الاحزاب والقوى التقدميــه فى أوربـــا مــد أحـدنت أثرهـــا ٠ ومرأنـــا اعـداد « رايـــة الشـــعب » و « الحقيقـــــــة » وكانـــــت لنـــا عليهـــا بعض الاعتراضات أرسلناهـــا للمكتب الســياسى للحــــزب ٠ أمـــا عن حالتنـــا المعيشـــية فقــد ارتفعت نسبيا حيث أصبح فى مقدرتنا أن نشترى سجاير وحـــلاوة طحينية فقـد وضع أهالينـــا فى كانتين السجن ٢ جنيه باسم كل منـــا ٠ وهذا شىء عظيم جـدا . فقـد أصبح فى وسـعنا ان نشــترى علب سردين وسلامون وبعض المأكولات الأخــرى ٠٠ كانت سعادتنا كبيـرة وقضينـــا الليـــل كله تقريبـــا فى القراءة والمناقشة والدردشة واحتلت أخبار الزيـــارة جــزءا كبيرا من الوقت ٠ ٠ كان مجدى فهمى يملك القدر الأكبـــر من حصيـــلة الزيارة ٠٠ حكى لنـــا كيف تقــوم والـــدته التى تقـدم بها السن بنشـــاط كبير بين أهالى المسجونين السياسيين ٠ تجمعهم أحيانا كى تذهب بهم الى مصلحة السجون لتقـديم مذكرة بشأن ســوء المعاملة مثـــلا ٠ وترسل البرقيات للمسئولين اذا اضربنـــا عن الطعام لنطلب النـــابة للتحقيق ٠ وحـدث حين وصل اليهـــا خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير ٠ ٠ رفضت ان تســـلمه الى أحـد الزملاء الا بعـد ان تأكـدت من اخى مسعد بأنه يمكن الاطمئنـــــان اليه ٠ ومجدى فهمى أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم ٠٠ لا لأنه آخـــر العنقود ٠ ٠ ولكن لأنه « مجنون » وانســـان كمـــا تقول أمه دائما ٠٠ وتكمل ٠٠ خصوصا بعـد ما بقى سياسى ٠٠ وكانت تخشى ان تقــول « شـيوعى » خوفا عليه ، حتى بعـد القبض عليه لم تقلها كى لا تـكون دليـــلا ضـــده فى المحاكمـــة ، ولكن بعـد الحكم عليه لم يعـد هنـــاك ما يمنعها من ذلك ، وزوجـــات أخـوة مجدى وأولادهم يحبونـــه كثيرا ٠ عند كل زيارة تحـدث خناقـــة بينهم ٠ من الذى يذهب للزيـــارة ؟

الأم تمسكت بحقها فى الزيارة باستمرار ٠٠ لكنهم اعتبروا ان هـذا انانيـة ٠ واتفقوا على ان يقوم مجدى بحل المشكلة وكان الحل هـو ان تاتى أمـه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليـه القرعة بين الباقين الـذين لم يزورونه بعـد ٠ وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « **منـى** » ابنـــه أخيه والتى كان مجدى فى شوق شديد لرؤيتها ٠ ٠ فقـد جائته فـى « **الحلم** » قبل الزيارة الأخيرة بأيام !

– واخبار **الجـو** أيه يا وليـم ؟

لم يستطع ان يخفى رنـه الاسى فى صوته ٠٠ وقال بسخريه :

– **جـو أيه اللـى أنت جاى تقـول عليه**

ويكمل مجـدى ضاحكـا ٠٠

– **وهو « الجـو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟**

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالألم :

– حب أيه ٠٠ و « جـو » أيه ٠٠ سيبونا من الحكاية دى ٠

وليم اسحق فنان عبقرى ٠٠ وانسان يفيض رقـة وعذوبة ٠٠ قـــدرته على العطـاء « هائلة » كانت لـه تجربة مع فتـاة كنت اخشى عليه منهـا ٠ كان يحبها حبا جنونيا ٠٠ رسمها فى أكثر من **٢٠ لوحـة** ، وكانت كلما تدللت عليه كلمـا ازداد تعلقـا بهـا ٠ كـان يـدرك أنها لا تحبـه ولكنهـا لاتتركـه لحظة واحدة حين يكـون فى مرسـمه ٠٠

ذات يوم وكنت فى مرسم وليم ٠٠ لاحظ اننى وضعت عـددا من اللوحات التى رسمها لصديقته (٠٠٠) ورحت اتأمل فيها قـال :

– عاوز تعـرف أيـه ؟

– عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك ٠٠ ولا يقوله لسانك

– وهل عـرفت ؟

– لم اعـرف ٠٠ وانمـا احس

– وماذا تحس ؟

– لم أصل بعـد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام ٠

ويضحك بصوت عـال محاولا اخفـاء المــه ٠

– أنت يا درش ٠٠ ذكى جـدا ٠٠ وغويط خالص ٠

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقته ٠ أنـــه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط ٠٠ ولكنـه كـان يهرب دائمـا مـن هذه الحقيقة مكتفيـا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى المرســم قال لي فجأة ٠٠

– هنـية قالت لك حاجة

فوجئت بالسـؤال ٠ ما دفعنـى الى محاولة معرفـة شعور وليم نحوهـا من خلال مقـارنة لوحاتها المختلفـة ، هو انهـا قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

حيث لاتجـد فيـه الاخر الذى تريـده وهو بالنسبة لهـا فنـان كبير وانسان عظيم يملأ جانبـا من حياتها !

قلت

ـ راح تقول أيه بعنى ٠٠ دى معجبة جـدا بيك يا وليم

ادركت انى اخطأت التعبير ٠ ٠ وحاولت تصحيح الخطأ ٠٠ لكنه أسرع يقـول والألم يكـاد يمزقـه ٠

ـ ما انا عـارف ٠٠ مجـرد اعجاب ٠٠

وسـاد الصمت دقائق ٠٠ ثـم جـاءت صديقتـه (٠٠٠) ٠٠ ورأيت تعبيرات أخـرى على وجه وليم ٠٠ تعبيرات طفل عشـر على لعبتـه التى ضاعت منـه ٠

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليـم عن صديقته ٠٠ لكنـا فهمنا كل شيء ٠ وتأكـد فهمنا بعـد ذلك ٠٠ بعـد القبض على وليم دخلت الفتـاة فى علاقة أخـرى مع آخـر كنت أعـرفه ولا ارتاح اليـه سـياسيا واضـع أمامه علامة استفهام ٠

وسادت فتـرة صمت رحنـا بعدها فى نـوم عميق حتى استيقظنا علـى صوت « **البروجى** » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنـى « **التـأديب** » ٠٠

عندما فتح السجان الزنزانـة قـال :

ـ حضروا ملابسكم ٠٠ حضرة الضابط جـاى ٠

ـ لبـه خيـر ٠٠ فيه أيه ؟

ـ والله ما انا عارف ٠٠

عرفنـا أننا مرحلون الى ليمان طـره ٠

قال الضابط (٠٠٠) وهو يبتسـم

ـ والله راح توحشونا يا جماعة ٠٠ يعنى هية طـره احسن مـن هنـا ٠

وتبادل الضابط معنـا حديثا وديـا ٠ شكرناه على حسن معاملته وسـعة أفقه ٠ وتمنى الرجل ان نلتقى بـه فى ظروف أفضل ٠

وحتى مامور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا بطـريقة سيئة اعتذر عن ذلك بسبب الاوامـر من الجهات **العليـا** ٠ وتأثـر الرجل كثيرا حين ملنـا لـه ايضا بتقدير موقفه تماما ٠ اننـا من جانبنا نعتذر أيضـا اذا كنـا قـد سببنا لـه أى ازعاج فقـد كـان من الضرورى ان يكون لنـا موقف منـذ البـداية ولكنـه ليس موقفـا ضده ٠

وكانت مفاجاة أن وجدنا بعض الاهالى على **باب الليمـان** فى انتظارنا ٠٠ وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حـول مقابلتهم والجلوس معهـم قليـلا خلال الطـريق الى **ليمـان طـره** ٠ كان الضـابط متأثـرا الى حـد كبير يريـد ان يحقق لنـا مطلبنـا ٠ ٠ لكنه يخشى أن يراه أحد من **ضباط المباحث** ٠ ٠ قال بود ٠

ـ طبب سيبونى اتصرف ٠٠

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينتظروا فى منتصف الطريق من الليمان حتى محطه السكة الحديد ٠٠ وهو طريق طويل خـال من المـاره تمامـا ٠

وسـارت بنـا عـربة السجن التى تقلنـا وعندما مـرت بالاهالى وسـبقتهم بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف ٠

قال للسـائق ٠٠

ـ أنا نسيت أوراق فى ظرف على مكتب المأمور ٠٠ خـد العـربة وروح هاتهـا بسرعة ٠٠ والحرس ينتظر هنـا مع المساجين ٠

وحتى عـاد السائق وكان قـد مضى وقتـا لا يقل عن نصف ساعة بحثا عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيـارة خاصة أكلنـا خلالها لحمـا ودجاجا وأطعمه أخـرى دسـمه ٠

وقبل ان نسير بنـا السيارة مـرة أخـرى قال الضابط سـود

ـ ان شـاء الله ممكن نعمل لكم زيارة ثانيـة عند ليمـان طـره

وخرجت دعوات كثيرة من الأمهات ٠٠

ـ ربنـا يحميك لشبابك يا ابنى أنت واللى زيك

وعند ليمـان طـره تحقق ما وعـد به الضابط ٠٠ وهكـذا زرنا أهلنـا **٣ مـرات فى أقـل من ٢٤ ساعة** حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود والاخبـار ٠

وفى ليمان طـره قابلنا زملاءنا الخمسة ٠٠ جمعونا فى زنزانة واحدة ٠ مع **الحراسـة المشددة** ٠

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمـان طـره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٥ ابريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتــى .

لم ننــم طــول ليلة وصولنا الى ليمــان طــره ٠٠ فبعــد أكثــر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشــاقة وفى زنزانة واحــــدة ٠ وكــان جمعنا فى زنزانة واحدة امتيــاز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراســة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانــة فى ليمان طــره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجونا ٠ وبينما تطــفأ الأنوار فى الزنازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطــرين » لا تطفــأ أنوارها طــول الليل ٠٠ أيضــا كاجــراء من اجراءات الحراسة المشددة ٠٠ وكــان هذا ايضــا امتيــاز اعطانا فرصــة اعــادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليهــا فى ليمــان أبو زعبل والتى حصل عليهــا زملاءنا فى ليمان طــره قبل حضورنا ٠ كمــا ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمــان على ضوء خبــرة زملاءنا الذين سبقونا اليــه منذ شهور ٠ الفــرق بين ليمــان طــره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق ٠ الأول يضم « **وجهــاء** » « المجــرمين » والثانى يضم **حثالتهم** فضــلا عن ذوى السوابــق الكثيرة ٠ **والفقراء** الموجودون بليمان طــره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين يتوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الثأر » وغيرها من تلك الجرائم التى تتفق مرتكبوهــا مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بثمنه ٠ هؤلاء « الوجهــاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مــال ، يملكون ايضا « السلطة » ٠ فهم لا يخرجون للعمل فى الجبل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخــر ففــى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بــدلا منهم ٠ والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كــل انحاء السجن ، وبأتيهم من بيوتهم أو من « حروبى » أفخــر أنــواع المأكولات والمشروبات ٠ حتــى الممنوعــة ذاتهــا ٠ أمــا زياراتهم فهى تتــم دائمــا فى مستشفى السجن حيث يدخل الزوار ... حجراتهم بالمستشفى ويجلسون معهم بالساعات تحت سمــع وبصر ضباط السجن مع ان مــدة الزيارة « الخاصة » لاتزيد عن نصف ساعة ٠

و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نــوع « الجريمــة » ٠٠ **كريم ثابت « المستشار الصحفى للملك فــاروق »** ٠ مثلا كــان يعيش فــى الليمــان « **كباشــا** » اذا ســار يحيط به عــدد من الضباط ٠٠ ويضرب لــه الجنود « **تعظيم ســلام** » عندما يمر بهم ٠٠ ولا يمنع هذا ما يعرمونه عــن الدور الحقيقى الذى كــان يقــوم به كريم ثابت خارج السجن ٠

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التى يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات » .
هدف اتصالنا بالمسجونين ادن هو تنفيذ اللائحة .
ووسيلة اتصالنا بهم هى **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .. يراسلونها .. ويوزعونها فى **العنابر الأربعة بادوارها الستة عشر دورا** .
فكيف نختارهم فى ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ .. نحن لا نحتاج فى البداية سوى لأربعة أنصار .. لكل **عنبر** نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففى الليمان **جواسيس** زعملاء للادارة وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة .. حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » .. كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان .. وبالطبع لم يعرفوا شيئا .
كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هى الاتصال بالساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانة التى نعيش فيها فى الدور الثانى **فى عنبر ٤** تفتح علينا فى الصباح بعد خروج كل الساجين الى العمل فى الجبل كى نذهب الى دورة المياة التى **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانة ، وتتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانة معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها ليمنع أى مسجون من الاقتراب منها .
وكان قرارنا فى تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت الجريدة . وتكليف الزميل الذى يذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون فى المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الاول من « **الطريق** » شعارها **حمامة سلام** وقد مزقت **القيود الحديدية** برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .
كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟
وماذا كان موقف الادارة ؟
أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٨ ابريل ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حبيتــى :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطريق** » يعنى بالنسبة لنــا علاقــة وثيقــة بالساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة • كان الليمان كله من رجــال الادارة والمساجين يعرفون اننــا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل• وبقــدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعــا بقــدر ما كــان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لــم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العــــدد **السادس** ، أى بعــد شهرين ونصف فقــد كــان تصــدر كل **١٥ يومــا** • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايــدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمــر المسجونين الذين بــدأو فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون **بالاضراب عن الطعام** ويرسلون الى النيــابه شكاواهم •• الخ • اذكــر ان مأمور السجن جــاءنا يومــا على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنــا بعــد منتصف الليــل وهذا لا يحدث أبــدا الا فى حــالات خاصة فالمفــروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من **النيابة العامة أو بأمــر مدير مصلحة السجون** • فــى تلك الليلة كنت أول من استيقظ على صوت مفتاح الزنزانة •• ثــم صوت عال ••

ــ انتبــــاه ••

و« **انتباه** » تعنــى أن يقف المسجونون اســتعدادا للتفتيش •

ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش••** لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى **الورق** والأقــلام والكتب والمنشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليــل يثبت علاقتنــا بالجريدة • وكنــا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (•••) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحــد المسجونين الذى كان يثق بــه • والواقع أن هذا المسجون كــان لــه العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدهائه أن يكسب لبس فقط ثقــة عدد كبير من المسجونين ولكن ايضــا عدد من زملائنــا الذين خــدعوا فيــه • فقــد كــان الرجل يطمع فى أن يكــون هو مديــرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسعى الرجل الى كسب ثقــة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطــرق حتى شــاع بين الجميع بأنه ســوف يرقى الى رتبة لــواء ويتولى منصب المدير • غير أنه فوجىء كما فوجىء الجميع بتعيين مدير جديد لليمــان وكــان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « **ناشفة** » **ومكروها**

من المساجين الدين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييأس المأمور (٠٠٠) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجه أمام المسئولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه غير كفء لهذا المنصب ٠

ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس ٠ ولما لم يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العددين ، اطمأن اليه المسجون، بل ان بعض زملائى اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفتيشية** وكانت هذه النقطة محل نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وأنتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ، وبالتالى اراد أن يستغل الفرصة ٠

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة خبيثة :

ـ لا مؤاخذة ٠٠ يا جماعة ٠٠ أعمل أيه ٠٠ أوامر المدير ٠

ـ خير ان شاء الله ٠٠ أية الحكاية ؟

ـ المدير الجديد ياسيدى ٠٠ **ضبط المجلة** ٠٠ كان جتكوا تاخذوا بالكو

قال أحد الزملاء بسخرية :

ـ مجلة آخر ساعة ٠

ـ آخر ساعة مين يا راجل ٠٠ دى مجلة الحكومة ٠٠ مجلة تانية ٠٠ شوف ومد الرجل يده الى ٠٠ لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت بعناية وكتب « **العدد الأول** » ٠

ـ ده العدد الأول ٠ ٠ لحقتوا تضبطوها ؟

وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا ٠٠ وأن تظاهرنا امامه بالثقة فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى ٠ فقال غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش

ـ واقفين كده ليه ٠٠ فتش كويس

قال أحد الضباط :

ـ فتشنا يا أفندم ٠ ٠ مفيش حاجة ٠ ٠

قال بغضب أكثر :

ـ فتش فى **الحيطان** ٠٠ **فى الأرض** ٠٠ فى كل حته

ثم قال لأحد الجنود :

ـ روح هات **شاكوش** ٠ ٠

قلت بسخرية ٠٠ بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب

ـ وليه بقى الشاكوش ؟

ارتفعت نبرات صوته الغاضب

ـ أنت عارف كويس ٠٠ بلاش استهبال

قلت بحـــدة :

ـ حضرة المأمور ٠٠ قم بمهمتك حسب القانون ٠٠ ولا تـزد ٠

وكـان السجان قـد جـاء بالشاكوش ٠٠ أخذه المأمور وراح **يـدق بـــه** على جميع جدران **الزنزانة** وعلى **أرضيتها ٠٠ لكن** رجع كل الدقات كـــانت **صمـاء** ٠ كان يبحث عن **مخبـأ** فى الأرض أو فى الحائط ولكن دون جـدوى٠ كان المخبأ على غيـر العادة فى **سقف الزنزانة** ٠ لا أحـد يتصور عمل مخبـأ فى سقف عـال ٠٠ فكيف الوصول اليــه ؟ لحفـر المخبأ ، ثـم لاستخدامه بعـد ذلك يوميـا ٠ لكننـا لمده **شهر ونصف** كان شغلنا الشاغل هو عمـل هذا المخبأ ٠ حفرناه بموس حلاقة ، وكـان الزميل الذى يقوم بالحفر يحمله زميل آخـر ويحمل الزميلان زميل ثالث ٠ وكان العمل يبدأ يوميا بعد **منتصف الليل** حتى **الفجـر** ٠

ولما لـم يعثـر المأمور على ضالته ، أراد بعـد افتضاح أمـره أمامنـا أن لا يقطع حبل « الود » ٠ قال ٠٠

ـ يا جماعة أنا متأسف ٠٠ دى أوامر المديـر ٠٠ تصوروا صحانى مـن النـوم وأمـرنى بتفتيشكم بعـد ما جاب موافقة مديـر مصلحة السجون ٠ قلت ٠

ـ واسمعنى أحنـا بالـذات

ـ متفهمش ٠٠ دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومـد يـــده يناولنى الجريدة

ـ حتى خـد شوف ٠٠ اقـرأ

تظاهرت بتصفحها سريعا وقلت :

ـ طيب ما تصرفوا لهم **ملابس الصيف**

ـ هو انا لحقت ـ المدير الجديد جه من هنـا وكل حاجة ومفتش هنـا

ـ وقفت لـــه

ـ مستنى أوامـر ٠ ٠

ثـم استطرد وابتسـامة لئيمـة تملأ وجهـه ٠

ـ والا أيـــه ؛

قلت بابتسامة لهـا معناها

ـ لك حق ٠٠ وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أقصده ٠٠ أنـه أحق من المديـر الجـديد بهـذا المنصب. أردت أن اطمئنه فهو وأن افتضح أمـــره بالنسبة لنـا ٠٠ يمكن الاسـتفادة من تناقضه مع المديـر الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثـر ولمصلحـة كل المسجونين ٠٠

وفى صباح اليوم التـالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحـة وأن بدأت بالرمز ٠ قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد ان اخلى مكتبه واضاء

ـ أنا متأسف قــوى يا أستاذ ٠٠ أنت عارف دى أوامــر
قلت بســخرية
ـ أمــرك يـا سيدى !
قال وقــد زالت ابتسامته ٠
ـ أحسن نتكلم بصراحــة ٠
ـ أحسن ٠٠ والمصلحة مشتركة ٠٠ على الأقل لفتــرة
ضحك الرجل وقــال
ـ وليــه لفتــــرة ؟
ـ لغــاية ما تتعين أنت مديــر
ضحك مــرة أخــرى وقــال
ـ ابــدا ٠٠ ابــدا ٠٠ هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
ـ يعنـــى ٠٠
ـ يعنى أيـــه ؟
ضحكت وقلت
ـ الهدف راح يتغير ٠٠
قــال بخبث
ـ وبالتــالى التاكتيك
ـ أهو كــــده ٠٠
ـ يعنى نتفق على التاكتيك
ـ تمـــام ٠٠
ـ وفيك من يكتم السر
ـ فى عاشر بيــر ٠٠
ـ وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
ـ سرين ٠٠ واحد مؤكــد ٠٠ والثانى استنتاج حتى اعرف منك ٠
ـ أيه هوه المؤكــد ؟
ـ حكاية المجلة
ـ مضبوط ٠ ٠ والاستنتاج ؟
ـ مترتب على الأول
ضحك الرجل بصوت عــال
ـ برافو انا اللــى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشــكم ٠
قلت بابتســامة
ـ معلهش ٠٠ طلعت «آوت» المــرة دى
ـ يبقى نتفق ٠٠
ـ نتفق ٠٠ على أيه ؟
ـ ما أنت فاهم ٠٠
ـ شيلنى واشيلك ؟

ـ تعجبنـى ٠
ـ والضمان ؟
ـ طلباتــــك ؟
ـ كله بوقتــه ٠
ـ يبقى اتفقنـا ٠

السياسة كمـا يقولون فن ٠ والشاطر هو الذى يلعب على التنافضات فى صفوف الأعداء ٠ هذا المأمور داهيـة ذكى ، ناعم ، لـه بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضـد المديـر الذى « اغتصب » حقه فـى منصب المديـر ٠ والمدير يتميز بالغبـاء الشديد مكـروه من الضباط والساجين والجنود ولا يدرى أن المأمور يعبىء الليمان كلـه ضـده لاحراجه أمام رؤساءه٠ ولقـد خلقت هذه المباراة ظـروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبـر قـدر من مطالب المسجونين ، فضلاً عن امكانية أكبـر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابـل لعب هذا المأمور الداهيـة لعبتـــه بذكاء ضد المدير الى حـــد جعله مهزلة أمـام كل المسجونين ٠

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

١١ ابريل ١٩٧٧
بغـداد

الرسالة رقم (١٧)

حبيبتـــى

صـدر العـدد **السابع من مجلة الطريق** فى وقت كان فيـه الليمان فى قمة الغليـان ٠ المأمور الداعية لـم يعـد يتصدى لحـل أى مشكلة للمسجونين كما كان بفعل قبل قدوم المديرالجديد،وكانضباط السجنمعهبشكل أوبآخر ٠

وبالطبع استطاع المأمور فى ظل هذا الجـو أن يورط المدير فى عـــدد مـن الأعمال الاستفزازية ضـد جميع المساجين حتى أتى عمـلا استفزازيا ضدنـا وتحديناه باعلان **الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما** ٠ كنـا نخـرج الى الجبل يوميـا عـدا زميلنـا **وليم اسحق** حيث تعفيه اللائحة **من الأعمال الشاقة** اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها ٠ وكان خروجنا الى الجبـل بناء على طلبنـا وأن كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور ٠ وفى يوم من الأيام كان وليم يسير فى حوش الليمان مع حارس ولمـا رآه المديـر أمـر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفـا بذلك اللائحة ،وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهـال عليه ضربا ، ثـم حمله عدد من السجانة الى الجبل ٠

ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عـدد من الجنود وقد أحاطوا بنـا من كل جانب تحت سفح الجبـل ومعه المأمور وعلى وجهـه ابتسامته الصفراء المعهوده ٠ صـاح المدير بأعلى صوتـه :

ــ يا الله يا مذنب أنت وهوه ٠٠ كله يشتغل

لـم يتحرك أحـد منـا من مكانـه ٠

صاح مـرة ثانيـة وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتمـلأ وجهـه ابتسـامته اللسيـاء ٠

ــ بعـد دقيقة واحـدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة ٠٠ والا راح استخدم القـــوة ٠

تقدمت اليه وقلت بهـدوء ٠

ــ أحسن استعمل القـوة

صـاح بغضب

ــ أنت بتتحـدانى ٠

قلت بهدوء أكثــر

ــ لا اتحداك وانمـا اللائحـة هى التى تتحداك ٠

جن جنون الرجل ٠٠ وابتسامة المأمور تتسع أكثـر

ـ اللائحـة ٠٠ اللائحة ٠٠ كل المساجين بتقول اللائحة ٠٠ مالها اللائحه
ـ اللائحة تمنعك من اخراج زميلنـا بالقوة والاعتداء عليه ٠
ـ أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحـة
ـ لكن احنـا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! ٠
وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجنناه وواضعى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقـال ٠
ـ انا أوامـرى هى اللائحـة
ـ ونحن نتمسك باللائحه ٠٠ ونعلن **اضرابنا عن الطعام** ٠
ـتبك الرجل وازدادت ابتسامة المأمور اتساعا ٠ وهز الضباط رؤوسـهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنتشرين تحت سفح الجبل يبلغونهم الخبـر ٠

وبعـد دقائق مـرت فى صمت ٠ انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنـه ببعض كلمـات قال المأمور بعدها
ـ سعادة المديـر كلفنى انى اتفاهم معاكم
ـ نحن نفضل التفاهم مع النيـابة
صاح المديـر بغضب
ـ ودخلها أيـه النيابـة ؟
قلت بهدوء
ـ واجبهـا التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام
قال المأمور بلهجتـه التى نعرفها
ـ يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى ٠ ٠ وكل شىء بالتفاهم
ـ لن نتفاهم الا مع النيـابة
وبخبث شديد وجه المأمور كلامه الى المديـر
ـ يا سيادة المدير ٠٠ اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم ٠
لوى المديـر لجام حصانه ليعود الى الليمـان ونظرات الضباط والجنود والمساجين السـاخرة تلاحقـه ٠
همس المأمور فى اذنى
ـ واضح انكو مصرين على الاضراب
ـ أيـه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضـه ؟
ـ وبعدين ويـاك ؟
ـ يعنى علشان نأكـد لك ان احنا فاهمين بعض ٠
كان موعـد الغذاء قـد حل وأصوات تنـادى علينا بالذهاب « **بالقروانات** » لاستلام العدس أو الفول الذى كنـا نطلق عليه « **السوس الفول** » بـدلا مـن « **الفـول السوس** »

التفت المأمور الى أحـد الحراس وقال
ـ روح هات لهم الغداء ٠٠ ثم التفت الى وقال
ـ والا أبـــه ؟
قلت
ـ آه طبعـا هـات الغدا أمـال أيـه ؟
امتقع وجه المأمور وتعبيرات وجهه تتسائل ، هل عدلنـا عن الاضراب ، وقال
ـ آه طبعـا مفيش داعي للاضراب
ـ احنـا مضربين
صاح المأمور بغضب
ـ أمال عـاوز الغدا ليـه ؟
ـ علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنـاه وتثبت ده في **المحضر** ٠٠ والا أيـه ٠ ؟
ـ لك حق ٠٠ روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديه الليمان فى مكتبى ٠٠ وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكـره انشاء الله نعمل المحضر ٠
ـ بكره زى دلوقت ٠٠ والا أبـه يا حضرة المأمور ؟
قال بلهجـة تأكيـد
ـ طبعا ٠ طبعا ٠٠ أنا فاهم اللائحـة ٠
تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد **٢٤ ساعة** من ساعة الاضراب ٠ لكن ادارة السجن عـادة لا تنفذ هذا النص الا بعـد مرور ٤ أيـام على الأقل ٠ وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسـائل **الارهاب** حتى يعدل المسجون عن **الاضراب** وبالتـالى لا يثبت فـى أوراق السجن ان اضرابا عن الطعام قـد حدث ٠ وبالطبع كنـا متأكدين ان المأمور سوف يفتح لنـا المحضر فى الموعـد الذى تنص عليه اللائحة بعـد ٢٤ ساعة٠ هكذا بـدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط والسجانة ، ومع تأكدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجون بخبر الاضراب بأقصى سرعة امعانا فى احراج المدير ٠ ونحن فى الطريق الى الليمـــان اقترب منى مسجون ـ **من هيئة تحرير الطريق** ٠ وهمس :
ـ أبه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟
ـ موافق وبأقصى سرعة
ـ وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة
ـ همتك أنت وزملائك ٠
ـ رقابنا ٠٠ انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة ٠
بعـد **٢٤ ساعة** بالضبط كنت فى مكتب المأمور لعمـل **المحضر** ٠ فوجئت بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمـام مسئولية الاعتــداء على ولبم وخرق اللائحة ٠ كذلك سب اللائحة والذين وضعوها ٠

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

ـ أيه رأيك ٠٠ انا ملت ابتدى أكتب المحضر ٠ ٠ أظن تمـام كـده ؟

قلت مبتسـما ٠٠

ـ عظيم جـدا ٠٠ بس شـوية اضافات كـــده

ـ قـوى قوى ٠٠ قـول ٠

ـ يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره

وقام المأمور باثبـات هذه الطلبـات ٠

عـدت الى العنبـر كى نحمـل متاعنـا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى « **التأديب** » ٠٠ زنازين انفـرادية يسجن فيهـا **المخالف للنظام والمضرب عن الطعام** ٠ كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمنتشرين في الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بأيديهم **تحيـة** لنـا وتشجيعا ٠ ومن استطاع منهم أن يقترب منـا كـان يعرض خدماته ٠ وعلى باب التأديب كان هنـاك مـن ينتظرنا كي يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » ٠ كان هـذا العـدد هو الثالث الذى تحرره اقلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منـا كانت افتتاحية العـدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنـا وليـم ثـم موقفنا من المديـر تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهـدف تحسين معاملة المسجونين جميعـا وصرف الملابس والاغذيـة التـى يستحقونها ٠ وطالبت الافتتاحية فى الختـام بمساندتنا والوقوف الى جانبنـا وذلك بتوصية أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيـابة لسرعـة حضورها للتحقيق ٠

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الأولى بعدها تكون المعـدة قـد تعودت على عـدم استقبال الطعام ، ثـم يبـدأ التعب فى هـد الجسـم ٠ وعـادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعـد لا يزيـد عن ٤٨ ساعة منذ بـداية الاضراب ٠ ومع أن مأمـور السجن أرسل التحقيق الادارى الـى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليهـا ان ترسل فى طلب النيـابة فقد مضى **اليـوم العاشر** ولم تأت ٠ والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيـابة للتحقيق يعتبـر هزيمة لنـا ٠

كان عـدم حضـور النيابة شـكل من أشـكال الضغط التى بـدأت **الحكومة** تمارسـها علينـا فقـد أنهالت عليهـا **البرقيـات** من عـدد كبيـر من **الهيئات والمنظمات والأحـزاب التقدميـة العالميـة** فضـلا عـن **المظاهـرات اليومية** التى كـان الأهالـى يقومون بهـا عنـد **رئاسة الجمهوريـة ووزارة الداخلية ومصلحة السجون** ٠ وأمـام هـذا الضغط المحلـى والعـالمى رفضت الحكومة أن تبـلغ النيابـة حتى لا يثبت فى أوراق رسـمية مـا يـدل على اضرابنـا بسـبب الاعتداء علينـا ٠ أخـذت المعركـة طابعـا

سياسيا • وقررنا الاستمرار فى **الاضراب عن الطعام** مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الأهالى •

وفى اليوم **الحادى عشر** صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها **أمام الرأى العام** العالمى • ونشرت المجلة مقتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومقتطفات من البيانات التى أرسلها **أهالى المسجونين** الى الجهات المسئولة •

وفى اليوم **الثالث عشر** ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى **المستشفى** الا فى اليوم **السابع عشر** بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول **العلاج الضرورى** • فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالتالى امتنع هو الآخر **عن الحضور** اليهما فى الزنزانة •

وفى مساء **اليوم السابع عشر** نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى **النيابة** لاثبات أسباب دخولهما المستشفى •• وفى صباح اليوم **الثامن عشر** علمنا أن الزميلين بين **الحياة والموت** وأن الطبيب كتب **تقريرا** بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى • وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم •

وفى مساء نفس اليوم **الثامن عشر** ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخيرا حضرت **النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن** وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

– قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل •

قلت :

– قبل هذا كله •• ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ أضرابنا عن الطعام •

قال :

– أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا •

– وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك •

وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

ـ هـل اخطرشم المصلحة بالاضراب فى الموعـد القانونـى ٠ ٠ ؟
التفت المدير الى المأمور الذى قـال :
ـ أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك ٠
قـال المديـر :
ـ وأنا أرسـلته الى المصلحة ٠
سأله وكيل النيابـة :
ـ متـى ؟

لـم يجب ، وانتحـى بوكيل النيابة جانبا واخذا يتهامسان ٠ ورغم **الأعياء** الشديد الذى كنت اعانيه ٠ كان ذهنـى يقظا لكـل ما يـدور حولـى ٠ انتهز المأمور فرصـة انشـغال وكيل النيابـة مع المديـر وهمس لـى وهـو يبتسـم بخبث :

ـ سمع كلامهم **الشـفوى بالتليفـون** وعطل ارسـال المحضر عشرة **ايـام** وطبعا هو اللـى راح يتحمل **المسئولية** ٠
عـاد وكيل النيابـة ومعـه المدير وبدأت مساومة ، قـال :
ـ سيادة المديـر مستعد لان نجيب كل طلباتكم ٠
ـ متشكرين ٠
ـ يعنى موافـق ٠
ـ ازاى ما أوافقش على اجابة كل طلباتنـا ٠
ـ يبقـى اتفقنـا ٠
ـ طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما ٠ ٠
ـ أمـال يبقى اتفقنـا على ايـه ؟
ـ على تحقيق مطالبنـا ٠٠
قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنـا على المديـر الذى سـيتحمل المسـئولية ٠
ـ وأبـه لازمة المدير يتحمل المسئولية وكان عنده أوامـر ؟
ـ على من ينصـدى لوقـع المسئولية ان يتحمل نتيجـة مواقفـه ٠

وامـام اصرارنـا انصرف **المدير** تاركـا كل شىء فى يـد **وكيل النيابـة والمأمور** ٠ أرسل المأمور لاحضار دفاتر السجن كى يثبت عـدم مسـئوليته وبالتالـى يلقـى المسئولية على المدير الذى تاخـر فى ارسـال **محضر بـدء الاضراب عن الطعام** ٠ وبعـد أن اثبت وكيـل النيابـة ذلك كمـا اثبـت واقعـة الاعتداء على زميلنـا ولبـم ، حـاول المأمور ان يوحـى لوكيـل النيابة بانهـاء المحضر فقلت :
ـ نتكلم بقـى عن مطالب المسجونين ؟
قـال المأمور بغضب :

ـ أنت مالك بقـى ومال المسجونين ؟
ـ لأنـى مسجون زيهم ٠
وأدرك وكيل النيابـة أن فـى الأمـر شيئا لا يعرفـه ٠٠ انتحـى بـى جانبـا وسـال ، فقلت :
ـ أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع ٠
وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين ٠
ـ **ملابس الصيف** لـم تصرف ٠
قال المأمـور :
ـ بـل صرفت ٠٠
سـأل وكيل النيابـة ؟
ـ متـى ؟
ـ أمس ٠
سأل وكيل النيابـة :
ـ أمس فقط ٠٠ **الصيف قرب يخلص** ٠
والتفت الـى وقـال :
ـ وأيـه كمان ٠٠ قـول :
ـ **كمية العسل قليلة ٠٠ ووزن اللحمة أقل من المقـرر ٠٠ و ٠٠**
وأثبت الرجل كـل شيء ٠ وقفـل المحضر بانهـاء الاضراب عن الطعـام وعلامات الغضب باديـة على وجه المأمور الذى قـال :
ـ يعنى احنا حراميـة يا أستاذ ؟
ثـم اشـار الى حذائـه وقـال :
ـ يا أخـى ده أنـا جزمتى مقطعة ٠
قلت بسـخرية :
ـ أظن ده مش دليـل كاف
قـال بغضب :
ـ يعنى بتتهمنـى ؟
ـ الجهـة التى تملك الاتهـام ٠٠ آهـى ٠
وتدخل وكيـل النيابـة :
ـ يا حضرة المأمور أفتـكر بقـى تعمل اجـراءات فك الاضراب ٠
ولأن المعدة لا تحتمل بعـد توقفهـا عن العمل مـدة فالمفروض أن تبـدأ نشاطها ببعض السـوائل ٠ وحين أمـر الطبيب باحضـار عصير قصب ، الذى مـا كدنـا نبـدأ فى تناولـه حتى فوجئنـا بالمديـر ياتـى ومعـه سـجان يحمل كميـات من البرتقـال وعصير البرتقـال واكـواب ٠ وراح الرجل بنفسـه يوزع علينـا كميـات البرتقـال والعصير ، ولمـا شـكرتـه قـال بتاثـر :

ـ يا ابنــى انتــو برضـه زى أولادى ٠

تأثرنا جـدا بموقف الرجل وكدنـا نطلب من وكيـل النيابـة أن يعــدل المحضر حتى لا تقـع أى مسـئولية على المديـر ٠ ان النورى الذى يحسـبه الناس قاسـيا ولا قلب لـه ، فى أعماقـه طفـل يتأثـر بأى عمــل طيب أو لمسـة انسانيـة ، والغريب أننا شعرنـا بعـد انتهـاء الاضراب ولأكثر من أسـبوع بانه كان يجب أن لا نحمـل المديـر أى مسـئولية وخصوصـا وأن المسـئولية الحقيقيـه تقـع على **الحكومة** وعلى وجـه التحديد **وزيــر داخليتهـا** الذى ينفـذ سياستها ، لقـد ظـل تساؤلنـا هذا قائما حتـى يـوم الاجتماع الكبير الذى دعـى اليـه مدير السـجن ٠ فماذا حـدث فى ذلك اليوم المشـهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسـالة المقبـلة يا حبيبتـى ٠.

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغــداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتــــى

في رسالتــي السابقة حكيت لك قصــة **اضرابنـا عن الطعــام** وأسبابه ٠٠ واهدافــه المباشرة داخل السجن ٠ غير أن أبعــاد هذا الاضراب كانت أكبــر من ذلك بكثير ٠ كانت لــه ابعـاده السياسية داخل البـلاد وخارجهـا فقد أصبحت قضيــة معاملتنـا كسياسين قضيــة حيــة فى أذهـان الناس وعلى عكس مـا كـان يتوقعــه **مدير الليمان** الذى عطـل ارســال محضر الاضراب الــى المسئولين حيث كـان ينتظـر مسـاءلتــه قانونيـــا ، فقــد أطلقت يــده بشــكل كبير فــى الليمـان كـى يعيــد اليه « **النظـام** » ، الذى «**اختل**» خـلال الاضراب ٠ لكن المديــر لـم يفهم ماذا تعنيــه « **أوامــر** » اعــادة النظـام ٠ أما المأمور فقد فهمها جدا ٠ فهم انهـــا مضايقتنــــا الى أقصى حــد ومحاولة استفزازنـــا وعزلنـــا عن المسـجونين الذين دعمت علاقتنـا بهم ٠ واقامـــة الدليـل على أننا وراء صــدور جريدة « **الطريــق** » ، وحتى لا ينفضــح أمـر المأمور أمامنـا وأمـام المسـجونين عامة راح الرجـل يوعز الى المديـر بتطبيق نظـــام صـارم فى الليمـان كله ليســتطيع من خلالــه أن ينفذ مهمته ازائنـــا ٠

وبدأت الأوامـر تنهـال : ممنوع بيــع السـكر فى الكانتين حتى لا يستخدمه المساجين فى عمل الشــاى فى الزنازين ، فاشـعال أى **نـار** تحرمه اللائحــة ٠ لا يصرح لأى مسجون أن يشترى أكثر من ٣ **علب سجاير** فى الأسبوع وبحيث لا يدخن الا خارج الزنزانـــة نهارا فالمفروض أن لا يكـون مــع المســجون **كبريت** ٠ وهكذا سلسلة من **الأوامــر** التى راح يصدرهـــا المديـر لاعـــادة « النظـام » بايعــاز من المأمور الذى كـان يجرى يوميـا تفتيشـــا وهميـا لزنازين بعض المســجونين ، وتفتيشــــا يوميا لزنزانتنـــا بهــدف اســـتفزازنـا ٠

كانت مجموعــة من زملاء « **حدتو** » قــد حـكم عليهم بالأشــغال الشــاقة ووصـلوا الى السـجن خـلال اضرابنـــا عن الطعــام وبعـد صـدور حوالــى سـبعة أعـداد من مجلة الطريــق ٠ وكان المأمور بحـكم صلاتــه يعــرف أن هنـــاك خلافـا بيننا وبينهم ، وبـــدأت خطتــه لتحقيق هدفــه بمحاولــة تعميق الخلافـات بيننا وبينهم ٠ ومع أن الزملاء كانــوا متنبهين الــى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل الشعر مع **زكى مراد** ، ويسمح للدكتور **شريف حتاته** بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن · لعب الرجل على خلافاتنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علاقتنا معهم · ومع أننا قلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمنى الذى جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم ·

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضسق على حبادهم ، نكثرت لقاءاتهم مع المدير الذى كان دصر على اعادة « النظام » والمأمور الذي كان « يناصل » للتخفدف عنهم ولكن الدبر « نظامى جدا » ! · وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحشد المسجونبن من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم نلغ الادارة أوامرها التعسفبه فى موعد أقصاه **عشرة أيام** · ويبدو أن ما نشرته « **الطريق** » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما بكون الذى أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذى أوحى له أن يدعوا الى **اجتماع عام لكل المسجونين** لمناقشتهم فى مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش ·

حوش اللبمان واسع جدا · تتوسطه منصة عالية يسميها المساجين « **البرج** » · كان **المأمور الانجليزى** يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى **ليتسلى** بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج ·· وبعد أن ينتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! ·

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت **الادارة البريطانية عن السجون** · حوالى ٤٠٠٠ مسجون يجلسون القرفصاء فى شكل مجموعات · يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون **المدافع الرشاشة** ، وكان مكاننا فى آخر الصفوف حيث جلسنا القرفصاء · يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسلحين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأمورى السجن ، (···) الذى كان يقف قريبا منى ·· سألته :

ــ ايه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

ــ **والله ما أنا عارف · علمى علمك ·**

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس **المأمور الأول** « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته فى حياتى بكلمة من المدير قال :

– انتو عارفين • أنا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت **ضابط ملازم هنا** • فاكرين ؟ • وسرت همسات بين المساجين •• قطعها الرجل بصوت جهورى •

– النظافة أهم حاجة عندى • احنا **مسلمين** ونحب النظافة •

تبادلت النظرات مع (•••) الضابط المسيحى • • وسرت همهمات بين المساجين المسيحين •• واستطرد الرجل :

– وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرشه « **البرش** » « والبطاطين » من الصبح لغاية **التمام** •• حسب اللوائح والقوانين •

وعلت الهمهمات بين المساجين •• وبدت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام •• لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « **سعادة المدير** » من نصائحه وحديثه •• ويرتفع صوت الرجل •

– وممنوع الاتصال بالخارج منعا باتا • الجوابات •• والأكل اللى بييجى من بره ممنوع •• **العسكرى اللى بياخد ١٠ أو ٢٠ قرش من** المسجون ده حرامى ••

وبان الضيق على وجوه السجانة •• وسرت همهمات بينهم • • واستطرد المدير .

– والضابط لازم بفرض النظام •• مسالة **البلديات دى لازم تنتهى** •• الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه • •

هكذا استطاع المدير « بعبقريته » الفذة أن يكون جبهة ضده •• **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة** •

وعلت الهمهمات بين الجميع •• ووضع السجانة **الرشاشات** الى جانبهم بعد أن كانت فى وضع الاستعداد • • واختلت صفوف المسجونين **المنتظمة** •• خرج بعضهم عن الصف •• ووقف البعض الآخر •• وطالب بعض المسجونين **بالتعقيب** على كلام المدير •• غير أن المأمور بعد أن همس فى اذن المدير وهو يشير الينا •• قال :

– بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب ••

ويستطرد المدير :

– وهناك **قلة** لا وزن لها •• سنضربها بيد من حديد ••

وشعرنا أنه يشير الينا •

– **الست** اللى تبعث برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (•••) •

وغلى الدم فى عروقنا ‥ ووقف **سعد باسيلى** يقول :

ـ نحن لا نسـمح بهذا الكـلام الذى يحاسـب عليه القانون ·

ووقف الزميـل **زكى مراد وقـال :**

ـ نحن نحتفظ بحقنـا برفـع دعوى ضـدك ، قضيـة **سب علنـى لاحدى زوجاتنـا أو شـقيقاتنـا أو بناتنـا** !.

ووقف عـدد من المسجونين بنـدد بكـلام المديـر ويطلب التعقيب ‥ وسـاد الهرج والمرج ‥ ووقف كـل المسجونين يعلنـون احتجاجهم ‥ ليس دفاعـا عنـا وعن شرفنـا الذين أهين علنـا ولكن أيضا عن حقوقهم ‥ وارتفـع صـوت المديـر فى محاولة للحديث ، وبعـد أكثر من نصـف سـاعة ‥ تركـه المسجونون يكمل ‥ قال وهو يشير الينا :

ـ **أنا يا ولادى ما أقصدش حـد من قرايبـكم ‥ دى واحـدة مـن** ايطاليـا بتقـول انها سكرتيرة منطقـة ميلانـو ‥ باعته تحتج ‥

ووقف زميـل ثالث :

ـ وهذه أيضا لا نسـمح لك باهانتهـا ‥

ووقف مسجون يطلب الكلمة ‥ قال :

ـ **يا حضرة المدير احنـا عارفينك من زمان ‥ أنـت طـول عمـرك شـديد ‥ واحنـا طول عمرنـا ضـدك ‥ ومش راح نسـمح أبـدا بأيـام زمان تتكرر تانـى** ·

ووقف تان ‥ وثالث ‥ ثـم وقف الجميـع يهتفـون ضـد المدير وظلمـه وتعسفه ‥ لـم يقتـرب منهـم جنـدى واحـد ‥ أو ضـابط ‥ عجـز المدير عـن عمـل أى شىء ‥ وامتلك المأمور الموقف كلـه ‥ قال وابتسـامة صفراء تكسو وجهـه :

ـ يا للا يا سجانة كل واحـد ياخد المسجونين بتوعـه علـى العنبر ‥

لكن المسجونين لـم ينحركوا من أماكنهم ‥ وقال المأمور :

ـ سادة المدير راح يطلب عدد منكم علشـان يتكلم معاهم عن مطالبـكم

قال مسـجون :

ـ لا عاوزينـه يتكلم هنـا ‥ معانا كلنـا ‥

وقـال آخـر :

ـ لازم يسحب كل الكـلام اللى قالـه

وقال تالت

ـ مطالبنـا لازم تتحقق ‥

وقال رابـع :

ـ **الفرش مش راح يطلـع بـره الزنزانـة ابـدا ‥ والكانتين لازم يرجـع زى ما كـان ‥**

وهتف خـامس :

ـ **يسقط الظلم ..**
وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ..
ـ يسقط الظلم .. يسقط الظلم ..
ويتقدم الضباط الذين يتعاطفون مع المساجين يطلبون منهم الهدوء ..
ويستجيب المساجين .. ويقول المدير بصوت ضعيف :
ـ يا أولادى انتم فهمتونى **غلط** . راح انظر فى مطالبكم .
لم يكترث به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لم يحاول السجانة أو الضباط اعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب المدير من المأمور أن يصرف المساجين . وعاد المسجونون الى عنابرهم فى **شبه مظاهرة** لم يشهدها الليمان من قبل يهتفون يسقط الظلم .. يسقط الظلم . نريد حقوقنا . نريد حقوقنا . هل سيعدل المدير عن أوامره التعسفية ؟ ، وما العمل اذا لم يعدل عنها ؟ المدير فى موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة . واتفق على أن يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالهما الموقف .
وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق **تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين** .
ولأول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى تجاب مطالبهم . وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٣ مايو ١٩٧٧
بغداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتـــى

في رسالتـــى السابقة حكيت لك ما انتهـــى اليـه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين • كان من الطبيعـــى أن يســـود المسجونين جـــو من الثقـــة بعـودة الحياة فى الليمان الـى ما كانت عليـه قبـل الاجـراءات التـــى فرضهـــا المديــر • لكننا كنـا نرى غير ذلك • ان تراجـع المدير عـــن الاجراءات التى اتخذهـــا ـ على الرغم من أنهـا كانت محـل مؤاخـــذة من رؤســـائه ـ ســـوف يخلق ظروفـــا مواتية للمسجونين لتطبيق كـل بنـود اللائحة ، وهو أمـر لا يريد بعض **كبار الضباط** حيث يسد بابا « **للرزق** » **هم** حريصـــون على أن يظـل مفتوحـا • هذا الدافـع الذاتـى سيدفـع بهم الـى اتخـاذ اجراءات شـاذة « **لتطهير** » أفـكار المسجونين من الأفـكار « **الهدامة** » •

وكنا نتوقـع أمرين : الأول : عمليـة تنكيـل بالمسجونين الذين تحـــدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشـديد الحراسة علينـا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنـا أو فـرض **معركـــة للتنكيـل بنـــا** • ومر يومـان ولـم يبـد فى الأفـق ما يشير الى عـدول المدير عن الاجـــراءات الشـاذة التى وعـد بالغائهـــا • وعبثـــا راحت كـل محاولات المسجونين لمعرفـة مـا يـدور فى رؤوس المدير وكبـار الضباط فـى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور •

المأمور الذى كان دائـم الصـلة بالمسجونين وعلى وجهـه ابتسـامتـه التقليديـة ، وعلى شـفتيـه الوعـــود بتحقيق مطالب المسجونين اختفـى تماما • والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصـا فى اظهار تعاطفهم ويبذلون جهـــدا لاخفـاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبـار المسئولين فـى مصلحة الســـجون وبين المديــر ، فهم على **الأرجح** كانـوا لا يعرفـون • حتـى السجانـة كانـوا يتوقعـــون شيئا **رهيبـا** ضدنـا بشـكل خاص ، وضـد المسجونين بصفة **عامـــة** • وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبـدى بعضهم استعدادهم لمساعدتنـا •

فى مساء **اليوم الثالث** عقدنـا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركـــة التى سوف تفرضها علينـا **الدولة** • أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافيـــا عن الوضع واقتراحات بعمل حمـلة واسـعة من البيانات الى المنظمـــات الجماهيرية والنقابية والمهنيـة ، والى الهيئات العالميـة الديمقراطيـــة •

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية • كما أرسلنا خطابات الى أهالينا لتكوين وفود تذهب الى المسئولين • وأخرى لتتواجد بشكل **دائم خارج السجن** لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شيء ضدنا • وكان قرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى **الحياة ذاتها** ، بعد هذا القرار ، كان أمامنا فى تلك الليلة مشكلتان : الأولى **توصيل** ما كتبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة • والثانية هى الاتصال بهيئة تحرير « الطردو » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاجتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى **الاضراب العام عن الطعام** • كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يمضى بسرعة **والمؤامرة** بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، واختفاء المأمور المفاجىء وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل **الخوف** من المصدر الذى ينتظرنا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانيها من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته • ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والاكثر قسوة، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم تخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع • كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا •

كان صوت **سجان صديق** •• تبينا صوته ولكننا لم نعرف من هو • قام **مجدى فهمى** من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة • قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة •

ـ أهلا •• أنت « ••• » جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى **بولاق** والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من **ليمان أبى زعبل** •

قال الصديق :

ـ نقلت من ليمان أبو زعبل الى هنا • • من يومين فقط •

قال مجدى :

ـ لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام •• ولم يتغير ليل ولا نهار •• ايه اللى جرى •.• ؟

ضحك الصديق وقــال :
ــ جــاله مغص وخدوه على المستشفــى وجيت بدالــه ٠
ــ أيــه الصدفــة الغريبــة دى ؟
قال الرجل بكل الصــدق :
ــ ده تدبير ربنــا ٠٠ انتو نـاس جدعــان
قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :
ــ الله يخليك يا « ٠٠٠ » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة ٠
ــ رقبتــى يا مجدى ٠٠ ان ماكانش علشــان انتو رجــاله ٠ فعلــى الأقــل علشــانك أنت ٠٠ ابن حتتى ٠
أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال لــه :
ــ دول لازم يوصلوا بأقصى سرعــة
ــ قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم ٠
ــ متشكرين جــدا ٠٠ أنت راجل عظيــم ٠
ــ يا مجدى لا شكر على واجب ٠٠ أنا متأكــد اننى بأعمل خدمــــة لوطنــى ٠
ثــم يســـتطــرد ٠٠
ــ على قد ما أقــدر بقــى أنا مش زيكــو
ــ اللى بتعمله ده ما يقلش أبــدا عن عملنــا ٠
ويستطرد مجدى :
ــ بس فيه مهمة ثانيــة ٠٠ يمكن تكون صعبــة شوية ٠
ــ مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ٠٠
ويبدأ مجدى فــى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « **الطريق** » ٠ ويقاطعه الرجــل :
ــ أيــوه أنا سمعت عنهــا ٠
ــ قريتهــا ؟
ــ لا ٠٠ لكن كــل المسجونين بيمدحوا فيهــا وبيحبوهــا ٠
ويعلق مجــدى :
ــ وأظن منتظرين صدورهـــا **بكــره** ٠
ــ تمام ٠٠ تطلب ايــه منــى ؟
نـاوله مجدى خطـــاب موجــه الى هيئة تحرير مجلة الطريق ٠٠ وقال :
ــ عاوزين الجواب ده يوصــل **لعنبر ٢ للمسجون** (٠,٠٠) قبــل الســـجن مــا يفتح ٠٠ ممكن ؟
ــ صعبة أوى الحكاية دى ٠٠ لكن راح اتصرف ٠
ويصيح مجــدى :
ــ انت عظيــم ٠
وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى ٠

ويضحك السجان الصديق :

ـ عيه كل حاجة عظيم ٠٠ عظيم ٠ فين العظمة دى ؟

ويضحك مجدى :

ـ شيء هايل ٠٠ بلاش عظيم ٠

ـ يا عم لا هايل ولا عظيم ٠٠ أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ٠

ـ لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ٠

ويقول الرجل بثقة غريبة :

ـ ماشى ٠٠ استننى شوية لغاية ما أرجع لك تانى ٠

لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما ٠ الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا ٠ وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه ٠ فكيف يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق » ؟

بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة ٠٠ أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :

ـ كله تمام يا رجاله ٠٠ ناموا بقى ٠

ويصيح مجدى بفرح غامر :

عظيم ٠٠ انت هايل ٠

ـ تانى ! ٠٠ عظيم وهايل ٠٠ !

ويسأل مجدى فهمى :

ـ لكن ازاى وصل الجواب لعنبر ٢ ٠

ـ يا سيدى ده شغلنا بقى ٠

ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى عنبر ٢ ـ زنزانة رقم ٣٢ ! ، ويحكى الرجل :

بسيطة قوى ٠٠ كان معايا علبة سجاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة ٠ وأخذت منها سيجارة وحطيت بدالها سيجارة تانية فيها الجواب ٠ وطلبت من السجان اللى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتتى (٠٠٠) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ٠

ويسأل مجدى :

ـ لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟

ويجيب الرجل بثقة :

ـ الا متأكد ٠٠ ودى فيها كلام ٠٠

ـ يعنـــى
ويقاطعه الرجـل ..
ـ يعنى أيـه بقـى .. أمـال فين الثقة بالشعب ..
ويرد مجدى بلهجة ودودة :
ـ لك حق .. متأسـف .

ما كدنـا نطفـىء أنـوار **الزنزانـة** اسـتعدادا للنـوم حتى رأينـا خيـوط فجر يوم جديد تخترق قضبـان نوافـذ الزنزانـة لتبـدد ظلامها الدامس . وجاءنـا صـوت مألوف على أسماعنـا يؤذن **لصـلاة الفجـر** . كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنـا بان الرسالة قـد وصلته ، وكنـا قـد اتفقنـا معه على أنـه فى حـالات محـددة ، وبعـد ان يبـدأ مؤذن الجامـع المجـاور لليمان بآذان المقطـع الأول يبدأ هو فى الأذان . وتأكدنـا من وصـول الرسـالة ومن اعـداد العـدد الخاص من « الطريق » الذى يدعو الى **الاضراب العام عن الطعام** . وعن هذا الاضراب أكتب لك رسالتى المقبـلة يـا حبيبتـى .

١٢ يونيو ١٩٧٧
القاهـــرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتـــى

الأقنعـة الزائفـة وان يـدا بريقهـا يخطف الابصـــار ، فـى لحظـــة من اللحظات ، لا تسـتطيـع أن تخفـى تماما وجـه صاحبها **القبيـــح** • عين الانسـان الصـادق تستطيـع أن تخترق تلك الأقنعـــة لتلحظ **أقـــل** تصرف ذاتـى وتضـع أمامـــه علامة اسـتفهام ؟ ويبـدأ سـقوط الأقنعـة ، قناعـا وراء قنـاع حتى يتعـرى تماما وجـه صاحبهـا ، ويبدو علـى حقيقته ، شريرا ، دنسـا انتهازيـا يسخر كل شيء وأى شـيء مـن أجل ذاتـه • الغاية عنـده تبـرر الوسيلة • ، ذكـاء صـفة أسـاسـية من صفـات الانتهازى تعطيـه القـدرة على الخـداع حيث يسـتطيـع استخدام كل الظروف لصـالحه • لكن ، لانـه يفتقـد جوهـر الانسـان يفتضـح أمـره لكـل المخدوعين بـه عنـد وضـعه فى تجربـة انسانيه •

المامور (•••) الذى حدثتك عنه فـى رسائلـى السابقة ، واحـد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقـات وفئـات المجتمـع ، هـذا الرجل الذى زعم يومـا أنـه صديق لنـا وللمسجونين وخدعنـا فيـــه بعض الوقت ، وكنـا أكثر ذكاء منـه حين استخدمناه لصالح المسـجونين ، وبالتالـى لـم يفضـح أمـره تماما لكـل المسجونين ، سـقطت كـل اقنعتـه الزائفـة فى لحظة واحـدة •

فى **ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام** والذى دخله كـل المسـجونين ـ عدانا وباتفاق سابق ـ وعـدا الاخوان المسلمين ـ فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنـا ـ على غير العـادة ـ ، بعدهـا فتح بـاب الزنزانـة لنجدهـا فى لحظـة وقـد امتـلأت بعدد **كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المامور** •

قـال وعلى وجهه ابتسـامة كالحـة :

ـ هما الجماعة دول مضربين ليـه ؟

ـ جماعة مين ؟

ـ المسـجونين •

ـ مسجونين مين ؟

ـ المسجونين كلهم •

ـ لكن احنـــا مش مضربين ٠
ـ ليـــه ؟
ـ علشــان كـــده ٠
هو القيــادة مش لازم تضرب المثل ؟
ـ أســـأل القيــادة ؟
ـ طب ما انتـو القيــادة ٠
ـ عاوز أيــه بالضبط ؟
ـ عاوز اثبات قانونـــى ٠
ـ لكـل مجتهـــد نصيب ٠
ـ وأنا مجتهـــد ٠ ٠ والا أيــه رأيكو ؟
ـ فعـــلا ٠٠ بس انتهــازى ٠

ووسط ضحكات الزملاء العاليـــة والســاخرة ، وابتســامات علـــى وجوه عـدد من الضباط والسجانة ، ارتفـع صوت المأمور عاليا :

ـ يا له يا ســجان انت وهو ٠٠ فتش كل حاجة ٠٠

بعض السجانـــة قـــام **بتمزيق كل ملابســنا** ، والبعض الآخـر كان يفتش بطريقـــة **شـــكلية** ٠ وتناول المأمور « **جاكوش وأجنه** » كان يحملهـــا أحـــد الســـجانة وأخـــذ بنفســه يحفـر اجـــزاء من أرض الزنزانـــة ، ومـــن جدرانها ، آمـــلا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيــه الدليـــل القانونـــى الذى يثبت صلتنـــا **باضراب المسجونين** ٠ وبعد أكثر من ســاعتين ، انصرف المأمـــور ومن معـــه وقـد تركـوا كـل ملابســـنا ممزقـــة ، وجـــدران الزنزانـــة وســـقفها وأرضها وقد امتــلأت بالحفر ٠ وبعـــد أقـل من عشر دقائق جاءنـــا الســجان الصديق يحمل لنـــا رســالة من مســجون صـــديق أرســلها من « الجبـــل » ٠ ووقف على باب الزنزانـــة المغلقـــة حتى نقـــرأ الرســـالة ونعطيه الـــرد عليهـــا ٠ وكانت الرســـالة تحمل وصـــفا دقيقـــا للأســلوب الذى تـــم بـــه الاضراب ، وللدور القـــذر الذى قـــام بـــه **المأمور** ضـد المسجونين لتحطيـم الاضراب ٠

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبـــل » ٠ كان كل شـــىء طبيعيـــا ٠ انتظمت الفرق المختلفة وبـدأت فى عملهـــا ٠ العمل يبـــدأ عـــادة فى الساعة الثامنة حتى نوبـة الظهـر فى الســـاعة ١٢ حيث يأخـــذ المسجونون راحـــة لتناول الغـــذاء ٠ وعندما نودى علـــى المسجونين لاســتلام وجبـــة الغـــذاء ذهبـــوا جميعـــا كالمعتـــاد وفى صفوف منتظمة يحملون « **القروانـــات** » ٠ وبـــدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كـــل يـــوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبـــوا بنفس الصفوف المنتظمـــة الـــى **مأمور « العمل »** ورصـــوا أمامه كـــل القروانـــات ، ثـــم عـــادوا الـــى حيث يجلســـون لقضـــاء فتـــرة راحـــة الظهيرة ٠ ذهب اليهم المأمور ومعـــه عـــدد **من السجانة يسألهم** ٠ ٠

ـ أيــه الحكاية يا مسجون انت وهو ٠ ؟

ويقف واحد من المجموعة ويقــول :

ـ مضربين عن الطعـــام ٠

ويذهب الى مجموعة أخرى :

ـ مضربين عن الطعـــام ٠

ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعــة ٠٠ الخ :

ـ مضربيين عن الطعــام ٠

لــم يفعل الضــابط شيئا ، ولم يعلق ، فهـــو من جانب يواجه موقـــف لــم يحدث فى الليمان من قبل ، وهو من جانب آخــر متعاطف مع المسجونين وأرســل الـــى المدير من يبلغـــه الخبر الخطير ٠ وبعــد أقــل من نصـــف ســاعة جــاء المأمور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصـــان جســـده السمين ، ويحمل وجهــه ابتســامته الصفراء :

ـ أيــه الحكاية يا جماعــة ؟

ـ مضربين عن الطعـــام ٠

ـ لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطونى فرصـــة ٠

ـ بقا لنـــا أربع أيــام والاجراءات زى ما هيــة ٠

ـ لكن أنـــا كنت فى أجــازة ٠

ـ وأديك جيت ٠٠ حقق مطالبنـــا ٠

ـ انتــم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدى حاجة

ـ طيب عاوز فرصـــة ليــه ؟

ـ علشـــان أتصــل بالمســئولين ٠

وكـــاد بعض المسجونين أن بخــــدع بقولـــه ٠ قــام مســجون صــديق وقـــال :

ـ على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنـــا ٠

ـ لكن المسالة تأخذ كـــام يوم ٠ ٠

ـ راح نفضــل مضربين الكــام يوم دول ٠

ـ طيب تعالـــى انت ومعاك ثلاثة تانيين معايــا نتناقش مع المديـــر والمســئولين اللى زمانهم وصــلوا الليمان ٠

وذهب معه أربعـــة ٠ اثنـــان من هيئـــة تحرير « الطريق » واثنـــان من قـــادة المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المديــر عــدد من كبـــار ضبـــاط مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش ـ قيــل انهم من المخابـــرات العامــة ـ وحاولت هذه المجموعــة من الضباط بالارهـــاب تـــارة والترغيـب تـــارة أخرى انتـــزاع أى كـــلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب ٠ ولكن عبثـــا راحت كل محاولاتهم ٠ قـــال زميــل من الزملاء الأربعـــة :

ـ احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حــد وراء الاضراب ٠

سأله أحـــد الضباط :
ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟
قـال بكـل شـجاعة :
ـ أنا المسـئول عنهــا ٠
قال الضـابط مهـددا :
ـ ده اعتراف ٠٠ أنا راح أقدمك للمحاكمة ٠
قـال الزميـل :
ـ ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون ٠
ـ طيب ليه بتطلعوهـا بطريقـة سرية ؟
ـ لأن الادارة لـم تسـمح لنـا باصدار جريدة علنية ٠
ـ وانتـو محتاجين لجريدة ليـه ؟
ـ علشـان تدافـع عن مطالبنـا ٠
ـ وأيـه مطالبـكم ؟
ـ تطبيق اللائحـة ٠
تدخل واحـد من ضباط الجيش :
ـ وأيـه اللى مش مطبق من اللائحـة ؟
ـ حاجات كتير ٠٠ الملابس لا تصرف لنـا فى المواعيـد المحـددة ٠ كمية الغذاء من لحـوم وعسـل وخلافـه ٠٠ كلها وزنها أقـل من الوزن المقرر فى اللائحة ٠
ووجه ضابط الجيش حديثه الى مدير الليمان والمأمور :
ـ صحيح الكلام ده ٠٠٠ ؟
قال المأمور :
ـ أبـدا غير صحيح ٠٠
قال الزميـل :
ـ أرجو الرجوع الى محاضر النيابة ٠
سأل ضابط الجيش مدير الليمان :
ـ أيـه محاضر النيابة دى ؟ ٠٠
لـم يجب
وحين تكرر الضابط السـؤال ٠٠ قال المأمور :
ـ يا أفنـدم ده قصـده محاضر النيابة الخاصـة باضراب الشـيوعين عن الطعـام ٠ وسـادت فتـرة من الصمت ٠٠
قال ضابط الجيش موجهـا حديثه الى الزملاء الأربعة :
ـ طيب انتو بقـى تروحوا لشـغلكوا ٠٠ وتفكوا الاضراب ٠٠ وراح نتفاهم
قال واحـد من الزملاء الأربعـة :
ـ أرجو أن تسمح لنـا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتـم التفاهم ٠

ـ لكن أنـا وعدتك٠٠

ـ يا أفنـدم سمعنا وعودا كثيرة قبل كـده ٠ ٠

قال ضابط الجيش :

ـ لكن يا ابنـى احنـا **ضباط اتصال من قيادة الثورة** ٠

قال زميـل ٠ ٠

ـ يا أفنـدم نحن نحترم ونقـدر اهتمام قيادة الثورة ٠٠ لكن ٠ ٠

ـ لكن أيـه ؟

ـ ممكن تصدروا أوامـر فـورا بالغاء الاجراءات الأخيرة ٠ ٠

ـ طيب روحوا انتـو للشـغل ٠٠ ثم نـادى على المأمور وهمس فـى اذنـه ٠ ٠

وبينما كان الزملاء الأربعـة يعودون الى عملهم بصحبـة واحـد مـن ضباط السـجن وعـدد من السـجانة ٠٠ كان المأمـور يتجـه ومعـه عـدد من ضباط السجن والسـجانة الى عنبر ٤ زنزانـة رقـم ٦٤ حيث يقـوم باجـراء التفتيش الذى حدثتك عنـه من قبـل ٠ وفى الوقت الذى كـان المأمور فيـه يجرى تفتيش زنزانتنـا كان **مدير السجن** فى الجبـل يرتكب احدى حماقاتـه ٠ توجـه المدير بنفسـه الـى هنـاك تحيط بـه مجموعـة مـن الضباط والسجانة ورجال « **الهجانـة** » ٠٠ هذا يحمـل **مدفعـا رشاشـا** ٠٠ وهذا يحمل **بندقيـة** ٠٠ ورجـال « الهجانـة » يمسـكون **بكرابيجهم** المعروفة ٠ كانت **مظاهـرة عسـكرية** لارهـاب المسجونين ٠ وبعد مناقشـة لـم تـدم أكثر من عشر دقائق صـاح المديـر باعلـى صوتـه وهو يشير الـى الزميـل المسـجون الذى كان يناقشـه :

ـ اجلدوا المسجون ده **عشرين جلـده** ٠/٠

أسرع عـدد من السـاجنة ينصبون « **العروسة** » ٠ ٠ ويمسـكون بالمسـجون لربطـه عليها لتنفيذ حـكم الجلـد ٠٠ وقبـل أن يبـدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المديـر بكلام لم يسمعه المسجونون صـاح المدير مـرة أخرى :

ـ أجرى يا سـجان هات طبيب السـجن ٠

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حـكم الجلد الا بعد كشـف الطبيب علـى المحكوم عليـه بالجلـد ليقـرر اذا كـان يتحمل الجلد أم لا ٠ كـذا ! القانـون لا يمنع جلـد المسـجون **بالسياط** ، ولكنـه حريص على أن **لا يموت** ، لاحبـا للانسـان ولكن خوفـا من المحاسـبة ، لا مانـع من تعذيب المسـجون حتى يصـل الى حافـة الموت ٠ هذا ما يكفله القانـون للطغـاة الصـغار ٠٠ يتسـلمون المسجون حيـا وعليهم أن يحافظـوا عليـه حيـا علـى حافـة الموت فقط ٠ أمـا الطغـاة الكبـار فلا شـىء يحـد من طغيانهم ٠٠ فهم أصحاب البلد ومـا عليهـا من بشر وما بهـا من ثروات ! ٠

جـاء طبيب السجن ٠٠ شاب حديث التخرج ٠٠ عرفنـاه من قبـل ٠ فقد وقف موقفـا مشرفـا خـلال اضرابنـا عن الطعام منذ مـدة ـ وقـد أشرت اليـه فى رسـالة سـابقة ٠ كان وجهـه يجسـد كل ما يعانيـه من آلام ٠ تبـا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكـون صادقـا فى مثل هذه الحـالة ؟ الواجب يحتم ذلك ٠ وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغهـا الطغـاة لارهـاب موظفيهم ٠ من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف ٠٠ الفصـل من الوظيفـة على أقـل تقدير ٠ ومن يطرح ضميره جانبـا فهذا هو الموظف الجيـد ، فهـو يقـوم بواجب الوظيفـة ! ما أفـدح الثمن الذى تدفعـه نظير صـدقك ! أن تكون صادقا مع نفسـك ومع الآخرين فانت بطـل اسـطورى ٠ الصدق فى العالم يا حبيبتى شىء نـادر ٠ وهو أكثر نـدرة فى عـالم الطغاة ٠

بـدأ الطبيب الكشـف على المسجون المحكوم عليـه بعقوبـة القرون الوسـطى خـلال النصف الثانـى من القرن العشرين ! وضـع الطبيب الشاب سماعته على صـدر المسـجون ٠٠ وبـدأ الارتيـاح على وجـه الطبيب ٠ واتسـعت معالـم الارتياح على وجهـه حين قاس ضغط المسـجون ٠ كتـب تقريره ، وهم بالانصراف صـاح المدير :

ـ يا للا يا سـجان نفذ الحـكم ٠

قال الطبيب :

ـ نفذه على مسـئوليتك ٠ ٠

ـ كيف ؟

ـ الضغط واطـى ٠٠ ونبضات القلب سريعة ٠

وأسـقط فى يـد المديـر ، انـه لـم يتعـود على مثل هذا الموقف ٠ ان كشـف الطبيب بالنسبة لـه اجـراء شـكلى ليس الا ، اجـراء لاسـتكمال الشكل القانونـى ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون ! ، صـاح المدير :

ـ يا دكتور قـم بواجبـك ٠٠

قال الطبيب بهـدوء :

ـ لقـد قمت بواجبـى على اكمل وجـه ٠

صـاح المديـر :

ـ سأستدعـى طبيبـا آخـر ٠

قال الطبيب وهو أكثر هـدوءا :

ـ أفعل ما شـئت ٠ ٠ ولكنـى لن اسـكت اذا نفذ الحكم بالجلد ٠

صـاح المديـر :

ـ سأجد طبيبـا آخـر يقـرر ما اريـده ٠

قال الطبيب فى تحـد ٠ ٠

ـ لن تجد ٠٠

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب · رفض زملائه الثلاثة اعادة الكشف على المسجون ·

عاد المدير مع مظاهرته العسكرية يحمل خفي حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمانوا الى انه حتى فى ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة · ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب · انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانسانى · المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التى لم تنفذ · يحتضنونه بحب · يقبلونه ويهنئونه ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم · كانوا يكتفون بنظراتهم العطوفة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير · كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب · أقوى من الارهاب والتعذيب والسلاسل التى تقيد أرجل المسجونين ·

ارتفع صوت البروجى يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين ·

ـ الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·

وفى سرعة لم يشهدها « الجبل » من قبل انتظم الجوعى وأشباه الموتى المنهكين فى مجموعاتهم ، ورنات مئات السلاسل فى أقدامهم تمتزج بنغمات البروجى وأصوات المساجين الهادرة ·

ـ الله أكبر على الظالم ·· الله أكبر على الظالم ·

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قروانانهم » بها وجبة الغذاء من العدس ليسلمونه الى ادارة السجن لعمل محضر اضراب عن الطعام · كانت الشمس تختفى وراء الأفق · يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تعلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتها وايمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس · شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياه ·

وعلى غير العادة كان مدير الليمان يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن · وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن أحدا لم يهرب · فى ذلك اليوم أمر المدير بان لا يتصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الغى كل الاجراءات التى اتخذها ، وان كل شىء سوف يعود الى حالته الطبيعية · وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام · وقف

الزملاء الأصدقــاء من هيئة تحرير « الطريق » واحــدا بعــد الآخــر وأعلنوا باسم المسجونين انهاء الاضراب عن الطعام • كانت هذه أول مــرة يتحــدث فيهــا مسجون باســم زملائه • فالمفروض أن يتكلم كل مســجون باســمه فقط وكانت هذه أول مــرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية •

لكن أمــرا كان مبيتا ضــد الزملاء الأربعــة الذين قادوا المعركــة وأمــرا آخــر كان مبيتا ضدنــا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجــع المديــر عــن كل الاجــــراءات التي اتخذهـــا •

وفي الرسالة المقبلة ، يا حبيبتــي : أحكي لك ذلك •

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتـــى

هكذا وبالاضراب العــام عن الطعام وبوحــدة كــل المسجونين الرائعـــة تحطمت كــل الاجراءات الشــاذة التي اتخذهـــا مدير ليمان طــرة ٠ وصدرت « الطريق » فى اليوم التالــى من **صفحة واحــدة** ، تحيــى وحــدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم ٠ وحذرت « الطريــق » من محاولات الادارة التى لن تتوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهى أى « **الادارة** » اذا كانت قــد تراجعت فانهـــا سوف تنتهز أول فرصــة مناسبة لهــا للانتقــام من هزيمتها التى لــم تحدث من قبل فى تاريخ الســجون فى مصر ٠ ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أى شىء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد فى الليمان جو ودى وأخوى بين المســجونين وضباط الادارة والســجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقـــة تتعارض مع طبيعــة تكوينه الانسانــى والنفســى ، فضـــلا عن أنــه هــزم فى معركة كانت موجهــة ضــده فى الأساس ٠ وبذل مأمور الســجن جهــدا كبيرا بين المسجونين كى يعود الى موقعــه القــديم قبــل أن يفضحوه ٠ حتـــى نحن ، خففت الادارة **قيــود الحراســة** المشــددة علينــا ، وعــاد المامـــور يتودد الينــا بشكل مبالغ فيه ٠ حتـــى المديــر لــم يكن يعترض على بعض مطالبنــا التى كان يرفضهـــا من قبل ٠ لــم نقابــل هذا الجــو العـــام بالارتيــاح ، فنحن مسجونون فى قبضتهم يســـتطيعون التنكيل بنــا فــى أى لحظــة وليس هناك أدنــى شــك عند الادارة فى أننا كنــا وراء هذه المعركــة التى هزمت فيهــا ٠ فضــلا عن أن المعركــة كان لهــا طابعهـــا السياســى رغم جوهرهــا الاقتصادى ، وبالتالى فان الدولة لن تقف مكتوفــة الأيــدى ، **وأن مؤامرة تدبــر ضدنــا** ٠ كان هذا ملخصــا للرأى الذى انتهينــا اليــه بعد مناقشــة فى مســـاء اليوم الثالث للاضراب العــام ٠

وتشــاء الصدفــة أن يصلنــا فى نفس الليلة ما يؤكــد تحليلنا للموقف ٠ كان هنــاك سجانان يتبادلان حراســتنا اثنــاء الليــل بصفة دائمــة ، وســجان ثالث يتولــى حراســـتنا خلال النهار ٠ وكان هؤلاء الثلاثـــة لا يتغيرون خلافــا لــا يتم بالنسبة لباقــى المسجونين ، وذلك كــــى تستطيع الادارة فرض الرقابــة على هؤلاء الســجانة وتفتيشــهم تفتيشـــا دقيقـــا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفــا من احتمال قيامهم بادخــال أو اخراج رسائل لنــا ٠ وكان من بين هـــؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراســـته

وصلته بالمباحث العامة • كان هذا الرجل بموم كالمعتاد فى تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التى تبدأ من غروب الشمس ـ موعد اغلاق الزنزانة ـ حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا أن زميله فى الحراسة لم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو فى الحراسة • فى الظروف العادية يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استفهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذى كان دائم الاستفزاز لنا أن نجرى معه حوارا نعرف منه سبب استمراره فى حراستنا وهل هو أمر عادى ؟ أو هو مرتبط بحملة تفتيش فى الصباح ؟ هذا الرجل يأتى باستمرار فى كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هى استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من ثقبها ليرى ما نفعل ، واذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانة فهو لا يستطيع أن يرى بعينيه معاً من هذا الثقب الصغير ـ يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون أن نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما الا أننا كنا نحتفظ بأحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذى بدأ حوارا معه ، تبينا منه أن المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجىء استفزازى ، وانما هو أمر أخطر من ذلك بكثير ، صاح وليم ينادى :

ـ يا شاويش (•••) « اسم الحارس الآخر الذى لم يحضر » •

ـ عاوز أيه يا مسجون ؟

ـ الله •• هو أنت • ؟

ـ لا •• خيالى •

ـ وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

ـ عايز أيه ؟

ـ خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاويش (•••) •

قال الرجل بضيق :

ـ لأ يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت !•

ـ ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب فى صوته •

ـ عيان ايه ده زى الطور •

قال وليم وهو يضحك •

ـ والله ما لهم حق • • بوظوا مشروعاتك •

ـ مشروعات أيه ؟

ـ يعنى •

ـ يعنى أيه يا مسجون •

ـ يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل فى الصميم • وقال بأسى وحزن :

ـ وأنا كنت جاهز على الآخر !

ـ ما هو أنت ممكن تستحمل ٠٠ لكن هى بقى ٠ ٠

قال الرجل بانزعاج ٠٠

ـ هى أيـه ؟ ٠٠ ما هى تستحمل برضـه ٠

ـ على العموم ما تفكرنيش ٠

ـ ما أفكركتنى بايـه ؟ ٠

ـ لا مالوش لزوم ٠٠ أضايقك ٠ ٠

ـ تضايقنى ؟ ٠ ازاى ؟ ٠

ـ أصل أنا حصلت لـى ظروف كده زيك ٠٠

ـ وبعديـن ؟

ـ فى يوم كده كنت جاهز زيـك ٠٠ ومراتى منتظرانى ٠٠ وما روحتش ٠٠

اشتد انزعاج الرجل وقـال :

ـ حصل أيـه بس ٠٠ قول ٠٠ ؟

ـ حصـل اللـى حصل بقـى ٠٠

ويكمل ولـم

ـ على العموم ما نشبلش هم ٠٠ مش كل الستات زى بعض

ـ أيه بس اللـى حصـل ٠ ٠ ؟

ـ رأسـها وألف سـيف لازم تتطـلق ٠ ٠

ـ يا ساتر للدرجة دى ٠ ٠

ـ أصـل ما عندكشى فكـرة ٠٠ الست مش زى الراجـل ٠٠ لـما تجهز ٠

لازم يحصـل ٠ ٠

ـ طب واذا ما حصـلش ٠

ـ والله بقى ٠٠ مش عارف أقول لك أيـه ٠

ـ يا نهار أسود ٠٠ طب دنـا مسافر بكـره ٠

ـ مسـافر ٠٠ فيـن ؟

ـ أنا عارف قالوا لـى أعمل حسـابك بكـره علشـان تسافر فى مهمـة من الصبـح ٠

ـ واسـمعنى انت يعنـى ؟

ـفيه سجانة تانيين وضباط ٠٠ راح يسـافروا ٠

ـ همه راح ينقلوا السجن والا أيـه ؟

ـ أيـه بتهزر ؟

ـ على العموم ما تاخذش فى بالك ٠٠ راح تتاخر كتير ٠٠ ؟

ـ أنا عارف راح اتهبب قـد أيـه ٠٠ الله يخرب بيت بتوع السياسة ٠٠

ـ وبتوع السياسة مالهم ٠٠ ؟

ادرك الرجل انـه قـد استدرج ، عرفنـا نحن أننا سـوف نرحل فـى الصباح **الى أين ؟ هذا ما لا نعرفـه** ٠ هـل يعرف الرجل ؟ واستمر وليـم فى حـواره الطريف معه ٠ وبـدأ **مجدى فهمى** يعاونـه الزملاء فى الاستعداد للرحـلة

الى **المجهول** صباح الغد . أخذوا فى تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتب لأخذها معنا . سلاحنا الدائم معنا هو الكتب . ونحن دائما جاهزون للرحيل نأخذها معنا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة .

ويستمر **وليم اسحق** فى حواره مع السجان :

ــ وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

ــ ما أعرفش . أنا قلت حاجة ؟

ــ ولا أنا سمعت حاجة .

ــ أمال بتسأل عن أيه . . ؟

ــ يا شاويش (. . .) احنا رجاله وانت عارف .

ــ وأنا مالى .. رجاله ولا مش رجاله ..

ــ يعنى رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة

ــ حاجة أيه ؟ وأنا قلت حاجة ؟

ــ يعنى .. احنا برضه بنفهم ..

ــ وفهمت أيه ؟

ــ فهمت اننا راح نترحل بكره .

ــ وفهمت من مين ؟

ــ يعنى .. الكلام أخذ وجاب معاك . .

ــ لكن أنا ما قلتش حاجة ..

ــ يا راجل واذا كنت قلت .. احنا رجالة .. رقبتنا يا شاويش (. . .) .

ويرد الرجل مستعطفا . .

ــ لكن أنا عملت فيكو كثير ..

ــ يا راجل ما تقولش الكلام ده .. احنا اخوات ..

ويستطرد الرجل بندم :

ــ صحيح يا أخى .. لسانك حصانك ان صنته صانك .

ــ يا راجل ولا كأنى سمعت حاجة .. لكن راح يرحلونا فين ؟

ــ لا ما أقدرش أقول بقى ؟

ــ على العموم .. يعنى راح نعمل أيه لو عرفنا راح نترحل فين ؟

ويرد الرجل بود لم نعهده من قبل ..

ــ ربنا معاكو ..

ــ أهو سجن زى كل السجون ؟

ــ مين عارف . .

ــ حيكون أيه يعنى .. أبو زعبل ؟ . كنا هناك ..

ــ يا ريت . .

ــ فيه أكتر من أبو زعبل ؟

ــ أيوه فيه . .

ــ فين ؟

ـ وراء الشمس ٠

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع وراء الشمس ٠ واخذنا نضرب أخماسا فى أسداس ٠ ربما سنرحل الى معتقل الطور ؟ لكن معتقل الطور يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين واصبح مثله مثل كل السجون ٠ ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى يقع وراء الشمس ٠ كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى الزنزانة المجاورة ٠

وصاح وليم باعلى صوته :

ـ دكتور شريف حتاته ٠

وصاح السجان :

ـ اسكت يا مسجون ٠

ـ يا شاويش عاوز أسال الدكتور شريف على اسم دوا ٠

ـ طيب قول وانا اساله ٠

ـ أصل اسمه بالانجليزى ٠٠

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة ٠

ـ فيه ايه يا وليم ٠٠ مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

ـ اسكت يا مسجون أنت وهو ٠٠

ويقول وليم :

ـ يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور شريف ٠

ويطير صواب السجان ويصيح باعلى صوته :

ـ يا نهار أسود ٠٠ ورقة وقلم أنت عاوز توديني فى داهية ٠

ويقول وليم :

ـ طيب تعالى اساله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه ٠ وأخيرا يقترح وليم ان يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «جردل البول » وسيقول له اسم الدواء أمامه ٠ يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسالة ترحيلنا ٠ وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاتة بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح باى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا ٠ كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد اعددنا انفسنا للرحلة الى المجهول ، الى وراء الشمس كما

وصـــفه الســجان • أخلينــا كــل المخابــىء من ثروتنــا الثمينة من الكتب ، وقمنــا بتخبئتها بوســائل خاصــة تتبع عند الرحيــل • وبـــدأ دور مجدى فهمى المعروف • أخذ يحدثنــا بطريقتــه العبقريــة فى رفــع معنوياتنــا وشحذ هممنــا ، وتأكيــد ايماننــا بالقضية العادلـــة التى وهبنــا حياتنــا مـــن أجلهــا ، قضية مصر الحبيبــة وشعبها العظيم وترابهـــا المقدس • ثـــم أخذنــا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنـــى أغانـــى سيد درويش • ومـع الأشعة الأولى لشمس اليــوم الذى سنرحل فيــه الى **المجهول** كنا نغنـــى : طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد الحيـــاة حين يعطـى اشـــارة العمل للكادحين • ما أحــلاه حتى لنــا نحن الذين لا نعرف حتى هذه اللحظـة ، أي مكــان هذا الذى سنرحل اليـــه ، هذا المكان المجهول الذى يقــع وراء الشمس • •

كيف رحلنــا ؟ والى أيــن ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتــــى

الايمــان ، الالتزام ، اليقين ، الانتمــاء ، كلمات تتداولهــا كثيرا أدبيات السياســة والفكر والأيديولوجيــة · والمناضلون هم أكثر الناس ادراكــا ووعيــا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحــن المختلفــة التــى يتعــرض لهــا المناضلون ، وبصــفة خاصــة فى السجن تجســد أمامهم كــل ما تعبر عنهــا من مسئولية · فان تكون مؤمنــا بفكرة ، ملتزما بالنضـــال من أجلهــا ، وعلى يقين من انتصارهـــا ، وتتحمل مســئولية الانتماء اليهــا وأنت خارج السجن أمــر مختلف تماما عنــه وأنت داخلــه · فى الســجن تجــد نفســك أمــام اختبــار حاسم أمــا الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيــار والاستســلام · والثورى انســان تمر بــه لحظــات **ضــعف** كما تمر بكــل انســان ، لكن ما يفــرق **الثورى** عن **الانسان العادى** ، هـــو قدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الـــذات وهذه هى **البطولــة** ·

ولحظــات **الضعف** التى مــرت بى وبزملائى خــلال الساعات القليلة التــى سبقت ترحيلنــا الى « **وراء الشمس** » كانت من أقسى اللحظات التى مــرت بنــا خــلال الســنوات الســابقة ، **فى ســجن مصر** ، **وليمــان ابو زعبل** ، **وليمــان طــره** ، كدنــا نصل الى يقين باننــا ذاهبون فى مكــان لاتمتـــد اليــه الا يــد البطش والارهاب والتعذيب **حتى الموت** · ولم يكن امامنــا كى نجتــاز تلك اللحظــات الرهيبــة من الضعف الانسانى الا أن نؤكــد مــن جديد المعانــى العظيمة التى تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء تــارة بمخاطبة عقولنــا ، وقــد توليت أنا هذه المهمــة ، وتـــارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها **مجدى فهمى** بأسلوبه الساحر وتارة باستثارة كل مكنونات الانسان الخيرة وقــام بهــا **وليم اسحق** ، ثــم بحماس الشبــاب واندفاعه وكان **محمــد خليفــه** ــ عمره يومذاك ١٩ ســنة ــ ونحن نـــردد وراءه الاناشيد الثورية والوطنية ، ثــم وحتى الدقائــق الأخيرة لمعرفة المكــان الذى سنذهب اليــه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الــذين عــرفتهم البشرية فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينيــة · هكذا قضينــا **الساعات الأولى** من صباح يــوم ترحيلنا بعــد فتح بــاب الزنزانة ، كــان **المامور على رأس الحملة التى قامت بالتفتيش بطــريقة عــادية تمامــا** ·

لاحظ المأمور وجود رماد ورق محروق فى « جردل البول » هز رأسه وابتسم ابتسامة خبيثة وقال :
— أيه الورق المحروق ده ؟
— كنا بنعمل شاى ·
— شاى ولا شيوعية ؟
— ظريفة ·
— عجبتك ·· ؟
— تعجب الباشا ··
— ما خلاص مفيش باشوات
— كل سنة وأنت طيب
— قصدك أيه ؟
— قصدى اللى قلته
— والمعنى فى بطن الشاعر طبعا ·
— فى اى بطن تعجبك
— كلام يحاسب عليه القانون ·
— قم بواجبك
— غلبت وغلب غلبى معاكو
— ولسه
وابتسم الرجل ابتسامة ماكرة حاقدة ، وقال بصوت كريه :
— كل واحد يلم هدومه راح نرحلكو من هنا
— فين ؟ ·
— راح تعرف لما توصل
وتحرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :
— سيبوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينه ·· هو مين هناك راح يقرا مجلات !؟
وسأل سجان :
— والكتب يابيه ؟
— ياخدوها معاهم ·· مفيش اى خطر منها هناك ··
ويستطرد :
— وكمان اذا لقيتوا منشورات سيبوها لهم ·· لاضرر منها هناك ·· الشطارة بقى تجيبوا غيرها ·
ويرد عليه مجدى فهمى بتحدى ··
— طول مافينا نفس ·· لن يتوقف نشاطنا ·
وينصرف الرجل مسرعا ·· بينما يقوم السجانة بتفتيش شكلى ··
ويهمس ضابط صديق :

ـ **الواحات الخارجة ٠٠**

ويهمس آخـــر :

ـ شدوا حيلكو ٠٠ ربنــا معاكو ٠٠

الواحات الخارجــه ! من هو هذا الفاشى الذى تفتق ذهنــه الشرير عـن فكـرة **نفينــا فى قلب الصحراء** ٠ كـــان الفاشست يلقــون بالمنـــاضلين الوطنيين الى **أفــران الموت** ٠ وهؤلاء الفاشست ، هل بسوقونا الى المـوت جوعــا وعطشــا هـل دبروا لنــا الموت **بسم الثعابين فى الصحراء** ٠ وانتبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقــول :

ـ لدغــة « **الطريشة** » هناك هــى والقبر على طول ٠ ٠

وترتسم ابتسامة هادئة على وجــه **وليــم اسحق** ويقــول :

ـ مين عارف ٠٠ ممكن أول لدغــة « **طريشة** » تكون من نصيبيك ٠

وتظهر ملامح خــوف على وجه هذا السجان الجبــان ٠ لحظــــة صمت رهيب ٠٠ يقطعهــا صوت **الضابط الصديق :**

ـ يا جماعة ما تسمعوش كلام السجان ده ٠٠ مش للدرجة دى ٠

ويصيح فى الســـجانة :

ـ ياالله بقى ٠٠ مش خلاص ؟

ويلتفت الينــا ويقول بصوت ودود :

ـ شــوية كده ٠٠ ارتاحوا ٠٠ لغاية ما ننادى عليكو ٠٠

وتمضى أكثــر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعــد أن اغلقت علينــا الزنزانة من جديد ٠ **مجدى فهمى** باسلوبه البسيط المقنع يؤكــد لنــا أن النظــام أضعف من أن يقــوم بعمليــة ابادة جماعية لنــا ، فمثل هـــذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمــر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانمــــا ايضــا فى العـــالم التقدمى ٠ ويذكرنا بموقف القــوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بهــا **ووليم اسحق** بصوته الانسانى العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل **أفكارهم وآرائهم ٠ ومحمد خليفه** بصوته الجهورى الذى يفيض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقــول بكل التحـــدى ٠٠

ـ ستتونا فى المنافـــى ٠٠ واملأوا منــا السجون ٠

سوف تأتيكم ليـــالى ٠٠ برقها عصف المنون

ثـم تنضم أصواتنا الى أصوات زملائنا فى الزنزانة المجاورة ٠٠

بلادى بلادى ٠٠ لك حبى وفؤادى ٠

وتتفتح الزنازين ٠٠ وتستمر اصواتنا جميعــا تردد من الأعماق مصر انت اليوم حـــرة ٠٠ فوق جبين الدهــر درة ٠

يا بلادى عيشى حــرة ٠٠ واسلمى رغم الاعــادى ٠

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنــادق والرشاشات** ، تعـــلو **هتافاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية** ، والحريات السياسية ،

انتظار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التى تردد ·· **الله أكبر ولله الحمد** ··
وتصل أصواتنا الى أسماع عدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا فى وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة المشجعة (كنا قد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنها فى رسائل مقبلة) ··

وكان **مدير الليمان** يقف منفوشا كالديك الرومى ، يحيط به عدد من السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعدد آخر يحمل **مطارق وسنادين** ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

– أى نوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فورا** ·

وترتفع أصواتنا :

– دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المدير **يردد** :

– أى خروج على النظام ·· معناه عصيان ، والعصيان فى السجن يقابل **بضرب الرصاص فورا** ·

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا باطلاق **بعض الرصاصات الميته** لبعضنا لارهاب من يبقى حيا · ترديد هذه الكلمات اذن هى محاولة لاستمزازنا وجرنا جرا الى **المؤامرة** · وبسرعة اتخذنا قرارا بالتوقف تماما عن الهتافات وترديد الاناشيد · ومضت دقائق فى صمت رهيب ساد الجميع ، المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ، والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجرى وما سوف يجرى لنا · حتى المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد · صوت قطار يأتى من بعيد ببدد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخان أسود كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطى سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة فى أشعة الشمس القوية حين يتوقف نعيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت الضابط الصديق ··

– ارجوكم ·· نفذوا الأوامر ·· وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد·

لقد صح ما توقعناه اذن · هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه · حياتنا ثمينة ويجب أن نحافظ عليها · كانت هتافاتنا وأناشيدنا من أجل رفع روحنا المعنوية ولقد أدت دورها · حقا ، ان الانسان موقف · لقد اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن ·· النضال من أجل حرية مصر وحق شعبها فى أن يحيا حياة كريمة · · وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال للسجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيد عنه حتى آخر لحظة من حياتنا ، وفى هذه اللحظة الحرجة التى تتعرض فيها حياتنا للخطر لن يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » · نعم لن نساوم على افكارنا ، ولن نستسلم

للارهاب . ولكن يجب أن ندرك أن شعرة واحدة تفصل بين الموقف النورى وبين الموقف المغامر . وقررنا أن ننفـذ نصيحة **الضابط الصديق** .

وارتفع صوت المديـر فى محاولة أخـرى لاستفزازنا وجرنا الى **معـركة المـوت** :

ـ أكـرر مـرة ثانيـة .. أى حركة من أى مسـجون ستقابل **بضرب الرصـاص** .

ويلتفت الـى حاملـى **البنادق والمدافـع الرشاشة** :

ـ الجنود .. **فى وضع الاستعداد ..**

وفى لحظـة رأينـا أفواه البنـادق والرشاشات مصوبة الى **صدورنا ..**

ويسود الصمت الجميع .. لاكلمة واحدة من أحـد .. بل ولا حـركة . **نحن والاخوان المسلمون** نجلس القرفصاء على الأرض . أفـواه البنـادق مصوبة **نحونا** . والجنود يحيطون بنـا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيدا عنـا ، وفجأة يبـدد هذا الصمت الرهيب صوت « **البروجى** » يعلن قـدوم « **اللـواء** » مديـر مصلحة السجون وبرفقته عدد من **ضباط الجيش** والسجون وعدد من **الأفنـدية ضباط المباحث العامة والمخابرات** . يتقـدم اليهم مديـر الليمـان والمأمور .. يلقون اليهم التحية .. ويتقدمون جميعـا نحـونا . ويرتفع صوت غليظ ..

ـ انتبـاه ..

ونقف جميعـا صفوفا منتظمـة ..

ويرتفع الصوت الغليظ مـرة أخـرى :

ـ أقعـد ..

ونعـود الى جلسـة القرفصاء « الديـز »

ويعود الصمت مـرة أخـرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « **الكابـات** » الحمراء **والنياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الأفنديـة** » **الذين** تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هـم أصحاب الأمـر والنهى . ويستمر الهمس دقائق تمـر كالدهـر ، نشـعر خلالهـا بأن آخـر أنفاسنا معلقـة بمـا يدور بينهم من همس . ربمـا يعنفون مديـر الليمان الذى لـم ينجح فى تدبيـر **مجـزرة** يروح ضحيتها عدد منـا ؟ ربما يدبرون **مؤامـرة بديلة** ؟ ويناقشون « أفضـل » طـريقة لاستفزازنا ؟ .. على أى حال لن نستجيب لأى نـوع من أنواع الاستفزاز ، دون أى تفـريط فى كرامتنـا ، كمـا لن نقبل أى اهانة لافكارنـا .

ورأينـا على البعـد .. واحدا من « **الأفنـدية** » يقبل نحونا ، الابتسـامة الصفراء تكسو وجهـه . يبدو أنه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

ـ انتبـاه ..

ونقف صفوفا فى انتظـار القادم . ويهمس الضابط الصديق :

ـ لا تستجيبوا لأى استفزاز ..

ويذهب سريعـا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الأفندى » يسير بين صفوفنـا فى خيلاء وغطرسة الجبنـاء ، ينظر لينا ، ويقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن ينطق بحرف واحـد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخـالى ن أى تعبير ثـم عـاد الى « **هيئة أركان حرب** » وراح يتحدث معهم ، وساد لصمت مـرة أخـرى . التفت الينـا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات دودة ، ثـم تركنـا واتجه الى حيث يقف **الضباط الكبار والأفنديات** بعـد ن همس لنـــا :

ـ اروح أشـوف الاخبار .

ما الذى كان يريده ، هذا « الأفنـدى » ؟ وما معنى صمته التـام ؟ أنـه ـم يوجـه الى أحـد منـا كلمة واحـدة لاستفزازه ، فقط كـان ينظر الـى يوننا ، ما الـذى كـان يريـد أن يراه فيها ؟ أنـه بالتأكيد لـم يـر فى يونـا شيئا مما كان يريـد ان يـراه . لـم ير فيها غير بريـق التحـدى الاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتى جبنـاء .. أنهم بكل ما يملكون من دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمـام نظـرة تحدى واحـدة . لقـد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، فهل عـدل عن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفظت فجـأة نبضـة ن ضميره الميت فاستجاب لهـا انسانيا ، وربمـا جبن أمـام نظـرات لتحدى التى وجدها فى عيوننـا . ونرى من بعيـد الاجابة على وجه الضابط لصديق القـادم الينـا من جديد بعـد أن أصدروا اليـه الأوامـر التى لـم سمعهـا . كنـا نعـرف ما يريـد أن يقوله لنـا من خـلال تعبيرات وجهه، كنـا قـد امتلكنـا القـدرة على أن نعـرف ماذا تحمل لنـا ابتسامته حين تكون انسانية ودودة . وحين تكون حزينـة ، وعرفنـا من ابتسامته كـل شيء قبل أن يقـول لنـا :

ـ اطمئنوا أنا مسافر معاكم ..

مهمـا يكن الأمـر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنـا سوف يخفف كثيـرا من آلام رحلة العذاب الى « **وراء الشمس** » .

قـال [illegible] :

ـ أريد ان تنفذوا كل الأوامر حتى [illegible] . اتفقنا؟

ـ اتفقنـــا ..

وبـدات عمليـة اعدادنا للسفـر الى **الواحات** ، عمليـة تستحق رسـالة بكاملها . فالى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٢ يونيـو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتـــى

في حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فى أقفاص من الحديد كي لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليهـا • وفى السجون يضعون **المحكوم عليهم بالأعـدام** فى زنازين تشبه هذه الأقفاص ، ليس خـوفا منهم علـى الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمـة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكـوم عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصـة **الانتحـار ! فهل كانوا يخافون علـى** الناس منـا ، أم يخافون علينـا حين كدسونا مقيدين **بالسلاسل الحـديدية الغليظـة** فى أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقـة بالقاطـرة التى جرتهـا الى **الواحـات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانمـا **كـانوا يخافون أن** نهـرب ! **الشيطان** نفســه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كمـا قيدونا ، ووضعوه فى زنزانة جدرانها من اسياخ **الحـديد الصلب ، وعلى** كل باب من أبوابها يجلس **حارسان** يمسكان **بالمدافع الرشاشـة** وكل خمسـة أشخاص **مقيدون بسلسلة واحدة غليظة** ، اذا تحـرك شخص واحـد فلابـد أن يتحـرك الأربعـة الآخـرون معه ، وفوق هذا كله فالقطـار يجرى **بسرعة لا تقل عن** ٦٠ كيلو متـرا فى الساعة !

مازلت أذكـر بكل التفاصيل الصغيرة عمليـة اعـدادنا للترحيـل الـى **الواحـات** • قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زمـلاء ينـادون عليهم بالأسم من كشف كان فى يـد المديـر • بعـد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فى الليمـان حيث يجرى **دق السلاسل فى اقدامهم** ، فى سلسلة طويلة ، ثـم يذهبون الى « الزنزانة » فى القطار وفى كل « زنزانة » تكدست خمسة مجموعات • أى ٢٥ زميـلا فى زنزانة لا تزيـد مساحتها عن ٢ × ١٫٥ متر • جدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات • وبعـد أن انتهوا من عمليـة تكبيل كل **الزملاء والاخوان** المسلمين وتكديسهم فى « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحـــو رحلة « المجهول » شهدنا من خـلال القضبان مشهدا بشعا تـرك فى أعمـاقى جرحـا لن يندمل أبـدا •

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور • ومعهم « **الأفنديات** » ومدير السجن يقفون بعيـدا فى ركن من أركان حـوش

الليمــان ، وكان عــدد من السجانة يحمل « **العروسة** » ـ التى تستخدم لجلد المسجونين ـ وينصبونها فى وسط حوش الليمــان ٠ وبعــد قليل شــــهدنا اثنين من زملاءنا المسجونين من هيئة تحرير « **الطريق** » ـ وقــد كبلت أقدامهم وأيديهم **بالسلاسل** ، يجرهم السجانة وعلى راسهم المأمور ٠ وعند العروسة يصدر المأمور أمـرا بفك سلاسل أحــد الزميلين واعــادة تقييده « **بالعروسة** » ثــم يصدر أمــرا بالجلد ٠ أكثــر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العــارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آهه واحدة أو صرخه ٠ ثــم اعادوا تكبيله من رجليه ويديــه بالقيود الحديدية ٠ وتكــرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر ٠ لو أن هــذه السياط نزلت على ظهــرى مــا تألمت مثلمــا تألمت فى تلك الدقائق ٠ كنت أرى الألم يعتصر زملائى الذيــن يشاركونى **القيــد الحديدى** ٠ كنــا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شىء حتى مجــرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بتشجاعة نــادرة وتحد كبير ٠ كنــا نعلم أنهمــا ينــالا جزاء صداقتهم لنــا وصلتهم بنــا ٠ وتبادلت مع **مجدى فهمى** الذى كــان يشاركنى **القيــد الحديدى** حوارا بالــغ الأهميــة فى دلالتــه ٠٠

ـ انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنــا ٠

ـ بالتأكيــد بعــد أن فشــلوا فى الحصول على اعتراف منهما ٠٠

ـ من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟

ـ انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟

ـ وهما يتعاطفان معنــا انسانيا فقط ؟

ويتدخل **وليم اسحق** ـ وكــان فى سلسلة أخــرى ـ :

ـ وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس ٠

ـ وهل نقف هكذا مكتوفى الأيــدى ؟ ٠

ويضحك وليم ، ويقــول :

ـ ألسنا مكتوفى الأيــدى والأرجل كمــان ؟

وأبادله ابتســامة من بعيــد :

ـ ألسنتنا لــم تصل اليهــا القيود الحديدية بعــد

ويتدخل **مجدى فهمى** :

ـ يمكن ان يسكتوها الآن ، والى الأبــد ٠٠

ـ كلمة احتجاج على الأقــل ٠٠

ـ ربمــا تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصــول عليــه منهمــا ٠٠ ويستطرد ٠٠

ـ وربما تكون كلمــة السر ٠٠ بعدها تنطلق مؤامــرة لذبحنــا كلنــا او بعضنــا

ـ معك حق ٠٠ ليس أمامنا الا أن نعتصر الألــم ٠٠

ـ ما يخفف آلام اللحظــة ٠٠ أن تعايش المستقبل فــى الوقت ذاتــه ٠

ويأتى صوت وليم اسحق الســاخر :

ـ لحظــة وتفوت ولا حد يموت ٠٠ ياعم درش ٠

وتهدأ نفسى الثائرة قليــلا ٠٠ لقــد كدت أن ارتكب « حماقة » كنت علــى وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشى لمجــرد انهما صديقان لنــا ٠ ولو اننى فعلت ذلك فقــد كــان من المؤكــد أن جميع الزملاء كانوا سيحتجون بمختلف الطــرق ، الأمــر الــذى كــان ســيعطيهم مبــررا لاطلاق الرصاص علينــا ٠ مجدى فهمى بهدوئه وسلوكــه الموضــوعى هو الذى منعنى من ارتكاب هذه الحماقة التى كانت ستكون بالتأكيــد اشارة البــدء للمؤامــره التى كانوا يدبرونهــا وفشلوا حين لم يجدوا مبــررا لها ٠

وتنتهى عمليــة جلــد الزميلين ٠٠ ونشهدهما يساقان مــرة أخرى الــى زنازين « التأديب » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومــن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبــار والأفندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة القاطرة بصوت مزعج بينمــا تنفث مدخنتهــا دخانا أســود كثيفــا ، يكــاد يخفى أشعة الشمس الساطعه ، ايذانا ببــدء الرحلــة الــى مــا « وراء الشمس » ٠

الناس حين يسافرون الى بــلاد أخــرى يذهبون الى محطــات السكك الحديدية أو المطــارات ٠٠ لكن أمثالنــا من البشر تأتى اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس ياحبيبتى مقامات ! لم يكن منظــر القطار غريبا علينــا ، فقــد كنــا نــراه يوميــا فى الجبل يملأ المساجين عرباته بالاحجار البيضــاء التى يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننــا لــم نر أبدا قطارا داخــل حوش الليمان ، لكننــا كنــا نرى قضبانا ، وأذكــر اننا كنــا نسأل عــن سر وجود هذه القضبان التى لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتــلال البريطانى الذى قام « جنوده » بتشييد هذا الليمــان الضخم كان يستخدم القطار فى نقــل الاحجار مــن الجبل الى موقــع البنــاء ، اختصارا للوقت والتكلفــة حتى تــم تشييــد الليمان الذى لم يدخله القطار بعــد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى الواحات ! وكانت هذهأول مــرة يخرج فيهــا القطــار من الليمــان محمــلا « ببشر » ٠ وكانت هذه أيضــا أول مــرة يسير فيهــا قطــار خــاص فى بطن الجبل عرباته من زنازين ، وليست عــربات بضــائع فكل القطارات التى اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! هكــذا كان الحــال منــذ الاحتلال البريطانى ، وكــان هذا هو الجديد ! ومتى ؟ بعــد الاستقلال وتوقيع اتفاقيــة الجــلاء !

كانت الساعة قــد بلغت الثانيــة عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابــة السجن ٠ كان من المألوف عنــد خروجنا فى موكب العبيــد اليومى الى الجبل او العودة منــه أن نــرى أمام بــوابة السجن عددا كبيرا من اهــالى المسجونين يلوحون على البعــد لذويهم الــذين يلمحونهم خــلال ذهابهم أو عــودتهم فيطمئنوا الى انهم ما زالوا على قيــد الحياة ٠ وكنــا نرى ايضا الاهالى الذين

يأتون للزيارة ، ونـرى باعـة الفاكهة والمرطبـات منتشرين فى المنطقـة يقدمون للأهالى بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيـد ينتظـر مـرور القطار المتجه الى حلوان أو القـادم منهـا • فمن المعتاد أن يتخطى الطـابور قضبان مترو حلوان ، وكنـا نأنس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيوننـا أن تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتـاة • كنـا نـرى كل يوم خـلال ذهابنـا الى الجبل أو عودتنـا منـه صورا مـن صور الحياة التى لاتتوقف ، فيزداد حبنـا للحياة ويزداد تعلقنـا بهـا ، ويتضاعف أملنـا فى أن نعـود اليهـا يومـا •

لكنهم فى ذلك اليـوم **حرمونا** حتى من هذه **الصورة الانسانية** ، المنطقة خالية تماما من أى انسان سوى **طابور طويل** من الجنود يقف على الجانبين يبـدأ من بوابة الليمـان وينتهـى عند بطن الجبل ، يحملون **المدافع الرشاشة** الموجهة الينـا نحن الذين نقبع فـى **الأقفاص الحديدية** وأقدامنـا مكبلـة **بالقيود الحديدية** ! وعلى بابى كل « **زنزانة** » يقف حارسـان فى ايديهمـا **المدافع الرشاشة** ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عـدد من الخيـول التـى يمتطيهـا ضبـاط السـجن ، تبطـىء أحيـانا وتسرع أحيانا أخـرى • وعلى البعـد يقف مديـر الليمـان ومأموره مـع **أصحاب الكابات الحمراء والأفندية** ، ويسير قطارنـا نحو **المجهول** بين قطارين أحدهما قـادم من حلوان والآخـر متجه اليهـا وقـد أخليـا تمامـا مـن النـاس • تـرى كم ساعة تعطلت خلالها أعمـال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليهـا ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الـذى يحملونـه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطـارات الاحجار قطـار **زنازيننـا** الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة **وليس** من داخلها • وهكذا سـار القطار من **ليمـان طـره** حتى محطة مصر بين رمال كلهـا صفـراء • ونباتات كلهـا شيطانية على سفوح الجبال ، والتـلال • محطـة مصر التى لا تتوقف فيهـا حركة ركاب الوجهين البحـرى والقبلى كانت خاليـة تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون **بمدافعهم الرشاشة** ومعهم عدد من **ضباط البوليس** وعدد من « **الأفنـدية** » يروح ويجىء على طول الرصيف ، وينتشر هنا **وهناك** عـدد من لابسى الجلاليب واللبـد الذين يعرف هويتهم كل النـاس ، **جميعهم** ينتظرون مقـدم قطارنا ! على البعـد كنـا نـرى مجموعات مكدسة مـن البشر ،، فى انتظار الانتهاء من هـذه الحـالة الشـاذة ليركبـوا قطاراتهم • **وما أن يقف** « **قطارنا** » على رصيف الصعيد حتى نسمع **صيحة مدوية لامرأة** تبـدد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكـان فى عز الظهيره •

ــ **الدسـتور •• الدستور** •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين فى انحاء المحطة **بمس كهربائى** ،

وإذا بأصوات عديدة تعلو فى قـوة ، أصـوات اهتزت لهـا مبـان محطــة مصر .

ــ الدستور .. الدستور ..

وترتفع أصواتنا من كل « **الزنازين** » ــ **نحن والاخوان المسلمين** فى صوت واحـد :

ــ **الحريـة .. الدستور .. الاحزاب**

وفى لحظـة واحـدة تختل كل اجراءات الأمن المشـددة .. ولايستطيع البوليس المدجج **بالسـلاح** ولاصيحـات « **الأفنـدية** » مـن أن توقف زحف أهالينـا والجماهير التى تعاطفت معهـا نحونا ونحن قابعين فى « الزنازين » تنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للشعب .. وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالى والجماهير وهى تردد نشيدنا الخالد .. بلادى .. بلادى لك حبى وفؤادى .

امتـلأت محطة مصر بالجماهير تـردد معنـا فى حماس وقـوة نشيـد بلادى . بلادى . وقـد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عـدد كبيـر مـن الأهالى أمـام القطار كى لا يتحرك الا على **جثتهم** . وبـدأت أغـرب مفاوضة فى التاريخ بين أهالينـا وبين رجال المباحث العامة . تقدمت زميله يحيط بهـا عـدد **مـن الأمهـات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة** ، قـالت :

ــ نريـد فرصة لمقابلة أولادنا ..

ويقـول رجل المباحث :

ــ ولكننى لا أملك ذلك

ــ اتصل برؤسائك

ــ عندى أوامـر بعـدم الاتصال

ــ الأوامـر يمكن أن تتغيـر .

ــ وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

ــ لن يتحرك القطـار الا على **جثثنـا** ..

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومـن يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبـان ، وتقـول الزميلة :

ــ **فلتكن مجزرة أخـرى من مجازركم العـديدة** ..

وتذهب زميله أخـرى الى سائق القطار وتقول لـه ..

ــ انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحـدا .

ويـرد السـائق :

ــ يا ستى ما تخافيش .. أروح فين من ربنـا !

وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بـلادى .. بـلادى . وتردد الجماهير والاهالى الهتافات والنشيد ، والحـوار مـا زال

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فتـرة قصيرة ويعود اليهـا مـرة أخـرى ويسأل :

ـ انتو عاوزين أيـه علشان القطار بتحرك ؟

ـ أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ٠٠

ـ ماشى ٠٠ نصف ساعة تكفى ٠

ـ وان يسمح لهم بأخذ ما أتينـا به من اكل وملابس ٠

ـ موافق ٠٠

ـ وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ٠٠

ـ الى **الواحات الخارجة** ٠٠ وسوف يعيشون فى خيـام ٠٠

ـ وكيف سيعاملون ؟ ٠

ـ ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمـان** ٠٠

ـ ومن يضمن هذا ؟ ٠

ـ هذا مالا أعرفه ٠٠ ربمـا زيارتكم لهم ٠٠

ـ نريـد تصريحا بالزيارة ٠٠ غـدا ٠٠ أو بعـد غـد ٠

ـ هذا مالا أملكـه ٠٠

ـ من الذى يملك ؟

ـ ادارة السجن ٠٠

ـ مدير الليمـان موجود ٠٠

ويهمس **رجـل المباحث** فى اذن مدير الليمـان الذى يقول :

ـ الزيارة حسب اللائحـة ٠٠ من يستحق سـوف يسمح لـة بالزيارة

ـ نريـد استثناء من القاعدة ٠٠

ـ ساكتب لك تصريحـا ٠٠

ـ ليس لى ٠٠

ـ لمن اذن ؟

وتتقـدم احدى الامهات تحمل على كل يـد من يديهـا **طفـلا** ٠٠ تقول :

ـ **الطفلين دول لازم يشوفوا أبوهم** ٠

ويطلب المديـر ورقة ليكتب عليهـا اذنا بالزيارة بعـد أن يسجل اسم الأم واسـم زوجها وهو أحـد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » ٠ كان قد قبض عليه فى نفس اليوم الذى قبض على فيـه ولم يكن قـد مضى على زواجه أكثـر من **عـامين** ٠ شهد مولـد احداهما ولم يشهد مولد الآخر ٠

ومضت نصف ساعة أمضيناها مع أهالينا فى أحاديث مختلفة ، ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظـر الينـا بحب وعطف ٠ ربمـا لأول مـرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون **نحو المجهول** ، وربمـا كـان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحـد شعاراتنا الدستور ، الحريـة ، الديمقراطيـة ٠ ومن المؤكـد

أنـه خلق تقاربا بيننـا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية ـ كمـا سأتناوله فى رسائلى المقبلة ·

كان منظرنا غـريبا ـ كقـرود أو أسود أو نمور فـى أقفاص حديدية ـ نتناول الأكل والفاكهة من بين **القضبان** · المحظوظ منا هو من كانت والدته أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقـد استطاع أن يأكـل كميـات أكبـر من « طبيخ » البيت الذى كدنا ننساه وقبل أن يصادر لصالح الجميـع · ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قـد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميـات من الأكل الجاهز ، « كبـاب » مثـلا ، حيث كـان ما زال أعزبـا ، فقـد استطاع أن يحصل لى من الأهالى على كميـات من « المحشى » الذى لـم أكن قـد ذقتـه منـذ سنوات ! ودار بيننـا حوار سريع لم يتسع سـوى لكلمات معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قـال :

ـ ميمى لـم تستطع الحضور ·.·

ـ مش مهم ·· لكن لـماذا ؟

ـ لم التق بهـا منـذ مـدة ·

ـ والأخوة ··

ـ كويسين ·· كل واحـد فى حاله ·

ـ المهم أنت عامل أيـه ؟

ـ كلفت بالاتصـال بكم ··

ـ عندك آخـر الأخبار ؟

ناولنى علبـة سجاير هوليود « لارج » وقال :

ـ فيهـا كل ما تريدونه ·

ـ ثـروة عظيمـة ؟

ـ أعظم مـا تتصور ··

ومن بين قضبان « **الزنزانة** » كنت اعانقه ·· بينمـا كانت صفارة القطار تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهبب » بظلالـه السوداء أروع صورة انسانية شهدتها محطة باب الحديد · وتحرك القطار وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالى بحياة الدسـتور ، والوحـدة الوطنية ، وما كـاد يغـادر محطـة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا الحبيب الى قلوبنـا : بلادى ·· بلادى ··

وحين مـرق القطار بمزلقان « السبتية » تبادلت مع مجـدى فهمى نظـرات خاصة · هنـا فى حى بولاق عاش مجدى فهمى وناضل مع رفـاق أعـزاء من عمـال السكة الحديد وشبرا الخيمة ، وهنـا ولد وعاش مع أمـه وأخوته ، ومع أهالى الحى البسطاء لـه ذكريات انسانية · وشارع ابن الرشيد حيث نعبـر مزلقـان السبتية ، فى حـارة حبيبة الحكيمة عشت أجمل سـنوات حياتى بعـد أن أتيت مع أبى وأمى وأخوتى من بور سعيد عـام ١٩٣٩ ·

كنت ما زلت طالبـا فى مدرسة تقع فى نفس شارع السبتية • فى هـــذا البيت ماتت أمى مبكـرا بعـد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قـد انتظمت فى صفوف المناضلين من أجل مصر وشعبها • يالها من أيام •• وجدت دموعـا تجرى من عينى ، وأخرى من عينا مجدى •• قلت له فى محاولة لتخفيف آلاما أعانيهـا ويعانيها هو أيضـا :

ـ فاكـر يا مجدى البنت الطالبة فى مدرسة الأميرة فوزية ؟

ابتسـم بهـدوء وقـال :

ـ وهو حد ينسى احسـان •• كانت آية •• !

كانت « احسان » طالبة فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التـى تقـع أمـام الورش الأميرية بحى بولاق • وكانت تسكن مـع أهلهـا فى شـارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيمة » • لم أكن وحـدى الذى انتظـر نزولها من بيتهـا صباح كل يوم وهى ذاهبـة الى مدرستها سيرا على الاقدام • كان كثيرون غيـرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقـان السبتية ، ثـم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع فيـه المدرسة أمـام الورش الأميرية كانت فتـاة بارعة الجمال ، خدودها كحمرة الخوخ ، وقوامها فارع ، وتقاطيع وجهها •• سبحان الخلاق • لم أشعر يومـا بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمـة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحتـرام كبير ، وتـرد عليهم التحيـة وابتسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

ـ ياترى اين هى الآن يا مجدى ؟ •

ـ نسيت أسأل أمـى

ـ وأنا نسيت أسأل مسعد ••

ـ آخـر مـرة شفتها امتى ؟

ـ يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) •

ـ أنا أسعد حظـا منك •• شفتها قبل القبض على بأيام •

ـ اتجـوزت ؟

ـ وخلفت •

ـ ولسـه حلوه ؟

ـ وأحلى من الأول ••

ـ لازم تجربة حب عظيمة ؟

ـ الحب الحقيقى يضفى على الانسـان جمـالا •

ـ معنويا •• نعـم •• لكن بيولوجيا ؟ •

ويبتسـم مجدى ابتسامته الودودة :

ـ طبعـا •• الحب يعيـد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حـد كبيـر •

وتمضى الدقائق .. أصوات الزملاء لا تتوقف ، تــردد نشيد بــلادى . بلادى . واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار . ونجد أنفسنا فى محطــة الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين يحملون مدافعهم الرشاشة امتلأت بهم ساحه المحطـة . وترتفـع ايــدى الزملاء من بين قضبان أقفاصهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا .

دقائق معدودة ويغــادر القطار محطة الجيزة . وما أن يدخل محطة الفيوم، ثــم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات والأناشيد . كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق على الاكثــر . وعلى كل محطة كنــا نجــد جنود البوليس والمخبرين الــذين انتشروا فى انحائها . والجماهير الواقفــة لتــرى « ما الحكاية » ربما كان قطــار « تشريفــة » ! .. لكن « انفــار » التشريفــة غيــر موجودين تبقى الحكايــة مس تشريفــة بعضهــم دفعــة الفضــول ليــرى بنفســه لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كــان يعــرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى والنجوع ، بدليل أننــا كنــا نجــد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافــات معينــة عندما يدخل القطار محطاتها . يعلق مجدى فهمى :

ــ يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ..

ــ ولكن ليس فى نفس المستوى ..

ــ نرسل اليهم ملاحظاتنا ..

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس، وكانت حناجرنا قــد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجــزة عــن تأديــة وظيفتها تماما . لقــد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حتى أسيوط. حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة .. فشكرا لهــا ولندعها لتستريح بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة . فالطريق من أسيوط حتى محطــة المواصلة ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات الشيطانية المنتشرة على سفوح الجبــال والتــلال .

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة . لتبــدأ رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلــة تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتي

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القطار الى محطة « **المواصلة** » وهي المحطة الوحيدة التي لم نر فيها جنود « التشريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التي مر بها القطار من القاهرة حتي هذه المحطه التي تقبع في **قلب الصحراء** · كان في انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللورى بها عدد من السجانة وضباط السجون على رأسهم الضابط (···) وهو من الضباط الكبار في مصلحة السجون، استرعى انتباهنا « **السوط** » الذى يحمله وتوجسنا شرا عاجلا · وحين قال لنا :

ـ آهلا وسهلا ·· « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » ·

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح · بعد فترة أمضيناها في « **الزنازين** » جاءوا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع أن نتبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسه أشخاص مكبلين **بالسلاسل الحديدية** ، وكنت من بينهم · سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالى **متر على الأقل** ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن **ثلاثة أمتار** ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن **نصف متر** ، معنى هذا أن مجرد نزول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجر وراءه الزملاء الأربعة ، الأمر الذى يعرض الجميع ـ على الأقل ـ لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على تتريط السكة الحديد أو الأحجار التي بجانبه · كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التى كنت بها وأنا أحاول مع زملائى الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون **بالسلاسل الحديدية** فنظر الينا حائرا ولم يتكلم · اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسي ننزل عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بسخرية :

ـ كرسي ما ينفعشي ·· عاوزين كنبه ·

ضحك الضابط ··· بصوت عال وقال :

ـ أو سرير بسوسته علشان ما حدش ينجرح ·

أنست اليه فقلت :

ـ هوه فيه حد مجنون يفكر في الهرب من هنا !

ـ اقتراحك ؟

ـ تفكـوا السلاسل ..

ـ ما هي دى المشكلة..

ـ مشكلة!؟ راح نفضل كـده على طول ؟

ـ لأ طبعـا .. لكن كان لازم يكون فيـه استعداد .

ـ استعداد لأيـه ؟

ـ شاكوش وأجنـة وسندال ، وحداد ..

ولأول مـرة أدرك أن هذه السلاسل الحديدية لاتفك الا بقطعها . السلاسل التى كنـا مقيدين بهـا قبل ذلك بعـد أن حكم علينـا بالأشغال الشاقة كان فكهـا لا يحتاج الى كل هذه الأدوات . والقيود الحديدية التى كانوا يقيدون بهـا أيدينـا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسـئول عن « الترحيلة » سواء كانت مكونة من فـرد واحد أو عدد مـن الأفـراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لـم يفكروا فيما سوف نعانيه خـلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسـبة لهم لسنا سوى « بضاعة » مطلوب « شحنها » من مكان الى آخـر ، وليس من شانهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا فى أولئك الـذين سيتسلمون « البضاعة » وفى معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى ـ على الأقل ـ أن يفكروا فى هذا الأمـر . ويبدو أن مامور السجن الجديد ... كـان يفكـر بهذا المنطق « الوظيفى » .

قال وهو يضحك ..

ـ لكن انتم ازاى عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟

ـ كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم

ـ وطبعا هما مش عارفين الوضع هنـا ..

ويعلق أحـد الزمـلاء بسخـرية ..

ـ تلاقى ولاحد منهم خطى هنـا ..

ويقول الضابط بمـرارة ..

ـ وأيه اللى راح يجيبهم هنـا .. من وراء مكاتبهم ..

ويقول زميـل :

ـ والا من بيوتهم المكيفـة ..

وثـــان

ـ والا من سهراتهم الحمراء ..

وثالث

ـ وراح يتركوا صفقاتهم المريبـة لمين ؟

وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنـــود أحيانا .

ويتنبه المأمور ، فيقـول ضاحكـا :

ـ أيـه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو وإلا أيه ؟ .

ويقـول زميل ·

ـ يعنى ·· مفيش فرق كبيـر ··

وتصدر عن المأمور تنهيده ويقـول :

ـ والله ما فيـه فـرق ·· المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ··

ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **المعسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** ·

المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العـربة فى حـوالى سـاعة ذهابـا وايابا قضاها المـأمور فى التعرف على الزمـلاء · راح ينتقـل بين عـربات القطـار ليتعـرف علينـا وعلى الاخوان المسلمين · وعنـد كل زميل أو أخ يدور حوار سريع :

ـ **الدكتور شريف حتاتة** ·

ـ انت قـريبى ··

ـ **زكى مـراد المحامى** ··

ـ لأ انت مش قريبى

ـ ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى ·

ـ **محمد شطا ·· عامل نقابى** ··

ـ باين عليك خطـر ··

ـ **وليم اسحق فنـان**

ـ **مغنـى ؟**

ـ **لأ ·· رسـام ··**

ـ **ضمنا صـورة بالزيت · ·**

وينتقـل الى الاخوان المسلمين

ـ بكباشى **فؤاد جاسر**

ـ بوليس

ـ لا جيش

ـ صـاغ **جمال ربيـع** · ·

ـ طبعـا جيش · · !

ـ دكتور **كمال خليفـة**

ـ طبيب ؟

ـ لا مهندس

هـدوء الصحراء يلف المكـان · أى همس يمكن أن تسـمعه · وهـواء الصحراء يلفح الوجـوه المتعبـة المنهكـة ، ونشـعر بان الـدم يجرى فيهـا من جديـد وهى تمتزج بصـوت المأمور الودود خـلال تعرفـة علينـا ·

ونحس ببعض الأطمئنان ولكنه مشوب بالحذر . فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد . لقد مضى الكثير .. وسنعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربة التى ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع **السلاسل** .. **سندان** .. **ومطرقة** .. **وأجنة** . يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا الى السلسة الحديدية المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور . .

ـ أفكهم خالص يا بيه ؟ .

ـ يعنى ايه خالص .. أمال نص نص ؟

ـ يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تاخذ وقت .. يمكن لغاية بكره بعد الظهر . .

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

ـ مش فاهم . .

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

ـ يا بيه .. فى كل رجل « **حجلة** » ودى تخينه قوى تاخد وقت على ما تنقطع .. لكن **السلاسل** سهل تاخد وقت أقل ، نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر . .

ـ قطع اللى تقطعه .. المهم أنهم ينزلوا من القطر .. ويركبوا العربات .

ـ لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل .. وبعد كده نقطع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كده . .

ويصيح المأمور بصوت عال :

ـ والله ما أنا فاهم حاجة .. حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضج الجميع بالضحك .. ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ـ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشمة » .. ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع **حلقة** من **حلقات السلسلة** اللى بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانيا ان كل زميل سيحتفظ **بقطعة سلسلة** و« **حجلة** » فى كل قدم من قدميه .. وبعد **كده تقطع** الحجلة .

ـ آه فهمت .. يا سيدى قطع السلسلة ..

ويصيح ضابط « **الترحيلة** » .

ـ السلسلة تبوظ .. ودى عهده علىّ ..

ويضج الزملاء بالضحك .. ويقول **أحدهم** :

ـ **واحنا مش عهده** . .

ويرد عليه ضابط الترحيلة :

ـ أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور ٠

ـ لا يا حبيبي أنا لسه ما استلمتش حد راح استلمهم في السجن وأمضى عليهم هناك ٠

ـ طب وأيه العمل ٠٠ أنا لازم أرجع **السلاسل** ٠٠ دي عهده يا ناس ٠٠

ويعلق أحد الزملاء ساخرا ٠٠

ـ يبقى مفيش حل الا اننا نموت عنا ٠٠

ـ ما انتو برضه **عهدة** ٠٠ لازم أسلمكم **أحياء** ٠٠

ويعلق زميل :

ـ **والسلاسل** ترجع سليمة ٠٠

ويعلق آخر :

ـ معادلة صعبة ٠٠ ازاى نحلها !

ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك ٠ هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون ٠ ومن الذى يضحك ؟ **المسجون والسجان** ! فى لحظة تحولت المأساة الى ملهاة ! ٠

كان الأمر يستحق « **ثورة ادارية** » من أجل القضاء على **البيروقراطية** ٠ بدأها فى تلك اللحظة مأمور السجن الجديد ٠ قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :

ـ قطع السلاسل ٠

ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :

ـ وأنا أعمل أيه ؟

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

ـ راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ٠٠

ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة ٠ وقبل أن يبدأ الحداد فى عمله مبتدئا بالزنزانة رقم ١ ٠٠ يأتى صوت من الزنزانة رقم ٤ ٠

ـ إحنا الأول ٠٠ احنا الأول ٠٠

ويرد المأمور

ـ بالترتيب ٠٠

ويعود الصوت :

ـ أصل ٠٠ أصل ٠٠ ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض

ويضحك المأمور ويقول :

ـ بى ٠ بى ٠٠ والا كا ٠ كا !

وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبدد هدوء

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ • الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول • فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات • يا لهذا الانسان •• كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة • ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه **سلسلة معلقة فى « حجلة »** • يمسكها **وليم اسحق** بيده ويقول ضاحكا :

ـ هيه دى بقى « **الحجلة** » الرئيسية يا درش ••

ـ دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم •• دول اثنين •

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك • سكون رهيب يمزقه بين الحين والحين عواء **الذئاب والثعالب** ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير المهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة •• يبدو إنها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور **معسكرات النازى** • الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم • ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مامور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا • أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنا فى الصحراء **نهبا للذئاب والثعالب والثعابين** •• وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، • ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « **طريشة** » أمر لا يمكن تصوره • وكيف يصمد الانسان للدغة « **طريشة** » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال • **أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة** ؟ • ان كل أفران النازى ومعسكراتهم •• كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية **الموت بلدغة « طريشة »** •• والسبب •• « **قضاء وقدرا** » !!

وتقف بنا السيارات عند **باب السجن** •• مساحة واسعة من الأرض تحوطها **الأسلاك الشائكة** •• واكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « **المعسكر** » • كان فى استقبالنا « ••• » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا • قال المأمور :

ـ زى ما انتو شـايفين ٠٠ **مخيمات فى صحراء** ٠٠
ويقول احد الضباط :
ـ ما حدش يمشى حافــى
ويسأل زميــل :
ـ **الثعابين كثيرة ؟**
ـ علمى علمك ٠٠ لكن بيقولوا ان لدغــة « الطريشــة » هبــة والنبــر
ـ الله يطمنك ٠٠
ويتدخل المأمور :
ـ يا جماعــة ٠٠ دى مبالغات ٠٠ مــا تخافوش ٠٠
ويقول أحــد الزملاء بسخرية ٠٠
ـ وطبعا من يموت بلدغــة « طريشــة » يقيــد « قضاء وقــدرا » ٠
ويقول آخــر :
ـ يعنى بلا مسـئولية على ادارة السجن ٠٠
ويقول المأمور :
ـ يعنى ٠٠ ما احنــا عايشين معاكــو ٠٠
ـ ويسأل زميــل ٠
ـ فى خيــم زينا كــده ؟ ٠
ـ لأ ٠٠ فى استراحات فى « جنــاح » ٠٠
ويقول الدكتور **شريف حتاتــه** ٠
ـ وطبعــا عندكم كل الأدوية اللازمة ٠
ويقول المأمور :
ـ والله يا جماعــة ٠٠ أنا لســه جــاى هنــا النهــاردة الصــبح ٠٠ الأوامــر اللى عندى تباتوا الليلة فى المخيمات ٠٠ وانتظــر أوامر أخــرى بكره صباحــا ٠
ويقول زميــل :
ـ ده اذا شــفنا « بكــره » ٠٠
ويتدخل **صــلاح حافظ** ويقول بحســم ٠٠
ـ راح تشــوف بكره ٠٠ وبعد بــكره ٠٠ ايــه المطلوب منــا يا حضرة المأمور ؟
ويعلق المأمور مبتســما :
ـ آهو ده الكــلام ٠٠ كــلام من يكتب عن انتصار الحياة ٠
ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفــع أصواتهم تردد نشــيد ٠٠ شتتونــا فى المنافــى ، واملأوا منــا الســجون ٠٠ سوف تأتيكم ليالــى برقهــا عصف المنــون ٠
من بعيد يأتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتــور شريف حتاتــه :

يقـول لنـا :
ـ فيه هنـا أربع خيـام وبطاطين كثيرة ٠٠ وسرايـر خشـب ٠٠ انصبوا الخيـام والسراير ووزعوا البطاطين ٠
ـ كـم سرير تسـع الخيمة ٠٠ ؟
ـ حوالـى ١٢ سرير ٠٠
قلت لشريف :
ـ اذن خيمة واحـد تسـعنا فنحن ١١ زميلا ٠
ـ ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا ٠
ـ والخيمتين الآخرتين نستخدمها «**ميس**» للأكل ٠ ويقاطعنـا المأمور :
ـ خلو زملاءكم ينصبوا الخيـام والسرابر وتعالـوا معايـا ندبـر لكـم أكـل أحسن زمانكو جعتوا جـدا ٠
وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهـاد بنصب الخيـام ، وذهبنـا مع المأمور لتدبير أمـر الأكـل فقد مضى أكثر من ١٢ ساعة لـم نتنـاول خلالها شيئا ٠ كانت الساعة قـد تجاوزت **منتصف الليـل** وفى حجـرة من الصـاج فى طـرف من أطـراف المعسكر ٠ وجدنا مجموعـة من « **الحـلل** » الكبيرة ونصف « **عجـل** » ملقـى علـى الأرض ،وأكـوام من « الحطب » ، وشـوال من الفاصوليـا البيضـاء ٠
قال المأمور :
ـ آدى اللحمة اللى قدرت أدبرهـا النهاردة ٠٠ شـوف كـده يا شريف خايف يكون أصابها التلف !
يتقدم اليها شريف ويشمها :
ـ لـم تتلف تماما ٠٠ يمكن أن تؤكـل ٠
ويقول المأمور :
ـ يا لله بقـى دبروا مسـألة**الطبيـخ** ٠٠ ومعاكوا كـام مسـجون بساعدكوا ٠
وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبيـخ ٠ ويأتـى عـدد من الزملاء والاخوان الذين لهم درايـة بالطبيخ ٠ ويتعاون الجميـع فـى اعداد وجبـة العشـاء ٠ هذا يمسـك **بالسـاطور** ليقطـع اللحم ، وهذا يعـد الفاصوليـا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشـعل الحطب **وسـط الصحراء** ٠ وبعـد وضـع القدور الكبيرة على النـار المشـتعلة ٠ يطمئـن المأمور فيقول لنـا ٠٠
ـ فاضـل مسألة العيش ٠٠
فى مكـان آخـر أعـده المأمور بسرعـة لبكـون فرنـا بدائيـا وجدنـا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء ٠ ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعـداد العيش ٠ مجموعـة تتـولى عجـن

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب في الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن ٠

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين ٠٠ كل في يده « قروانة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير من يريد يأخذ :

ـ الواحد كان ناسي أنه جعان ٠

ـ لم يكن هناك وقت للجوع ٠

ـ ده ألذ أكل الواحد كله في حياته ٠

ـ نعمة يحفظها ربنا من الزوال ٠

ـ يا سلام لو كباية شاى ٠٠

ـ يبقى آخر تمام ٠ ٠

ـ بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المأمور :

ـ جبت لكم شاى وسكر ٠ ٠

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ٠ ٠

ـ بس نعمله ازاى ؟

ـ ونشربه ازاى ؟

ـ يا أخي نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ٠ ٠

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء ٠٠ ويذهب آخر لاحضار أكواب البلاستك من الخيمة ٠ أربع أكواب فقط ٠ ٠

ـ ما تحافوش « جردل » الشاى على النار ٠٠ ما حدش راح يشربه بارد ٠

ـ المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف ٠

ـ والصعايدة يستنوا للآخر ٠ ٠

ويعلق زميل :

ـ والبحاروه ٠ ؟

ـ دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك ٠ ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة في أى مكان يتواجد فيه ٠ هذا المكان الخالي الا من **الثعالب والذئاب والثعابين والفيران** يتحول في لحظة الى مكان انساني ٠

يدندن **صلاح حافظ** باغنية لام كلثوم ٠ ٠

ـ سمعنا يا أبو الصلح ٠ ٠

ونتخيل صوته في هذا المكان الموحش كانه اعذب من صوت أم كلثوم ٠ يختلط صوته بصوت **محمد شطا**

ـ افرش منديلك على الرملة ٠

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

ـ افرش منديلك على الرملة ٠٠

وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليدخل بصوته ٠

ـ يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غية ٠٠ بدلة الحمام عليكو خللت العرسان تجيكوا ٠٠

ـ أى والله الصيف بدأ ٠٠

ـ اسكندرية زمانها مليانة مصيفين ٠٠

ـ احنا لسه فى يونيو ٠٠ يوليو تبقى زحمة ٠٠

ويرتفع صوت المرحوم « **خليل قاسم** » باغنية نوبية ٠ برقص عليها هو **وزكى مراد** المحامى ٠ لوحة راقصة نوبية لم نشهدها من قبل وتشد أنظارنا وأسماعنا ٠ نصفق بأيدينا ونردد كلمات أغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها ٠

ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد ٠ ولأول مرة منذ ما يقرب من **٢٤ ساعة** نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى **سجن** « **جناح** » **بالواحات الخارجة** ٠ يوم يستحق ان أخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

اول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٥)

حبيبتـــى

رغم احساســى النسبى بالأمان مع بزوغ فجر اول يــوم لــى فــى سجن « جناح » **بالواحات الخارجـة** ، الا اننى ـ واحسب أن كل زملائــى أيضـا لـم تغفل عيوننا **ســوى دقائق** • ما أن دخلنـا الخيمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشــبية ، وسحبنا البطاطين على اجســامنا ، وبعــد تعليقات سريعـــة ، ســاخرة أحيانا ، وجـادة أحيانا أخرى ، حتى ســاد الصمت بين الجميـع • لكن الحوار كان متصـــلا ، بين كل زميـل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهــدوء ، يقطعه بين الحين والآخــر عواء ياتى من بعيـد **لذئب أو لثعلب** ثم تعليقـات سريعة للزملاء • •

ـ ذئب أو ثعلب ؟

ـ هــل يبعـــد عن هنا كثيرا ؟

ـ لا تخافوا • • الذئاب والثعالب تخشى النـور •

ـ النــور أو النــار ؟

ـ اقترح أن نشـــعل نــارا على باب الخيمة • •

ـ نــور المعسـكر يؤدى المهمة • •

ويســـود الصمت • ثـم تعود التعليقـات عندما نسـمع العواء مـرة أخرى • وتقـل التعليقـات تدريجيـا حتى تتوقف تماما حتى مع اســتمرار العواء • هكذا ، العواء ليس أكثر من عــواء ، سواءا كان عــواء حيوانــات مفترســة أو عواء آدميين ، فتأثيره فى الحــالتين مؤقت • حتى محــاولات الافتراس التى تاتــى بعد العواء ، يمكن للانســان أن يقاومهــا ويصـــمد فى وجههـــا ، لكن ما العمـل مع لدغـة « **الطريشــة** » التى تحدث فى لحظـة ودون اى مقدمات ! ربما تــكون خطتهم أن نعامـل هنـا معاملة عاديـة ، ونعيش حيــاة اشــبه بحيـــاة المعسـكرات ، ويترك أمـر موتنا **للثعابين والحيــات** وخاصــة « **الطريشة** » مـرة أخـرى تسرى فى جسمى رعشـــة شـديدة !

وتنفذ أشـعه الشمس القويــة من فتحـــات الخيمة تبعث الــدفء فى اجسامنا فننمض البطاطين التى كانت تقينـا بــرد ليـل الصحراء •

ـ صباح الخير يا زملا • •

ـ صباح الخيــر • •

ـ صباح أيه دا ظهـر

ويضحك زميل :

ـ ظهر مين ٠٠ أنت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟ ٠

ونخرج جميعا من الخيمة على نهار أول يوم لنا في سجن « جناح » بالواحات الخارجة ٠ ما زالت فكرة الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة على ، أنادي بصوت عال على الرغم مني ٠٠

ـ دكتور شريف ٠٠ دكتور صلاح ٠ ٠

يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ على وجههما الانزعاج ٠

ـ أيوه ٠٠ فيه حاجة ؟

كانا يفكران فيما أفكر فيه وحسبا أن أحدا قد لدغته « طريشة » ٠

ـ ما فيش حاجه ٠٠ بس كنت عاوز اتكلم معاكم ٠٠

ـ يا أخي خضيتنا ٠ ٠

ـ متأسف ٠٠ بس كنت عاوز أطمئن ٠٠

ويرد شريف حتاته بهدوءه المعروف عنه ٠٠

ـ دى بقى مش سياسة ٠٠ سيب العيش لخبازينه ٠٠

ـ وأنت الخباز الوحيد هنا ٠

ويتدخل صلاح حافظ :

ـ وأنا مش خباز يا درش ؟

ـ لا ٠٠ نص ف خباز بس ٠

ـ أحسن من اللى ما يعرفش يخبز خالص ٠

ـ فى الطب ٠٠ مش فى السياسة ٠

ويأتى الدكتور شريف حتاته بمذكرة الى المسئولين ، بدءا من رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والى الصحف والنقابات المهنية والعمالية المختلفة ، تستنكر نفينا فى الصحراء ومحاولة اغتيالنا بواسطة الحيات والثعابين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى يتم ذلك يطالب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية ٠

ـ عظيم يا شريف ٠٠ لكن موت يا (٠٠٠) لا مؤاخذه على ما يجيلك العليق٠٠

ـ يظهر انها معلقه معاك قوى ؟

وبهدوءه الشديد يستطرد ٠ ٠

ـ ويا سيدى جبنا معانا ٠٠ الأدوية واللقاح ٠٠ احنا برضه الـ ٠٠ وأقاطعه ضاحكا ٠ ٠

ـ عارف ٠٠ عارف ٠٠ انتو القيادة ٠

ـ أيوه كده ٠ اعترف ٠٠

ـ فى الطب بس ٠

ـ وفى السياسة كمان وحياتك ٠٠ بكره تشوف ٠

ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارتـه على باب السجن فنتجه اليـه :
ـ صباح الخير ·
ويسلمه شريف المذكـرة :
ـ يا صباح يا عليـم يا رزاق يا كريم ·· لحقتوا تكتبوا مذكرات ·· ؟
ـ واحنـا ورانـا أيـه ؟
يقرأ المأمور المذكره ويقول :
ـ حـاضر سأرسلها بالبوسـتة · ·
لا بوسـته أيـه ·· دى عايزه مخصوص · ·
ـ وأجيب المخصوص منين ؟
ـ سـجان
ـ بالقطـار طبعـا · ·
ـ ده على كيفـه ·· بيجى كل أسبوع ·· كل اسبوعين ··
ـ يبقـى بالتليفـون · ·
ـ أنا راح اتصرف · · اطمئنـوا
ـ نحن مطمئنون ·· لكن ··
ـ ساسلمها للمحافظ وأطلب منـه أن يرسـلها مع مخصوص فى سيارة ·
ويسأل المامور أسـئلة عديده عن « الطريشـة » وعن أنـواع الحيات والثعابين التى توجـد فى الصحراء ، وطرق الوقايـة منهـا ، وهـل حقـا ما يقال عن المفعول السريـع لسم « الطريشـة » · ويعطـى شريف اجابات مبالغ فيهـا ، ونرى الخوف يرتسم على وجه المامور فيقـول بخبث :
ـ لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله · ·
يرد المامور ورنة الخوف تبدو فى صوته :
ـ لا بعيد ولا حاجـة ·· وأيـه الفرق بين الخيمة ، والفيـلا ؟ ، الأثنين فى صحراء · ·
ـ فعـلا ·· مفيش فرق كبير ·· احسن تسـكن فى شقة عاليـة ·
يبتسـم المامور ، ويقول :
ـ لو كان فيها خير ما كان رماها الطير ··
ـ هو ، المحـافظ مش سـاكن فى فيـلا برضـه ؟
ـ لا يا سيدى ·· ساكن فى شقة ·· أنا راخـر استعجبت سـايب الفيلا ليـه ؟
ونسمع صرخة عاليـة ، واثنـان من الاخوان المسـلمين يحملون شـخصا ويسرعون بـه نحو المامور :
ـ لدغتـه طريشـة ·· لدغته طريشـة ·
ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعـا ومعـه الحقنـة واللقـاح ·

— فين اللدغـة ؟
— فى رجـله اليمين ٠
— مفيش حاجة يا جماعـة ٠٠
— ازاى مفيش ده صرخ بأعلى صوته ؟ ٠
— على العموم نديله حقنـه ٠٠ لكن مفيش حاجه ٠
— أنت متأكـد ٠٠
— طبعا متأكـد ٠٠ أنا طبيب ٠٠
— أمـال أيـه الحكايـة ٠٠
— وهم سيطر عليه ٠٠ اغلب الظن ٠٠

الاخوان المسـلمون والزملاء يتجمعون فى المكـان الذى حدثت فيـه لدغـة الطريشـة ، ونتجه اليهم وقبـل أن نصـلهم نرى طبيبا من الاخوان يمسـك بقطعة حبـل ويقول :

— توهم أنها طريشـه فصرخ ٠
— الى هذا الحـد يفعل الوهـم ؟
— واكثر من هذا ٠٠ الموت ذاته ممكن ٠

ونشهد قطعة أرض من صحراء « جنـاح » بالواحات الخارجـة ، الاخوان المسلمون ، والشيوعيون ، وضباط السـجن وجنـوده ، وهم يجلسـون عليها كتفـا الى كتف يسـتمعون الى الدكتور شريف حتاتـه وطبيب مـن الاخوان يتحدثان عن أسـاليب الوقايـة من الحيـات والثعابين بلغـة واحـدة ٠ والجميـع ينصتون اليهما تمـلأ الثقة نفوسـهم ، بما يقولانـه ، لا يفرقون بين الطبيب الاخوانـى ، والطبيب الشيوعـى ٠ حتما سيشـهد العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى شهدته هذه القطعة الصغيرة من الصحراء ٠ يوما تصبح فيـه السياسـة علـمامسـخرا لصالح النـاس ٠ كل الناس ، وليس لصالح طبقـه أو فئة ٠ ليس أملا يسـتمد مقوماتـه من حتميـة التطـور التاريخـى ، وليس حلما يسـتحيل تحقيقـه ، الا بعـد وصـول الانسان الى عصر الحريـة ٠ ولكن ما سـيعجل بـه هو ان العالم قد بـدأ مرحـلة خطر فنـاء البشريـة كلها ٠ والأمـل أن يوحـده الخطر الداهـم مثلما وحـد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والضباط ، والجنـود أمـام خطـر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عـام ١٩٥٥ ، والحـلم أن تكون وحـدة دائمة ، وليسـت وحدة مؤقتـة كتلك التى حدثت ذلك اليوم ! ٠

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحـا حين انتهـى الطبيبـان ، الاخوانى ، والشيوعـى من حديثهما ، حين انصرف الجميـع وقـد سـاد بينهم جـو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشـترك لمواجهـة الحيـاة المشتركة فى هذا المكـان النائـى عن كـل شئ الا الرمـال الصـفراء ، والحيوانات المفترسـة ٠ والثعابين ٠ حقـا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

لخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، والوقاية ، والعلاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن · وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الاخوانى والشيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط · ولم يكن من الغريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الاخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الأمر الى حدوث أنقسام بين الاخوان المسلمين فى صورة مؤيدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثا آخر فى رسائل مقبلة ·

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحونا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحيط بها « **الحجلات** » **وتجر سلاسل حديدية** · وكان ولم اسحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، فقدماه النحيلتان تحمل « بالعافية » جسمه الهزيل · همس فى أذنى ضاحكا · ·

— أيه يا درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟

— أبدا يا ولم ·· لكن يبدو أن تلاحق الأحداث جعلنا ننسى · ·

— تبقى فقدت الاتجاه ·

وأذهب معه الى مأمور السجن نطلب منه سرعة فك بقية قيودنا · ويعطى المأمور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى تقع فى أحد أركان السجن · وبعد أن ينتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تلا من **السلاسل الحديدية** · ويذكرنى مشهد هذا التل الحديدى بمشهد مماثل له فى **ليمان طره** ·

فى مايو ١٩٥٥ — قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد — أعلن **المشير عبد الحكيم عامر** فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى **ليمان طره وأبو زعبل** ، وعدد كبير من ضباط قيادة الثورة ومصلحة السجون ، الغاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالمطرقة والأجنة · ولم ندع نحن لحضور هذا الاجتماع ، وسمعنا عنه [illegible] فى الحمام العمومى لليمان نستحم [illegible] كان علينا الدور فى ذلك اليوم · لم نتمن فى حياتنا طوال فترة السجن شيئا كما تمنينا ان نخلع عنا هذه القيود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الساقين وتربط بهما سلسلة وزنها ٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام ·

(م — ١٠ الرسائل)

كنا شبه متأكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديديه لن يشملنا ٠ كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مره واحدة دون أن نجر القيود الحديدية فى أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التى نبذلها عند خلع الملابس ثم عند ارتدائها بعد الاستحمام ٠

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية فى أقدامنا ، وعلى صوت رنينها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ، لكننا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء ارتدائها ٠

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** فى أقدامنا شهدنا منظرا غير مألوف فى الليمان ٠ أعدادا كبيرة من المساجين يجرون ويمسكون بأيديهم القيود الحديدية التى كانت فى أقدامهم ، يصيحون بفرح شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود ٠

صاح أحدهم فينا :

ـ لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

ـ القرار لا يشملنا ٠٠

ـ هذا ظلم ٠٠ ولماذا ؟

ـ السياسيون لا يشملهم القرار ٠٠

ـ الاخوان خلعوا القيود ٠

ـ الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا ٠

ـ الأمر مختلف ٠٠

ـ هل لديك أخبار ٠ ؟

ـ لا ٠٠ ولكنه المنطق ٠٠

ـ نحن استثناء ٠٠

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحسن بالأمان ، صوت الضابط الصديق (٠٠٠) :

ـ أيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه ٠٠ ؟

ـ هل يشملنا القرار ٠٠

ـ طبعا ٠٠ أنا كنت خايف زيكم ٠٠ القرار يشملكم ٠٠

وكانت فرصة كبيرة جرينا الى ورشة الحدادة ٠ بضربة الحداد الماهر بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع حجلة القدم اليمنى ٠ ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بايدينا وجرينا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، والقينا جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر ٠ قيد وراء قيد لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح اليوم مع أقدام العبيد ٠

ألم أقل لك يا حبيبتي أننا محظوظون ؟ • **قيدونا بالحديد مرتين** ، مرة عندما صدرت **ضدنا الأحكام** ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « **جناح** » ، وخلعناها **أيضا مرتين** • وعدد شهور السنة في الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط • أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، في مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا في أى مناسبة من هذه المناسبات • ولانهم « يعسوقننا » ومغرمون « صبابة » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين ــ وهم عدد قليل ــ الذين رحلوهم معنا الى الواحات وهم من الصناع ــ كانت مدد أحكامهم لا تقل عن ٢٠ سنة ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنا في الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون مثلنا في الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا **قيودنا الحديدية** ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى في « عهدته » هذا الحديد • لقد رفض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء قطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهده » ، ولازم يسلمها •

صوت بصيح من بعيد • •

ــ الفطار يا زملا • • الفطار • •

ويحمل كل منا « **قروانته** » لاستلام الفطار •

ــ فول مدمس • • **يا للروعة !**

ــ فول مدمس حقيقى • • مش سوس مفول •

ــ ده فول مدمس زى بتاع بره • •

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس • وفى كثير من الاحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمراره فى الحياة رغم تعرضه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقرف » ، وكان البعض الآخر ياكله « بلذة » • • ويدور الحوار التقليدى عند كل أكلة فول :

ــ أيه القرف ده يا زميل ؟ •

ــ ده بروتين • •

ــ فعلا أيه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخر !

ــ زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطة •

ـ وهو فيه فـــرق ؟
وكان الحوار ينتهى دائما بجملة تقليديــة :
ـ على أى حـال مسألة غير مبدئيــة يمكن الخلاف حولها ٠
بعد أن تناولنـا افطارنـا الشهى من الفول المدمس الحقيقـــى ، بالزيته والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
ـ الشــاى يا زملا ٠٠
ـ شــاى ٠٠ شــاى ٠٠ !
ـ أيــه الحكايــة ٠٠ ؟
ـ دى ثـــورة ٠٠
ـ ياالهنـــا ٠٠
ـ طب ونشرب الشاى فى أيــه ٠٠
صوت حاسم يقول :
ـ كل واحد يغسل « قروانتــه » ويشرب فيها مؤقتـا ٠٠
ويهجم الزملاء على « جرادل » المـاء ٠٠
ـ الميــه قليلة جـدا ٠٠ مستحيل أفرط فيهـــا دى علشـــان طبيـــخ الغذاء ٠
ـ شويــة صغيرين ٠
ـ ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ٠٠
ـ يا أخى نجيب غيرهـــا ٠٠
ـ أمشى ٥ كيلو ٠٠ لغاية العين علشـــان اجيب غيرهـا ٠
ـ طب وأيه العمل ٠ عايزين نشرب شـاى ٠ ؟
ـ مش شأنــى ٠ اتصرفوا ٠٠
ويأتــى الصوت الحاسم مـرة أخرى :
ـ مين يتعهد بمـلء الجرادل بعد ما تشربوا الشــاى ٠
ـ كلنـا ٠٠ كلنـا ٠
استهلك الزملاء المـاء المخصص للطبـخ فى غســيل القروانـات كى يشربوا فيها الشــاى ولـم يتحرك بعد شرب الشاى لمـلء الجرادل بالميـاه ويعـلو صوت غاضب :
ـ يا زملا املـوا الجرادل ميــه ٠٠
ـ بس نستريح شويــة ٠
ـ أنت عاوز تضيع طعم الشــاى ٠
ويــرد الصوت :
ـ طيب مفيش غـدا ٠٠ وأنا راح أطبخ ازاى ؟
ـ لســه بدرى على الغـدا ٠٠ الساعة لسة ١٢ ٠٠
ويرتفع الصوت الحاسـم مـرة ثالثة :

- عايزين ١٠ جرادل ميه .. كل زميلين ياخدوا جردل يملوه .. من فضلكم ..

ويستعد **٢٠ زميلا** لمسيرة جلب المياه من العين التى تبعد عن **السجن خمسة كيلو مترات** . ويدور حوار خلال المسيرة :

- يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ **كيلو متر ذهابا وإيابا** .

- وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النص ..

- يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميه ..

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

- يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » .

- دى ما بقتش نكته ..

- لازم نشوف حل لمشكلة الميه دى

- وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن **مشكلة المياه** هى المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التى واجهتنا فى **السجن الجديد** . لقد كان كل هم المسئولين الكبار - بعد اضراب المسجونين فى ليمان طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا . فاختاروا هذه القطعة من الأرض فى **قلب الصحراء** . بعيدة عن **مصادر المياه** ، واحاطوها **بالأسلاك الشائكة** ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابنوا سجنكم بأنفسكم** ! لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا . وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا . قررنا أن نبنى فى قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لنأكل فيها ونشرب ، وانما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة .

وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا **الأول فى الصحراء** ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم فى الاعداد للمعركة ، **معركة استمرار حياتنا** . وكان اليوم التالى هو يوم بدء المعركة .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة القبلة يا حبيبتى .

٢ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتـــى

كان السؤال المطروح ونحن نعـد للمعركـة ، هو : من أيـن نبـدأ ؟ وكانت الاجابة : أن نبـدأ بالبدء ، بنـاء مقومات استمرار حياتنـا فـى هـذه البقعة النائية فى **قلب الصحراء** فهى ليست معركة رفـع مستوى المعيشة داخل السجن ، مثل المعـارك التى خضناهـا خلال سنوات السـجن السابقة ، وانما هى معركـة **الحد الأدنـى للحيـاة ذاتهـا** ، وقررنـا أن نبـدأ كمـا بـدأ الانسان الأول حياتـه الى **جوار المـاء** ٠ واذا كنـا لا نملك حريـة الانتقال الى جانب عين الميـاه الوحيـدة فى كل هـذه المنطقـة من **الصحراء** ، فنحن نملك القدرة على نقـل الميـاه الينـا ٠ وكيف ؟ ان استمرارنـا فى نقـل الميـاه بواسـطة « الجرادل (وبعـد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابـا وايابـا) ، لا يجب أن يستمر هكذا ٠ يجب أن تصـل الينـا الميـاه بواسـطة مواسـير ، ولكن هذا هـدف بعيـد ٠ يستغرق تحقيقـه شهرين على الأقـل ، يتوفر خلالهما المواسير ، والخبـرة الفنيـة ، وخـلال هذين الشهرين يجب أن يتـم نقـل الميـاه اللازمة لطهـى الطعام ، وخبـز العيش ، وغسـل الملابس ، والاستحمام ، فضـلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيهـا خضروات ، بأقل جهـد ممكن ٠ اذن لابـد من الحصـول على « طلمبـة » ميـاه تسـحبها من العين العميقة الذى ينزل الى حافتهـا الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثـم يتناولها زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى مـن يحملهـا الـى السـجن ٠ وعـد المأمور بشراء طلمبـة ميـاه خلال أسبوع على الأكثـر ونفذ وعـده ٠ وكانت فرحتنـا كبيرة حين تـم تركيب هذه الطلمبة ٠ ووفرنـا المجهـود الذى كنـا نبذله فى النزول الى عين الميـاه ، ثـم الصعود منهـا ، وزال خطـر الوقوع فى العين عند فقـد توازن من يقوم بملـئ الجرادل ، فضـلا عن اختصـار عـدد الزملاء الذين يقومون بنقـل الميـاه الى النصف ٠ اذن نسـتفيد من هذا النصف الذى توفـر بعد تركيب الطلمبة فى اعـداد براميـل لحفـظ الميـاه بـدلا من الجرادل ٠ سرق الزملاء ٤ براميـل فارغـة من زيت السـولار الذى يستخدم فى ادارة ماكينـة الكهربـاء المخصصـة لانـارة المعسـكر ٠ وكانت مشـكلة عندما اكتشـف ملاحظ ماكينة الانـارة سرقـة البراميـل الأربعـة :

ـ صـاح الملاحظ :

ـ رحت فى داهيــة ٠ ٠

ـ ليــه ٠٠ ما هــى البراميل موجودة ؟

ـ ما تنفعش بعد ما قطعتوهــا ٠ ٠

ـ معلهش ندفــع ثمنهــا ٠ ٠

ـ مش ممكن ٠

ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتــى لمعاينة موقــع الجريمة !

ـ يا جماعة البراميــل دى عهــده ٠ ٠

ـ تانى ؟ ٠٠ البراميــل عهدة ٠٠ والسلاســل الحديدية عهدة ٠

ويقول زميــل آخــــر :

ـ وهو احنــا مش عهــدة برضــه ؟

ويرد المديـــر :

ـ طبعا أنتم فى عهدتــى ٠ ٠

ـ والعهــدة ٠٠ ألا تحتاج الى صيانة ؟

ـ طبعا ٠٠ وهو أنــا قصرت فى حاجة ٠

ـ فى المقومات الأساسية لحياتنــا ٠

ـ وأيــه طلباتكم ؟

ونضع أمامه قائمة الطلبــات الضرورية ، مواســير ميــــاه وحنفيـــات وعــدد من الصهاريــج لتخزين الميــاه ٠ ومطبخ مجهز بالحد الأدنــى بأدوات الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تســتخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنـــى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة ٠

ويعلق المديــر ٠ ٠

ـ انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جــدا ٠٠

ـ دى الحد الأدنــى التى تسمح لنــا باستمرار الحيــاة ٠

ـ بس تنفيذهــا ياخد وقــت ٠

ـ هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟

ـ طبعا مش ممكن ٠٠ سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة ٠

ـ وطبعا المصلحة تعمل مناقصة ٠٠ و ٠٠

ـ ما انتوا عارفين الاجراءات ٠٠

ـ لكن ممكن اختصارهــا ٠ ٠

ـ [illegible] ؟

ـ نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعة ٠

ـ طيب ساعدونــى ٠ ٠

ـ مثلا ٠٠ تشترى لنا بعض اللوازم الضرورية ٠٠ مثل المواســير والحنفيــات ٠

ـ والباقــى ٠ ٠ ؟

ـ الصهاريج والطلمبات من القاهرة ٠٠

ـ راح تاخد وقت ٠

ـ نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة ٠٠ وتوصى ، بعد عرض الوضع على المسئولين ٠٠

ويضيف زميل :

لا تنس اسك فى النهاية المسئول عنا ٠

ويضيف آخر :

ـ واذا حدث شىء ٠٠ فسنكون مقصرا فى نظرهم ٠٠ لانك لم تنبههم ولم تطلب منهم شيئا ٠

ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يتمنى أن ننسى عواسير وحنفيات فى نفس اليوم ٠ ونتفق معه على حل عدد من المشاكل ٠ **زيارة الأهالى** ٠ ارسال الخطابات واستلامها ٠٠ السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجاير والسكر والشاى والكتب ٠

ويقول المأمور ضاحكا :

ـ والستات والبنات ٠٠

ـ لأ دول نروح لهم قريبا ٠٠

ـ ان شاء الله يا أولادى ٠٠

يقولها الرجل بكل صدق وحب ٠

وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحنفيات ٠ **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دوره مياه لنا ، واثنتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام ٠ **ويبدأ العمل فى فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب رمال** الصحراء بأشعة شمسها القوية ٠ وتخرج مجموعات من الزملاء والاخوان الى **موقع العمل** ٠ وفى نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية عشر ظهرا ٠ أشعة الشمس قوية لم نعد نحتملها ، والرمال تحولت الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب غزيرا من أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل ٠

ـ الحمد لله ٠٠ لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية ٠

ـ كم من الوقت تستغرقه عملية مد مواسير المياه ؟

ـ هذا يتوقف على استعدادكم ٠٠

ـ نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل ٠

ـ عدا فترة الظهيرة ـ من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر ٠

ـ موافقـــون ٠٠
ونتفق على تنظيم ورديـات ، كل ورديـة تعمل ٧ ساعات فيكـون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة ٠
ـ اذا نفذنـا هذا بدقـة نستطيع أن ننجز عمليـة مـد مواسير الميـاه فى أسبوع واحـد ٠
ـ وهـل نستانف العمل اليوم فى الثالثة بعد الظهر ٠٠
ـ اقترح ان يبدأ نظـام الورديات من اليوم بعد الظهر ٠٠
ـ سنحتاج الى كلوبات للانـارة ليـلا ٠٠
ويتعهـد زميـل كهربائـى بتدبير أسلاك كهرباء ولمبـات وأخذ توصيلة من ماكينـة الكهربـاء ٠٠
ويتسـاءل زميـل :
ـ كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتـار ؟
ويضحك الزميل الكهربائـى :
ـ يا أخى المخزن مليان أسـلاك ٠
ـ وكيف ستحصل عليهـا ؟
ـ ده شغلى بقـى ٠
ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليـة اتفاقـا من بنـد واحـد ٠ أن يستعمل اسـلاك الكهرباء التـى فـى عهدتـه لتوصيل الكهرباء الى موقـع العمل ، وبعـد الانتهـاء من عمليـة مـد مواسـير المياه ، يتعهد باعـادة الأسـلاك ويلفها على البكـرة كما كانت ٠ ثـم يقـول ضاحـكا :
ـ هذا والا ٠٠
ويرد الملاحظ :
ـ لا يا عم ٠٠ موافق ٠٠ كفاية حكاية البراميل ٠
وعند عودتنـا الى السجن يستقبلنـا الزميل أحمد خضر « العامل النقابـى » ورئيس الطهاة فى السجن عند الباب قائـلا :
ـ تتصوروا راح تتغدوا أيـه النهاردة ؟
ـ راح يكون أيـه يعنى ؟ ٠ عدس أو فـول ٠
وجبة الغذاء العادية فى السجون أما عدس وأما فـول ٠ أو كما كنـا نطلق على العدس اسـم « العدس المزلط » أى العدس المملوء زلطـا ، وعلـى الفـول اسـم « السوس المفـول » ٠٠
ـ طب واذا أكلتـوا طبيخ ٠٠
ـ طبيـخ !
ـ طبيـخ !
ـ وده معقـول ؟

- واذا حصـــل ؟
وينـدفـع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة ســجاير هوليود
- لارج • ؟
- لا •• صغيرة ••
- راح تتغدوا •• فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمة ••
- لحمة وفاصوليـا ورز •• مرة واحدة ••
- ده حلم ولا علم يا ولاد ••
ويقف **أحمد خضر على** أطـراف أصابعه فى محاولة يائسـة ليكــــون راسـه على ارتفـاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقـول بصوته المسرسـع ولسانه الألدغ :
- يـا زمبل أنا لا « أعلف » • أعرف •• المستحيل ••
ويرد عليه الزملاء •• عالفين « يعنى عارفين » ••
وأضحك مع الزملاء •• ويقول أحمد خضر :
- طب وانت بتضحك لبـه يا درش •• الحال من بعضه ••
- ألدغ صحيح •• لكن طولك مرتين ••
ويجرى الزملاء وراء **أحمد خضر** الذى يعطى كل زميـل نصيبـه من اللحمـة والفاصوليـا والرز • كله على بعضـه فكل زمبـل لا يملك غير قروانـه واحدة يستخدمها فى الأكـل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بـل وفى نقـل الرمال من الأرض الى « الففـة » أثنـاء العمل فى الموقـع عند عين الميـاه • بعد قليـل يرتفـع صوت أليف محبـــوب ننتظره دائما بعـد كل وجبـة طعام ••
- الشـاى يا زملا •• الشـاى ••
ونجرى نحو نبـع الشاى • •وتثور نفس المشـكلة ••
- مستحيل أفرط فى نقطـة ميـه •• الميـه دى علشـان طبيخ العشـا
- يا أخـى نجيب لك غيرهـا ••
ويأتـى صوت **صلاح حافظ** :
- يا زملا نضفوا القروانـة بشوية رمل ••
- الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ••
- الرمل يضيـع الريحـة ؟
- على مســئوليتك ؟
- جرب •• لن تخسر كثيرا ••
ويجرى الجميـع الى أقرب مكان بـه رمال سـاخنة ينظفون القروان ، ثـم يعودون لأخـذ الشـاى •
- متى نشرب الشاى زى البنى آدمين ؟
- منظر الشاى فى الكباية الزجاج •• رائـع ••

ـ ليـه طعم الشـاى فى الكباية أحسن من الفنجان ؟
ـ فعـلا ٠٠ ليـه ؟

الجميع يوافقون ٠ ولكن لا أحـد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضـاء القيلولة فى الخيـام ٠ الاحساس بالراحـة بعد العمل المضنى ممتع ٠ هؤلاء المتخمون بالراحـة لا يحسون بهـا ، يمتصـون دمـاء الكادحين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفـة ، ويعقـدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفـون الآلاف على موائـد القمار دون أن يختلج عرق واحـد من عروقهم ٠ حتى عقولهم لا تعمل فقـد استبدلوا بها أموالهم التى يشترون بهـا العقول كمايشترون الأبـدان ٠

يجب ألا ننام قبل أن نقـرأ ٠٠ هذا ما تعودنا عليه ٠ فهـل نسـتطيع القراءة قبل نـوم القيلولة ، وبعـد هذا العمل المضنـى الذى قمنـا بـه منذ فجـر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسـكت بكتاب لاقـرأ فيـه وأنـا ممـدد على سريرى الخشبى ٠ ورغم جفـاف مـادة الكتاب فـان ذهنـى كان يتجاوب معها بشـكل غريب ٠ هـل يمكن أن يكون جسـمى مهـدودا الى هذا الحـد ويظل الذهن متوقـدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخـى ! أحس بأمان الى حـد كبير بعد أقـل من يومين من تواجـدى فى هذا السجن ٠ فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجـل استمرار حياتنـا بالعمـل الجماعى ، فضلا عمـا نلاقيه من معاملة انسـانية من المأمور والضباط ، كـل ذلك أبعـد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنـا** ٠ حتـى لدغـة « **الطريشة** » لـم نعـد نفكر فيهـا كثيرا ٠ بـل لقـد كدنـا ننسى خطرها تماما ٠ حقـا صوت الحيـاة هو الاقـوى ٠ وبقدر ما يرتفـع صوت الحيـاة فى داخل الانسـان بقـدر ما يتوقـد ذهنـه وينشـط حتى ولو كان جسـمه مجهـدا متعبـا مكدودا ٠

اذكر أن عينى لـم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدهـا وقـد دب النشـاط فى جسمى الذى كان متعبـا منذ أقـل من سـاعتين ٠ نـداء العمل ٠ هذا هو أحـد أشـكال صوت الحياة التـى قررنـا ان نبنيهـا بسواعدنـا الفتيـة ٠ كان النداء ٠٠ دقات رتيبـة على جردل مـاء تتوقف لحظـة ٠٠ ثـم تعود مرة أخرى ، ٠ وما أن تتوقف دقات المرة الثالثة حتى تكـون جميـع الزملاء قد انتظموا فى طابـور [illegible] ٠ [illegible] على الشـفاه ، والتحدى يفيض على الوجـوه انسانيه ٠ كنت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسى وأحسه ٠ عاأنذا أراهم أكثر نشـاطا وحيويـة ، وأكثر احساسـا بالأمان ٠ أغلب الظن أن ما دار فى ذهنـى خلال فتـرة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هـذه الورديـة الثانية فى اليوم الثانـى من وجودنـا فى سـجن الواحـات التى تذهـب من أجل جلب الميـاه ٠ خلال سيرنـا وجدنـا الزميل الكهربائـى ومعـه

ملاحظ ماكينه الكهرباء ، و٤ مساجين يعملون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات ٠٠

ـ مفيش ثقه فى كلامى والا أيه ؟ ٠٠

وبرد مادير المديرة .

ـ أبدا ٠ كلنا ثقة ٠ بس من باب الاحتياط ٠٠

ـ على أى حال اطمئن ٠٠ راح تكملوا الشغل على نور الكهرباء ٠٠

عندما تمتلىء نفس الانسان بالثقة يصنع المعجزات ، الثقة فى النفس تمنح الانسان قدرة هائلة على العمل والخلق والابتكار ٠ وهذا الذى أراه يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك ٠ لا أظن أن الذين ألقوا بنا فى هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياة ، كانوا يحسبون أننا سوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكير والتخطيط والتنفيذ ٠

الساعة تقترب من العاشرة مساء والعمل لايزال مستمرا بنفس الحيوية والنشاط ٠٠ ونلمح من بعيد الوردية الثالثة فى طريقها الينا ٠ يصيح صوت :

ـ الوردية الثانية تسلم للوردية الثالثة ٠٠

وترتفع أصوات ٠٠

ـ سنواصل العمل معهم ٠٠

ـ لسه عندنا ما نعطيه ٠٠

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن يتوقف عطاؤكم يا أبناء مصر البررة ومصريا أحبائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخر فوق هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم يا أحبائى لا يعبرون عن وجهها ، فلا تكترثون لما يعملونه ضدكم ٠ مصر الغد ، هى مصر الشعب وسلطته ٠ هى مصر الكادحين والعارقين ٠ انتم مثلى ترونها فى الأفق ، البعيد القريب ، الحلم الأمل ٠ ماهتفوا من الأعماق أن مصر قد أصبحت للشعب ٠

لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت انأمل وجوه زملائى وهم يعملون ولا أعرف أيضا كم من الوقت كانت تأملاتى ستستغرقه ٠٠ فقد جاءنى صوت **وليم اسحق** الذى كان يقف الى جانبى دون أن أحس به ٠٠ يقول :

ـ اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت ٠٠

ـ صحيح يا وليم ٠٠ ياريت ! لكن ايه المناسبة ؟

ـ تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتى ٠٠

ـ دايما أسمع منك الحكاية دى ٠٠

ـ لم أرها بمثل هذه القوة ٠٠ كما رأيتها منذ لحظة ٠٠

ـ ليه بقى ٠٠ ؟

ـ ما كان يدور فى أعماقك جسدته تعبيرات وجهك .. تداخل فيهـا هذا الضوء .. يا دين النبى .. يا عالم فرشـة وألوان .. راح أتجنن وأجـد ذراعاى تحتضنه فى حنان .. والدموع تفـر من عينى وأقـول لـه ..

ـ بس يسمحوا بالطرود .. وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى .

وكالأطفـال يصيح وليـم :

ـ ده آنا أبقى ملك .

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليـم اسحق اسـم « **ملك الصحراء** » صبحنـا ننـاديه « **ياملك** » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم ينـاديه أحـد ذا الاسـم الجديد . وكثيرون حتى بعـد خروجه من السجن لا يعـرفونه باسـم « الملك » .

ينتشر نـور الفجـر ونلمح الوردية الأولى فى البـوم الثالث قادمة الـى قع العمل . أتـربة كثيفـة تثيرها أقدامهم السائرة فى نبـات ، تغطـى سامهم ووجوهم ولكنهـا لا تستطيع أخفـاء تعبيرات اصرارها وتحديها . رتفع الصـوت المألوف ..

ـ الوردية الأولى فى البـوم الثالث تستلم ..

ويصر بعض الزملاء فى الوردية الثانيـة والثالثة فى اليـوم الثـانى ى الاستمرار ، لكن قائـد العمل يرفض بشـدة

ـ ان لأجسامكم عليكم حقـا ..

ـ اسمعنى أنت .

ـ انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ..

ـ مهمـا يكن الأمـر من حقك أن تستريح ..

ـ حسـنا .. ساعود معكم ..

وبعـد أن يسلم قيـادة العمل الى أحـد مساعديه . يسير الجميع فـى ب ومودة . ويدور حوار . يسأله أحـد الزملاء :

ـ أيـه رأيك .. راح نخلص فى الموعد المحـدد ؟

ـ اذا سـار العمل بالمعدل الحـالى .. حنتأخـر يومين .

ـ الآن .. لازم يخلص فى الموعـد المحدد

ـ دى بقى مسألة تتوقف على همتكم

ـ سنضاعف من نشاطنا ..

ـ لازم نبـذل مجهود أكبـر ..

ونصـل الى خيامنا بعد حوالـى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنـا ى **سجن جناح** . نستلقى على الأسرة فى محاولة للنـوم . ولكن يتـوقفه ذهن عن العمل وهنـاك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع . يف يتـم انجـاز هذا العمل فى الموعـد المحدد ؟ .

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخـرى : هل يكفى الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيـد للحافز المعنوى ، أم هنـاك أشكالا أخرى ؟

وفى عمل مثل هذا الذى نقـوم به ألا يمكن أن يكـون الحافز المادى دافعـا للعمل ؟

وفى مثل حالتنـا هذه كيف نحـــدد الحافـــز المـادى ، وما هـى أشكاله ؟

وتستمر المنافسـه أكثـر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هـى : الوعى بخطـه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسـه ، ويمكن أن يكون التنافس بيـن فريق وفريق ، والحافز المعنـوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفـة ، مثـلا : وسـام للفريق الذى ينجز عمـلا أكبـر ، أو شكر وتقـدير يعلن شفاهة بعد انتهـاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكـون أيضـا وفى نفس الوقت حـافزا ماديـا ، مثلا : علبـة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فـرد منـــه .

وأحمل هذه الصياغه الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعـــد مناقشتـة يوافقون عليهـا بحماس ، وعنـد استلام الورديات من بعضهـا البعض فى نهاية كل يـوم يعلن قائـد العمل اسـم الفـريق المتفـوق . أذكـر أن أول فريق تفـوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسـام مصطفـى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد .. بلادى .. بلادى . لك حبى وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبـة سجاير هوليـود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصـوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها ..
- لأ على ثلاث مـرات ..
- برضه ما جاوبتنى على السؤال ..
- لا .. طبعـا .. معقول أشربهـا لوحـدى ؟
- طب هات نفس ..

ويتجمع الزملاء حـول حاملـى السجائر . يختلسـون بضـع دقائـق ويجلسون جماعات .. جماعـات .. ويدخنون بلـذة ومتعـة .. وتختلط الأصوات ..

- انت برضـه راح تولـع ثلث ؟
- أمـال يعنى أولع السيجارة كلهـا ..
- يا أخى دحنـا سـتة .
- نصف سيجارة بس ..
- لا تكفى .. ولع السيجارة كلهـا ..
- وبكره أعمل أيـه .. نفسى أشرب نفسين الصبح ..
- يا أخى اصرف ما فى الجيب .. يأتيك ما فى الغيب .

ــ ده تفكيــر غير علمى يا زميل ··

ــ يا أخى ماتزودهاش ··

ــ يا الله ان شالله ما حد حوش ··

ويعودون الى العمل اكثـر نشاطا وأكثـر حيوية · وكل فريق ينــاضل أجل الحصول على علبــة سجاير وأحـد الأوسمة · وتمـر الأيام سريعا تم انجـاز العمل فى موعـده المحـدد ·

وكـان مشهدا مثيـرا · مشهد **نزول الميـاه من الصنابير فى قلب الصحراء**·

احكى لك عنه يا حبيبتى فى رسالتى المقبلـة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتـــى

كأنما كان الأمـــر اكتشافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل · المـــاء يجرى فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير · يا للسـعادة ! نستطيع منـــذ هذه اللحظـــة أن نفتح الحنفية لينزل منهـــا الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منــــه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها·

هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضـــا ؟

ويـــدور حوار طـــريف :

ـ طبعـــا خضار بس ·· طماطم وخيـــار وجرجير وفجل وفول و · و···

ـ والفـــواكه ؟

ـ بطيخ وشمام ··

ـ وليـــه مش برتقال كمـــــان

ويضج الزملاء بالضحك ·

ـ بتضحكوا ليـــه ؟

مـــرة أخرى يضجون بالضحك · ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سببه الضحك :

ـ انت ناوى تقعـــد فى **السجن** لغـــاية لمـــا يطلع **البرتقال ؟**

ويـــرد الزميل فى غضب ·

ـ خلاص غلطت فى البخارى ؟

كان هذا الزميـــل طيبا الى درجـــة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكـــان حسن النيـــة الى درجـــة أنه يمكن أن يصدق أى كـــلام يقـــال له من زميل · أليس زميـــلا ؟ وكانت لـــه فى نفس الوقت قـــدرات هائلة على خلق صداقات مع أى انســـان يلتقى بـــه فى الحى ، وفى الجامعة حيث كـــان طالبـــا ، وفى الأنـــدية المختلفـــة التى يتـــردد عليهـــا ، وكـــان محبوبا من الجميع يثقون بـــه ثقـــة تامـــة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ··

ويحكى عنـــه الزمـــلاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منـــــه مســـئوله يومـــا أن يجنـــد بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القـــدرة علـــى خلق علاقات وصداقات · وجاءه فى اليـــوم التـــالى مباشرة يـــزف اليــــه خبـــر تجنيـــده أحـــد الفلاحين · واندهش مسئوله ·· بهذه السرعة ســـافر الزميل الى بلدته وعـــاد منهـــا بعـــد أن جنـــد فلاحـــا ؟ فسأله :

ـ لحقت تسـافر البلد ونرجع ؟
ـ مدن مال انني سـافرت
ـ أمـال الفلاح ده منين ..
ـ طالا بقى كليـه الطب « جامعة فؤاد »
وضحك المسئول وقـال :
ـ بأمول لك فلاح مش طالب ..
فـرد عليـه ببـراءة شديدة :
ـ طيب ما هو طالب فـلاح ..

والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا القـدر من حسن النيـة ، والطيبة. يملك فى نفس الوقت دهاءا يفـوق دهـاء الثعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكـرة قادرة على حفظ أى شيء يمر بهـا ! كنـا نكلمـه بأخطـر التكليفـات داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله منا والواردة الينـا . كمـا كنـا نستعين بذاكـرته عندما نحتاج الى نص محدد من مرجع محـدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مـرت عليـه يعيـد ذكرهـا بمنتهى الدقه ، كنت أحبه كابن أكثر ممـا كنت أحبه كزميـل . ليس فقط لصغر سنه فقـد كـان هنـاك زمـلاء فى مثـل عمـره .وكـان هو أيضـا يلجـأ الى لا بوصفى زميلا لـه أو مسئولا ، ولكن باحساس الابن .

المحـه مستمرا فى الحوار ولكن لا أسمعه . يجرى نحوى وعلى وجهـه غضب ، ويقـول .
ـ أظن ده بقى يبقى منتهى الرفاهيـة .
ـ أيه هـوه ؟
يشيـر الى أحـد الزمـلاء ، ويقـول :
ـ عاوز يزرع ورد وزهور
ـ ورود وزهور بس ؟
تزول بعض تعبيـرات الغضب من وجهه :
ـ لا طبعـا . والخضار كمـان
ـ يبقى أيـه المشـكلة ؟
ـ المشكله ان احنا نستفيد من الأرض والمـ...وس فى زرع خضار علشـان الأكل وبس ..
ـ طبعـا الأولوية للخضار ..
ـ ما كفـاية الخضار .. أيه لزوم الورد ..
ـ برضه .. مفيـد ..
ـ مفيـد فى أيـه .. بيتاكل ..
ـ لا له فوايـد أخـرى .. متعـة جماليـة مثل الموسيقى مثلا .
ـ بس بشرط ..

ـ مفهوم ٠٠ بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضـار ٠٠ موافق ؟

ويبتسم فى هدوء ٠٠ ويعلن موافقته ٠٠ والطريف ان هذا الزمبل كـان أول من قـام بزرع ورد وأزهار أمـام الخيمـة التى يسكن فيهـا ٠ وكـان يقف لحراستها طول وقت فراغه ، ويعهـد بها الى زمبل آخـر عندمـا يكون مشغولا فى عمل بعيـد عنها نظيـر وردة يعطيها لـه ٠

الحركة لاتهـدأ عنـد صنابيـر الميـاه التى أتينـا بهـا عبر الصحـراء ٠ البعض يملأوون الجرادل ويذهبون بهـا الى المطبخ ، وآخرون الى المخبـز ، وبعضهم يستحم فى الهواء الطلق ، فالعمل فى الحمامات لـم يبـدأ بعـد فما زلنـا فى انتظـار الخزانات وطلمبـات الميـاه التى وعدنا بهـا المأمـور وقـد سافر خصيصا من أجل احضارها هى ولوازم أخـرى ٠ فجأة نسـمع أصوات بعيـدة تـردد نسدد : بلادى ٠ بلادى ٠ الصوت يقتـرب ، موكب من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زمـلاء يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشـياء كبيـرة لا نتبين منهـا سـوى الصهاريج ٠

ـ ادن محمـد نفـذ المأمور ما وعد بـه ٠٠

ـ ومن هؤلاء الزملاء ٠٠ ؟

ـ أحكام جديدة بالأشغال الشـاقة ؟

ـ ربما ولكن من ٠٠ ؟

يصرخ أحـد الزمـلاء ٠٠

ـ دول الزملاء اللى فى سجن مصر ٠٠

ـ لكن دى أحكامهم سجن بس ٠٠

ـ لازم راح يلمونا كلنـا على بعض ٠

ـ دى تبقى مخالفـه صريحة للقانون ٠

ـ قانون أيـه اللى أنت جاى تقول عليـه ٠ ؟

تقف العربات عند باب السجن ٠ يجرى اليها الزملاء يستقبلون زملاءهـم بعـد فـراق سنوات ٠ مأمور السجن وضباطه وجنوده يشاهدون هـذا المشهـد الانسانى فى صمت ٠

قـوة اللحظـة وعمق انسانيتها يمكن أن تحـرك الجانب الانسانى حتى عنـد أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحـوا شـبه أصدقاء لنـا ٠

بصـوت ودود يقـول المأمور :

ـ انتو بقى مبسوطين بحضور زمايلـكم ٠٠ والا بالصهاريج دى ٠٠

ويصيح الزمـلاء فى وقت واحـد :

ـ الاتنين طبعـا ٠٠

ـ الخير على قدوم الواردين ٠٠ جبت لكم كميـات هائلة من الطـزود ٠٠

وللتأكـد يسألون :

ـ طـرود أيــــه ٠٠

ـ طرود من أهاليكم ٠ ،

ـ هايل « لازمــة مجدى فهمى »

ـ عظيم « لازمة زكى مـــراد »

ـ مدهش « لازمة صلاح حافظ »

ـ آهو ده الشغل « لازمة ملك الصحراء »

ـ رائــع « لازمــة محمد شـطا »

ـ تمـــام « لازمة سعد باسيلى »

لـم تهـدأ حــركة الاهالى منــذ غادرنا **ليمـان طـره الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة** ٠ كانوا يترددون يوميـا على **مصلحة السجون والمباحث العــامة ورئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنيــة والعماليــة** ، كتبـوا مذكرات لكل المسئولين فى الدوله ، ووزعوا بشكل علنى بيــانا علــى الشعب عن ترحيلنـا المفاجىء الى مكان مــا **فى الصحراء** ، ورغم الوعـــود التى أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزياره لزوجة أحـد المسجونين ، فما زالوا ممنوعون من الزيارة ٠ والطرود والخطابات لـم يصرح بهـــا ٠ وبحمل البيــان فى ختامه مسئوليــه المؤامـره التى تدبـر ضدنا ٠ ولمــا وجـد الأهالــى تباطؤا فى تحقيق مطالبهم دخل عــدد منهم مصلحون السجون وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجـاب مطالبهم أو **الموت** مع ذويهم الملقى بهم فى **الصحـراء** ٠ عرفنــا هذا من الزمــلاء الذين أتوا الينــا من سجن مصر ٠

ونحن نشكر **مأمور السجن** على جهوده التى كللت بالنجاح فى مصلحــة السجون ، يقــول بتواضع ٠

ـ الشكر لأهالكم ٠٠ دول حقيقى أبطال ٠٠ همه اللى خلوا المسئولين يقتنعوا بمطالبكم ٠ كل الى عملته أنى وقفت الى جانب هذه المطالب ٠

ويتجـه المأمور الى داخل السجن ويــرى هتافات المساجين ٠ فيصيح فرحا٠

ـ [illegible] ٠٠ والله أبطــال

ـ [illegible] ٠٠ والطلمبـــا[illegible] فى موعد

ـ طيب بالله بقى علشـــان تستلموا الطرود

بعض الزملاء يمشى فى ثبــات نحو مكتب المامور ، فهـم يثقـون بـــأن لهم طرودا ٠٠ والبعض الآخــر يقـدم رجـلا ويؤخر رجـلا ، تــرى هـل عندهم فائض كى يرسلوا طــردا ؟ ٠ وباقى الزمــلاء لم يكلف نفســه عنــاء الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليــه باحتياجاته ؟٠

ومع أن نظــام « **الحيــاة العــامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء مــن طعام وسجاير ونقود ويوزعهــا على الجميع بالتساوى ، لا فرق بين الزميل

المقتـدر وبين الزميل المعـدم ، الا أن مجـرد وصول أى شيء مهمـا صغرت قيمته للمسجون يرفع معنوياته الى حـد لا يمكن تصوره · مـرات كثيرة رأيت فيهـا زمـلاء لم تصلهم طـرودا أو نقـودا ، فى عيونهم حزن وأسى · لانستطيع ابتساماتهم المفتعلة أن تخفيهـا · ربمـا كنت أكثـر احساسا من غيرى بهؤلاء الزمـلاء · فقـد كنت ـ فى أغلب الأحيان ـ واحدا منهم ·

كان الضابط ينـادى على أسـماء أصحاب الطرود ، بينمـا كنت أضـع يـدى على قلبى · خوفا على نفسى ، وعلى عـدد من الزملاء أعرفهم جميعـا· هذه أول مـرة يرسل لنا فيها الاهالى طـرودا · والذى لا يصله طـرد فى هذه المـرة بالذات سـوف يأخذ عقله ويعطى ، تـرى هل أصابهم مكـروه ؟ هل يئسوا من عودته فقـرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لـم تمكنهم من ارسال حتى علبه سجاير ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيـد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحتويات أيضا مختلفة، فى بعضها « **مارون جلاسيه** » وفى بعضها الآخر « **حرنكش** » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلاوة مصنوعة من بقايا العسل الأسود ، و «المارون جلاسيه » ـ كما أظن ـ أبو فـــروه مكســـــوة بالشكولاتــه !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثنـاء اسماءهم ·

حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة · الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بهـا الى مسئول « **الحياة العـامة** » ·· ليتولى مصادرتها لصالح الجميـع بالمساواة الكاملة · وكان يوما مشهودا ، كان موعد الغذاء قـد حـل · وحين سمع الزمـلاء دقـات نـداء الغـذاء المعتـادة ذهبـوا اليـــه متكاسلين ، متباطئين ·· يأخذون نصيبهم من الطبيخ والأرز واللحم · حين لا يسـمع الزميل أحمد خضر التحيـات والتقديرات المعتـادة لطبيخه ، يصيح بصوته المرسـع :

ـ أيــه يا زملا ·· بطاطس ولحمـة ورز ·· مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح · بل ولا ردا على سؤاله ·

ـ أطبخ لكم بفتيك ·· مبلبه ·· لحم بارد ؟

ثـم يصرخ بغضب ··

ـ شىء بارد صحيح ··

ويجـرى حوار طـريف :

ـ يا أحمد وأنت مالك بس

ـ أمال مين اللى ماله ·· مش أنا مسئول الطبخ ؟

ـ وحد قالك حاجة

ـ أمال مالكو متيسين لـيه ؟ ·

ـ يا أخى افهم بقى ..
ـ أفهم أيـه ؟
ـ فيـه طرود وصلت النهاردة ..
ـ وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
ـ طبعـا .. واستلمناه ..
ـ طيب أعرف فيـه أيـه ؟
ـ روح لمسئول الحياة العـامة .

ويجـرى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركـا جرادل الطبيخ والأرز واللحمـة ، والمغرفة ما زالت فى يـده ليعـرف ماذا أرسل اليه أهله !

وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان .

ـ تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .

ـ طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .

ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعـه ثلاث زمـلاء ، ويحمل الأربعـة غطيان جرادل » وعليها ما لذ وطاب مما أرسله الأهالـى فى طرود اليـوم

ـ بفتيك .. !
ـ فيليـــه ..
ـ فـــراخ ..
ـ ديك رومى مـرة واحـدة .
ـ والله عمرى ما كلته ..
ـ والفيليـه دى لحمه مشوية ولا محمرة ؟
ـ مشوية يا بنى آدم ..
ـ اتمدنوا بقى ..
ـ والبفتيك بالردة والا بالدقيق ..
ـ يا جدع بالبقسماط المجروش ..
ـ والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..

ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :

ـ يازملا انتو بتفكروا بطريقـة آنيـة . استراتيجيا بقى أنـا اللـى اكسب . [illegible] ذكروا أن الطرود [illegible] وكمـان [illegible] تيجـى كل [illegible] محتوياتها دى . [illegible] مـرة يبعت [illegible] الأهـالى طرود بعد ما جينـا هنـا فى الصحراء . [illegible] طبيعى أنـه ...

وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :

ـ تك ، تك تك ... تك ، تك ، تك ..

ويستطرد أحمد خضر :

ـ أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابـة لمـا كنت

الخطب •• ويقاطع مـرة أخرى :

ـ تك ، تك ، نك •• تك ، تك ، تك ••

ـ النفابيون الصفر •• كانوا بيقاطعونـــى زيكو كـــده ••

ومـرة ثالثـــة :

ـ تك ، نك ، تك ••• تك ، تك ، تك ••

ويقـول مسئول الحيـاة العامة :

ـ يا أحمد دول منى بيقاطعوك ولا حاجة ••

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

ـ ازاى بقى منى بيقاطعونى •• انا احتج •• أيه رأيكو يازملا ؟

ومـرة رابعـــة :

ـ تك ، تك ، تك ••• نك ، تك ، تك ، تك ••

ويخرج مسئول الحياه العامة . مـرة ثانيـة ، يتبعـه ثلاث زمــلاء • يحملون الفاكهـــة .

ـ تفـــاح

ـ منجــة

ـبرقــوق ••

ـ والله الحبسه أحلوت

ـ نعمة يصونها من الزوال • •

ـ اللهم ما أجعله خير •• عينى بتـرف ••

وترتفع أصوات بعض الزملاء •• عينى بتـرف يا حبة عينى، باللى حرمت النـوم من عينى • خير ان شـاء الله • والله ما كان على بالى دا كله •

وبينمـا يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقرواناتهم لأول مـرة من الحنفيـات ودون مشاكل مع **أحمد خضر** مسئول الطبيخ يعلو صوت يقـول :

ـ خبر هام يا زملا •• كل واحـد بستنى مكانه ••

ويعلن مسئول الحياة العامة .

ـ ابتداء من اليـوم •• فيـه نسـاى زيـادة الساعة خمسة •

ـ فايف أو كلك تى •• يا عنى ولســه •

وينصرف الجميع الى خنمهم لقضـاء قيلولة الظهيرة • واستلقى علـى سريرى الخشبى • كنت حزينـا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقـا لسبب لا أدرى مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن •

وكانت وقفـه تأمل مع النفس •• تستحق أن أخصص لهـا رســالتى المقبلة ، فالى اللقـاء يا حبيبتـى ،،

٥ يوليـو ١٩٧٧

القاهـرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتـــى

مى بعض الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوت أقوى من كل الأصـوات بالحاح ، قف لحظـه تأمل مع نفسك ٠ ولقـد شهدت سنوات عمرى منــذ شبابى عـددا من هذه اللحظـات التى أحدثت كلهـا انعطافا حاسـما فـى حياتى على المستويين العـام والخاص ٠ قبل أن أدخل السجن ، وخلاله ، وبعـد خروجى منــه ، كانت اللحظـة التى حدثتك عنهـا فى رسالتى السابقة واحـدة منهـا ٠ « أرى فى عينيك الرغبـة فى حديث عن كل تلك اللحظات » أعـدك فى رسـائل مقبلة ، ودعينى أحدثك عن هذه اللحظـة بالذات ، لحظة ذهابى لقضـاء قيلولة ذلك اليـوم الذى شهد استلامنا جميعـا طرود طعـام وسجاير وحلوى وفاكهة من أهالينـا ٠

قبل أن نستلقى على أسرتنـا الخشبية ، وفى حركة تلقائيـة ، أخـذنا جميعـا نتأمل بفرح الملابس التى وصلتنـا مى الطرود ، وتوالى التعليقات:

« **مجدى فهمى** — أمى هية اللى فصلت لى البيجامة دى ٠

— وعرفت ازاى يا مجدى ؟

— ودى محتاجة لذكاء ٠٠

يضحك بحب وحنان ويستطرد :

— شـوف واسعة ازاى ٠٠

« **سعد باسيلى** » — شوف بيجامتى ٠٠ آخـر تمـام

— طبعـا شغل معلمين ٠٠

— دى تخصص يا أستاذ ٠٠

« فننـة أخت سعد باسيلى اضطرتها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف الخياطـــة »

« مصطفى كمال خليل » — والله ساطره مراتى عملية جدا ٠٠ شوف [illegible] سجن مهور ؟

— أنا اللى نفسهـا اراى نفصل الهدوم ٠٠

— لك حق ما انت بتـاع كلـه ٠

ويستمر الحوار ، لم يكن حوارا بين الزملاء ، وانمـا كـان حوار بينهـم وبين أهاليهم ٠ وأدرك سبب النـداء الذى يلح فى داخلى ٠ قف مع نفسك لحظـة تأمل ٠ الحوار مع الحيـاة يجرى من خـلال قنوات عديدة ومتنـوعة،

عامـــة وخاصة ، ومع أنــه لا انفصـال بين العـام والخاص ٠٠ الا اننـى كنت فى حاجة ملحـة لحوار من خـلال قنـاة خاصة جـدا ٠ هذا الحـوار الخاص الذى يجرى تلقائيـا منذ لحظـات بين الزملاء ، وبين أهاليهـم يؤكد هذه الحقيقـة لكننى أحاور من ؟ لو ان زوجتـى « ميمـى » هـى التـى أرسلت لى هـذه البيجامة ـ وان كـانت جاهـزة ـ لخلفت بعض كلمـات للحوار ٠ أخى مسعد ـ رحمه الله ـ هو الذى أرسلها وليست « ميمـى » ، فهو لـم يكتب لـى شيئا عنها وعن أخبارها ٠٠ الحوار مع أخى مسـعد متصل ولكنـه حوار عـام وأنا فى حاجة الى حوار خاص ٠٠ خاص جـدا ٠ لو كانت أمى ما زالت على قيـد الحيـاة ، لظل حوارنا متصـلا متجددا ٠ ماتت فى النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعي ، وكانت كلماتها الأخيـرة لـى « خـد بالك من مسعد » ما زلت اتذكـر حوارا قصيرا معهـا بالكلمة والحرف، كنت من وجهـة نظـرها أحسن أخوتى « حنين » مالوش مطالب ٠ لا يحب المشاكل ، لكنهـا كانت تعجب لأمـرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطـر ٠ قالت لى فى حنـان ٠

ـ هو انتو يا ابنى ضـد الحكومة والانجليز ؟

ـ ضـدها وأكتـر كمـان ٠

ـ ازاى يا ابنى ٠٠ دا انتـو غـلابة ؟

ـ ما هو سعد زغلول « باشـا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلـد

ـ يعنى انت يا ابنى راح تبقى زى سعد باشـا ٠٠

أضمها بين ذراعى وأقول لهـا بابتسامة :

ـ وليـــه لا ٠٠ ؟

وتقبلنى بكل حنـان الأم ، وتقـول :

ـ ربنـا ينصركم يا ابنـى ٠

وأختى الوحيدة ـ رحمها الله ـ هى التى بتـرت بسكين حـاد حـوارا كـان بيننـا حين طلبت منى أن أخرج بأى ثمن حتى تشفى من مرضهـا ٠ فقـد قال لهـا الأطباء أن مرضها حدث نتيجـة صدمة اعتقالى ، وخـروجى سيحدث لهـا صدمة أخرى تشفيها من المـرض ٠

لا أستطيع أن أتصور يا حبيبتى المدى العميق ، الغنى ، المتجدد لحـوارنا المتصل لو أنـا التقينـا قبل ١٨ يوليو عـام ١٩٥٢ ، ولو بيـوم واحـد٠ أو لحظـه واحـدة ، ربما كـان لقاؤنا القصير هذا نـواة لتجربة حب عظيمة ، وربمـا كـان بداية لصداقة وطيـدة ، لكنك يا حبيبتى كنت مـا تزالين « فى المهـد صبيـة » !

أحيانا ٠٠ وخـلال مسيرة النضال الطويلة مع مجدى فهمى ، كنت أعجز أحيانا عن رؤيـة العالم بوضوح ، وكـان مجدى يقـول :

ـ أنت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية ٠

ـ لماذا ؟

ـ قدراتك على الابداع والخلق تتضاعف عشرت المرات من خلال علاقة خاصة جدا ·

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التى سمعتها من **مجدى فهمى** مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما · عرفت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط · أنت قاسية يا حبيبتى ·· لماذا تم دات الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتى النفسية فى تلك اللحظة البعيدة التى عشتها فى قلب الصحراء منذ ما يقرب من العشرين عاما . هو اننى لم نعد لدى علاقة خاصة ، أمى ماتت ، واختى بترت حوارنا ، وروجتى « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها · هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة · وليس لى صديقة أو حبيبة · حتى أخوتى ـ عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد ـ انصرفوا جميعا عنى · وكان يمكن أن أجسد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفا برطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه ·

لم بعد هناك أى مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مقوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، لايمكن أن تستمر، وبالتالى يجب الا نصر عليها ، ما دامت قد فقدت مقومات بقاءها ، واستمرارها · وأحسست بهدوء نفسى بعد اتخاذ هذا القرار ·

الأصدقاء القريبون منى ، وكل من تربطنى بهم علاقة خاصة يرون ان تعبيرات وجهى تكشف بوضوح عما يدور بداخلى ، ويبدو أن مجدى فهمى وكان مستلقيا على سريره بجوارى يتابع فى صمت انفعالاتى الداخلية التى يعكسها وجهى · قال وابتسامه ودودة تكسو وجهه :

ـ عاوزين نقعد قعده النهاردة

ـ انا محتاج قوى لهذه القعدة

ـ ياريتك تكون ما اتخذتش قرار

ـ حتى لو حصل ·· ممكن التراجع عنه بعد المناقشة ·· انت مش عارف الحكاية دى يا مجدى ؟

ولا نستغرق حديثنا أكثر من نصف ساعة لننتهى الى القرار نفسه · لكن الحديث ... ذلك تطرق حتى ... الحوار المتصل هو جوهر كل العلاقات ... هذا الحوار على أسس انسانيه مشتركة بقدر ما تنمو وتتطور · وسوقنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التى لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات · ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانسانى المشترك ·

واليــوم ـ بعـد أكثـر من **٢٦ عامـا** ـ منـذ التقيت **بمجدى فهمى** نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليــه صداقة ٠ انهـا تجــربة عظيمة تستحق أن تسجل فى عمل كبير ، فأبعادها العميقة فى نفسينا التى اكتسبتها ليس فقط من خــلال الاتفــاق الفكــرى والوجدانى ، والنظــرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضـا من خــلال صمودها لمحاولات لم تتوقف ـ وللأسف من زملاء ـ لضربها أو النيــل منهـا ٠ محاولات وصل بعضهـا الى درجـة من التدنى تقشعر لهـا الابدان ٠ وعبنا راحت كل محــاولات الأصدقاء ، والأعداء لتنــال من صداقتنا الوطيدة ٠ ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجـربة حيــة ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكــر بذهن صــاف ، وأن يخلق ويبـدع ويبتـكر ٠

وننصرف سـويا وقـد تشابكت ايدينـا نـردد فى صمت قسم المحافظة على تجربتنـا الفـريدة كمـا نحافظ على حبات عيوننـا ٠ وفى الصبــاح نفاجأ بجلسـة انسانية رائعـة مـع **أم مجدى فهمى وأخت سعد باسيلى** ، أحكى لك عنهـا فى الرســالة المقبلة ٠ باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتــى

كان لوقفتــى مع نفسى ثم حوارى مع **مجدى فهمى** أثرهما العميق فــى وجدانى · لقــد نفضت عن نفسى أوهام علاقات زوجيــة وعائلية كنت متعلقا بهــا سنوات طويلة منــذ دخلت السجن · وبــدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتى الانسانية خــلال سنوات سجنى · حقــا لقــد كانت علاقاتى بكــل من التقيت بــه من الزمــلاء ، وعــدد كبير من الاخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تتسم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تــكون البديــل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم . أو الأخت . أو الزوجة ، ربمــا كــانت العلاقات الزوجيــة أو علاقة الــدم مع المرأة هى أكثــر العلاقات الانســانية التى يجــد فيهــا الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان · ولكــن اذا توفــرت كل الظروف التى توفرها مثل هذه العلاقات عنــد أم صــديق ، أو زوجته ، أو أخته . ألا يمكن أن تكــون بديــلا لعلاقة الزواج أو الــدم ؟

كان هذا السؤال يلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظــرية التى تقــول : نعــم ·· يمكن · فما العلاقات الانسانية بجوانبها المختلفــة الا توافق عاطفى ووجدانى ، تجسده الظروف الموضوعية المناسبة ·

وتشاء الصدمة ــ وكثيرة هى الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هامــا ــ أن تعطينى الاجابة العملية المؤيــدة للفكرة النظــرية ·

كانت الساعة لاتتجاوز الثانيــة عشر ظهر يوم بعيــد فى **سجن «جناح» بالواحات الخارجة** · عــربة تقف على باب السجن الخارجى · ومن بعيــد نلمح **ثلاث سيدات ينزلن** من العــربة · **نساء فى قلب الصحراء** ؟ من هن ؟ وكيف وصلن الى هنــا ، ويجرى الزملاء الى هنــاك · جريت بعدهم بقليل ، لأجــد نفسى بين أحضان **أم مجدى فهمى** ، تقبلنى بحنان بالغ · حنــان **الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيــده · ثــم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى** ثــم شقيقة **سعد باسيلى** · ويصيح مجدى فهمى ··

ــ هايله يا أمى ازاى عرفتى تيجى ؟

وتقول بثبــات وثقــة :

ــ وانت ازاى جيت ؟

ويلتفت مجدى الى زوجة اخيه :

ــ مدهشة يا « بــدرية » وصلتوا ازاى ؟

وتحتضنه (بدربه) بحنان كبير ..
ـ زى ما وصلت انت ..
والتفت الى فتنــه ـ أخت سعد باسيلى ـ
ـ حمد الله على السلامة يا « فتنــة » .. ازى سكرى .. (شقيق سعد باسيلى)
وأرى دموعــا فى عينيها وتقــول :
ـ شكرى فى سجن مصر .
ـ من امتــى ؟
ـ بقــاله شهرين ..
لم يكن شكرى أى علاقة بالتنظيم . وكــان من العناصر التى يطلق عليهــا لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلى قبل دخوله السجن . فما الذى حدث لــه ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويقطع صوت « فتنه » تأملاتى:
ـ شكرى موجود فى مستشفى السجن .
ـ ليــــه ؟
ـ حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لمــا جه البوليس ، انكسرت رجله..
ـ ومسكوه فى الحــال طبعــا ؟
ـ أبداً فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه .
ـ ولا يهمك يا فتنــه ..

وتلتفت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليهــا ويتحدثون معهــا وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :
ـ فين سعد يازملا هو ما عرفش والا ايــه ؟

وألمحــه من بعيــد يأتى الينــا على مهل . كان **سعد باسيلى** يمثل لنــــا مشكلة **بالغة التعقيــد** . من رأيــه أنه لا مكان للعواطف الانسانيه فــى نفس المناضل،فهىنقيض الصفات الأساسية التىيجب أن تتوفرعندكل المناضلين والغريب أنــه هو نفســه يحمل فى داخله كــل كنــوز الانســــان العاطفيــة والوجدانية ، ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لابرازهــا . عندما كان وجهه ـ الناصع البياض ـ يجرى فيــه الـدم ويصبح شـديد الحمرة ، نعــرف أن معــركة ضارية تجــرى فى أعماقه . كانت عواطفــــه تنتصر دائمــا ، ولكنــه لا يعترف ابدا بلسانه . كــان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخــر . وجسد لقاؤه بأخته التى عانت من مشــقة طــريق قطعته فى **٤٨ ســاعة** ، والتى بذلت جهــدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى ألقوا بــه فى الصحراء منذ أكثر من شــهر ـ جسد صورته بشكل واضح . رأته من بعيــد يسير نحوها فى خطـــوات منتظمة ـ لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى بــه داخل السجن .

ـ أهــلا يا فتنــه حمدلله على السلامة ··

يــده ممدوده للسلام عليهــا بطريقة تقليدية تماما · وعبثا تروح كــل محاولات ســفيفته للحصول على قبله منه · كانت حمره وجهــه تزداد عند كل محاوله تقوم بهــا المسكينه لاحتضانه وتقبيله · صاح الزملاء الذين كانوا يراقبون هذا المشهد ، وهم يصفقون بأيديهم ··

ـ سعد باسيلي ·· سعد باسيلي ·· أعينى معاك وأطلع من دينى ·· يا سعد باسيلي ·· يا سعد باسيلي ··

كان نشيدا كتب كلماته الساخره **عبد الرحمن الخميسى** ، ولهذا النشيــد قصــة طــريفة ·

ذات يــوم عــام **١٩٥٣ فى سجن مصر** كــان عبد الرحمن الخميسى ينتظر زيارة زوجته لــه ـ لا أذكــر ترتيبهــا فى قائمه زوجاته ـ لكنهــا لم تحضر · وكــان حزن الخميسى ـ ربما لطبيعته كفنان ـ بالغــا الى الحــد الذى جعلنى اقترح عليه أن يتضى الليلة فى زنزانتــي ومعنــا ثلاثه مــن الزمـــلاء بينهم سعد باسيلي والزميلان الآخران **كانا سعد زهران ومجدى فهمى** ·

وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعــداد لعشاء شهى من السمك واللحم والمحسى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران، قال الخميسى بحسرة وألــم :

ـ كــان نفسى فى السمك اللى بتعمله مراتى ··

ويبتســم سعد زهران بانسانية ويقــول ··

ـ معلهش يا عبد الرحمن ·· ده سمك كودس بنعمله ســمبعه ··

ويــرد الخميسى :

ـ لأده كان السمك اللى جابتلى من بور ســعيد ·· طازج ··

ويتدخل سعد باسيلي :

ـ أيــه يعنى الفــرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد

ـ لا فيــه فــرق طبعا يا ســـعد ··

ويقول سعد باسيلي بامتعاض · ·

ـ أيوا ·· كل الحكاية ان الخميسى عاوز ياكل من سمك مــراته ··

ويصبح الخميسى بصوته الجهورى ··

ـ أيــوه يا سعد ·· السمك اللى بتعمله مراتى لــه طعم خاص ·

ويــرد عليه سعد بثبـــات :

ـ طعم خاص عندك انت بس ·

ويعلو صــوت الخميسى :

ـ طبعا عندى بس ·· أمــال عند الجماهير كلهــا !

ويشعر سعد باسيلي بان « **الجماهير** » قــد أهينت فيهب للدفاع عنها !

ـ بس ماليكش دعــوة بالجماهيــر ··

ويحتد صوت الخميسى :

ـ هو أنت يا أخى وصى عليها ..

كنت أنا وسعد زهران ومجدى فهمى ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسم بين الحين والحين . التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

ـ الله انتوا واقفين على الحياد .. اشتركوا معانا فى المناقشة .

أوجه حديثى لسعد زهران .

ـ أيه يا سعد ما تقول رأيك

يرد ضاحكا ..

ـ لأ ياعم قول أنت .. أنا خايف ..

وأقول لمجدى فهمى ..

ـ طيب اتكلم انت يا مجدى ..

ويضحك قائلا ..

ـ انت عارف .. أنا مش فدائى ..

ويلتفت الى الخميسى ويتساءل ..

ـ أيه الحكاية .. طيب قول أنت .

وأقول ضاحكا ..

ـ وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، ويشاركنا سعد باسيلى الضحك لكن نظراته تنطق بأننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم . ونبدأ فى تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « المفضفضة » حول أكلة شهية صنعتها أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم ارهابه ، بين الحين والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

ـ ايه رأيك بادرش فى السمك ده ..

ـ سميعة ساطرة فى عمل السمك ..

ـ بذمتك مش أحسن من سمك اسكندريه ؟

ويصيح سعد باسيلى ..

ـ أبوه كده اكشفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا اسكندرية علشان تاكلوا سمك .

بمسكنة يقول سعد زهران :

ـ وفيها أيه يا سعد ؟

ويرد سعد باسيلى ..

ـ طبعا فى ابو قير .. مش كده ؟

وأقول :

ـ أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « **خالـد** »

ويعلق بسخرية :

- يا عيني يا عيني على القيادة ..

يسقط في ايدينا . ولا نعلق . وننتهي من تناول العشاء وقد فقدنا جزءا أساسيا من لذته ، لحدة الحديث عن الذين صنعوه ، ثم جاءوا به الينا في السجن .

يقوم **سعد باسيلي** باعداد الشاى بينما ينصرف **عبدالرحمن الخميسي** للكتابة ، وأنصرف أنا **وسعد زهران ومجدى** لحديث هامس عن الزيارة حتى لا يسمعنا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول الشاى يبدأ عبد الرحمن الخميسي في قراءة قصيدة مطلعها :

انى انتظرت صبيحة الاثنين

أن تحضرى لزيارتى باعينى

لكن مضى يومى ولم يخرجنى

من قبضة الزنزانة السجان

سادنا الصمت احتراما للمعانى الانسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل في زوجته ، بينما يتلمظ سعد باسيلي غيظا ، يقاوم بعنف كلمات على لسانه ، وما أن ينتهي الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر سعد باسيلي .

- نفى دى .. روح مناضل ..

ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..

- سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيش معاك وأطلع من دينى يا سعد باسيلي ياسعد باسيلي .

وينظر هو الينا في اشفاق وحسرة على « مناضلين آخر الزمن » **ولاد الكلاب المثقفين** » !!

ولقد كانت شخصية سعد باسيلي محل حوار ومناقشة بيننا في مناسبات مختلفة ، وكنا دائما نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع الا أن تحترم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته من أجل ما يؤمن به . لكنه يقوم بكل هذا اليكترونيا ، على الرغم من تكوينه الداخلى الانسانى .

ربما كانت في حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟

هذا ما كان يرجحه **الدكتور فؤاد مرسى** عندما كنا نناقش هذه المشكلة عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأى علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه من المراه يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما . كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسى **تقدمى وبين رأى رجعى في المرأة ؟** ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

وأعـــود بك يا حبيبتي الى أول زيـارة لنـا في **الواحـــات الخارجـــة** ٠ والـدة **مجدي فهمي وبدريه زوجـة أخيه مصطفى ، وفتنـه أخت سـعد باسيلي** يحيط بهما الزملاء ٠ كـل زميل بريـد أن بعرف أخبـار أهـــله وذويه ، وكانت الزائرات بملكن حصيله هائلة من أخبـار العائـــلات ، فهذه خطابات ، وهذه طرود جئن بهـــا ٠ وهذه مشاكل مطلوب حلهـا كلمت والـدة مجدي فهمي بمنافستها مع أصحابها ٠ تقول لمجدي :

ـ يـا مجدي عاوزه فـلان وفلان و ٠٠

ـ ليـه يا والدتـي ؟

ـ وأنت مالك ٠٠ عاوزه اتكلم معاهـــم ٠

ـ أيه يعني يا أمـي ٠ ٠ أسرار ٠

ـ أيـوه أسرار ٠

وينادي **مجدي فهمي** على الزملاء المطلوبين ، وتنتحـي الأم جانبــا بكـل زميـل ويتهامسـان ، حتى كـاد النهـار أن ينصرم ٠ ويقول مجدي ضاحكا ٠٠

ـ وأنا يا أمـي متى راح ييجـي على الدور ؟

ـ بكـره كله علشـانك ٠ ٠

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيـارة سـجن ٠ وكيف كان ذلك ؟ فـي السـجون الأخرى تتـم الزيـارة بطريقتين ٠ الأولـى يطلق عليهـا اسـم الزيـارة العاديـة ، وهي تتـم من خلال حائطين من الأسـلاك يفصـل بينهما متران على الأقل ٠ يقف الزوار في جانب ، والمسجون على الجانب الأخـر ٠ وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الـى حـد كنـا نعجز معه عن معرفة أي شيء ٠٠ ازيك كويس ، شـد حيلك ، مع السلامة ، أربع كلمات لا يسـتطيع المسـجون أو الزائـر أن يلتقطهـا ٠ والطريقة الأخـرى وهـي مـا يطلـق عليهـا زيـادة خاصـة وهي عـادة لا تزيـد عن نصف سـاعة يجلس خلالهـا المسجون على كرسـي والزوار على كراسـي أخرى في حجرة الضابط النوبتجي وبحضـور أحـد السجانة ٠ لكـن هـذه الزيـارة كانت شيئا غير عـادي ٠ فهي ليست فقط زيـارة خاصـة حـدودها لا تزيـد عن نصف سـاعة بين المسـجون وأهـله ، وانما هـي زيـارة أي فرد من أهالينـا لنـا كلنـا وعلى امتـداد يومين كاملين ٠ والواقـع أن الفضـل يعود الى مأمور السجن « ٠٠٠ » ، فلقـد فوجـئ الرجـل كمـا فوجئنـا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيـارة خاصـة ٠ وكان مـن المسـتحيل أن تجرى هذه الزيـارة الخاصة بالطريقـة التقليدية ، فليس من المعقول أن يقطعن آلاف الأميـال من أجل قضـاء نصف سـاعة في غرفـة مغلقـة في قلب الصحراء ، وفي حراسـة ضابط وسـجان ! لقـد أدرك الرجل منذ أول لحظـة اسـتحالة ان تتـم الزيارة بالطريقـة التقليدية ٠ ومنـذ البدايـة سـلم بذلك عندما تناقشـنا معه ، ليس فقط نتيجـة لاقتناعـه

الشخصى ، وانما تسليما بالأمر الواقع • فكل الزملاء ـ الذين لا يمكن حبسهم فى خيام ـ قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول اقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء فى اقامه خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثانى ـ مدة الزيارة ـ قال المأمور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة • •

ـ اذن من حقك تحديد مدتها • •

ـ التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •

ـ وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجون الأخرى •

ـ غير معقول طبعا • • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟

ـ لكن القطار لن يغادر الواحات الا بعد غد •

ـ ينامون فى الاستراحة •

ـ ولماذا لا ينامون فى خيمة الزيارة • •

ـ مسئوليه !

ـ أنت قادر على تحملها • •

ـ وما الذى يدعونى الى ذلك ؟ •

ـ انسانيتك !

ونلحظ دموعا خفيفة تجرى فى مآقى عينى الرجل الانسان ، يقول وابتسامة ودود تكسو وجهه .

ـ موافق بشروط •

ـ نقبلها مقدما •

يضحك من قلبه ويقول :

ـ انتم مفاوضين شطار •

ونقبل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم يذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار عبر الاسلاك الشائكة اثناء الليل حتى الصباح

ـ موافقون •

ـ وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •

ـ موافقون •

ـ يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية •

ويستطرد :

(م ـ ١٢ رسالة)

ـ أو حاجات من اللــى انتو عارفينها ٠
وينتحـى الزملاء المفاوضـون جانبـا ويتهامسـون ، من المستحيل أن نقسـم ثم نحنث بالقسـم ٠ الرجل معه حـق ، فمن المؤكـد أن رجـال **المباحث** ينتظرون رجـوع الزوار وسـوف يقومون بعمل اللازم ٠
ـ نقسم بشرفنـا ٠
ـ وأنا واثق انكم رجـال ٠
ـ فقط لنـا مطلب صغير ؟
ـ أرجو أن يكون كذلك ٠
ـ خطابات رسمية لأهالدنا ٠٠ كالتي ترسل بالبريد ٠
ـ موافق ـ ولن اقرأهـا وسأترك ذلك لضمائركم ٠
ويكلف أحـد الزملاء بمراجعـة كل الخطابات التى سيكتبهـا الزمـلاء ٠
وعند غروب شمس اليوم الاول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسـعد باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيـارة ليؤكدهـا من جديد ٠
يقول مجدى فهمى محمد :
ـ شيء هايـل جدا ٠٠ بس مطلوب استثناء بسيط ٠
يقول المأمور وهو يضحك :
ـ تانـى ٠٠ أيـه هو الاستثناء ؟
ـ طبعا غير معقول أن الزوار يناموا ٠٠ والا احنا راح ننام ٠٠ والمسـامة بينا بضعة أمتـار ٠ ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة ٠٠
ـ طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى ٠٠
ـ بالطبع لأ ٠٠ فقط نجلس داخل السـجن ، وهم خارجة ، ونتحـدث عبـر **الأسـلاك الشائكة** ، أو علـى الأقـل نراهم ويرونـا ٠٠
ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :
ـ موافـق وبشرط ٠
ـ أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخـر ٠
ـ بالضبط ٠٠
ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهـى الدقة ٠ مجـدى وسـعد يفترشـان بطانيـة على بعد ٥٠ **مترا من الأسلاك الشائكة** ، ـ داخل السجن ـ ، والزائرات يجلس داخل خيمتهن المفتوحـة على بعد ٥٠ مترا فى الجهـة الأخـرى، **خارج السجن** ٠ وعـدد كبير من الزمـلاء يشكلون مجموعـات صـغيرة منتشرة على **أرض السجن** ، البعض يتسـامر ، والبعض الآخـر ترتفع أصواتـه بالغنـاء ٠٠ أى غنـاء ٠ وبين الحين والحين تسـمع أصواتـا ٠
ـ يا مجدى ازيك يا ابنـى ٠
ـ الله يسلمك يا أمـى ٠
ـ مش عاوز حاجـة ؟

ـ سلامتك يا أمـى ·

ثـم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشـارات والضــــحكات المتبادلة تـم بكلمات متناثـرة معبرة · حتى مطلع الفجر ·

ومع أشـعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لتلك الزيارة التاريخية · أحكى لك عنهـــا فى الرسالة المقبـلة يا حبيبتـــى ·

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتـــى

ويبـدأ اليوم الثانـى للزيـارة مع شروق الشمس ، عـــدد من الزمـــلاء يحمـــل جرادل مملوءة بالمياه وصابون وبجرى بهـا نحـو الزائرات كـــى يغتسـان وعـــدد آخـر يحمل « برادا » كبيرا للشـاى وأكوابـا وبسكويت للأم والشقيقة وزوجـة الأخ ٠ بعدهـــا بقليـل يفود مســئول الحياة العامـة « صلاح هاشـم » فرقـه من الزملاء يحملون صوانـى عليها ما لذ وطـــاب للمطـار ٠ الجميـع يرتـدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فـى طرود ، ذقونهم ناعمه ، وشعورهم مصمصفة ، وبعضهم وضع كولونيـا (٥٥٥) أو بارفـان ، وصلته مع طرود أمس أيضـــا ٠ كان **لمعـى يوســف** « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجـدد الذين وصلوا الينـا من ســـجن مصر ٠ منذ حضـوره قـام بالعمل فى المطبـــخ وكان التنافس بينه وبيـن أحمد خضر شـديدا ٠

وذات يوم فوجـىء الزملاء **بلمعي يوســف** يعمل لهم « محشى » فقـرروا انتخابه مسـئولا عن المطبـخ :

يقول للزائرات :

ــ فول مدمس عظيم ٠٠ ولا فول التابعـــى -

وترد أم مجـــدى :

ــ تسلم أيديك يا ابنى ٠٠ انت اللى عملتـــه ؟

ــ وطعمية كمان ٠٠ مدهشـــة ٠

كانت الطعمية مفاجأة لكـل الزملاء يقدمها لهم **لمعـى يوسـف** ٠ انـــهم لا يرونهـــا منـــذ سـنوات وكثيـرا مـا دارت مناقشـــات مـــع لمعى يوسف حول أمكانيــة صنعها لكنــه كـان دائما يعدهم بذلك لكـن بعـد « تذليــل الصعوبات الأساسية » قال بفخـر :

ــ أنا قعدت امبارح طول الليـل أفـكر ازاى أوفـر الظروف المناسـبة لعمل الطعميــة ٠٠

ويضحك مصطفى كمال ــ صبيه فى المطبخ ٠

ــ الذاتيــة والموضوعيــة كمان ٠٠

ويتمتم **زكى مراد** ٠٠ ذاتيــة موضوعيــة ٠٠ طعميــة ٠٠

ويصيح الزملاء ٠٠

ـ هايل ·· مولد قصيدة شعر جديدة لزكى مراد ·
ـ نسمعها الليلة بقى ··
ـ قصيدة وتفوت ما حد يموت ·
بعد ان تتناول الزائرات الافطار مع عدد من الزملاء يصيح مسئول « الحياة العامة » :
ـ يا لله يا زملا ·· كل واحد على شغله ·· محدى وسعد بس اللى يستنوا هنا مع أهلهم ··
يرمع سعد باسيلى يده طالبا الكلمة ·· ويعطيه مسئول الحياة العامة الكلمة وهو يضحك :
ـ أيه يا سعد ·· طلباتك ·· عاوز حاجة ؟
وبمنتهى الجدية يقول سعد :
ـ أنا عندى شغل اليوم · عليه الدور فى **غسيل قروان الخيمة** ··
ـ معلهش ممكن زميل آخر يقوم بعملك اليوم ·
ـ لسه بقى ؟
ـ لأن عندك زيارة ·
بحسم يرد :
ـ أنا لا أوافق على أى استثناء ·
ـ دى ظروف خاصة يا سعد ·
ـ ولو ·· وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى ·
ـ ممكن يحصل تبادل ·· اللى عليه الشغل بكره يعمله النهاردة بدالك ·· وانت تعمله بكره ··
وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة يقتنع بعدها سعد باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تشترك الزائرات فى المناقشة ، وبعد ان استخدمت أخته « فتنه » كل ما تملك من أسلحة عاطفية ·
ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسئول الحياة العامة ثلاثة زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشاى والقهوة والمرطبات المصنوعة محليا كعصير البرتقال والليمون ، من خبرات الزيارة أمس ، ويعقد [illegible] « مسئول المطابخ » [illegible] لمحثهم على بذل كل جهودهم من أجل اعداد [illegible]
ـ عاوزين نثبت للستات دول اننا [illegible] طبيخ لا يقل عن طبيخهم ··
ـ أهو كله طبيخ يا معلمى ·
ـ لا بقى ·· طبيخ عن طبيخ يفرق ·
ـ الحكاية حكاية نفس ·

ــ وابـه رأيكو مى محشى ؟

ــ **خطير** ..

ويبدأ لمعى يوســف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

ــ مش عاوز ولا حصــوة واحـــدة فى الرز .. عيب . بنغســل كويس ويترك علشــان بنشـف فى الشمس . الكوسـه دى كبيرة ، فشرنهــا تخبنــه ، لازم تنقسر كويس ، واللى مبها بذر كتير نرمـيـه . وناخـــذ شوية باميـة من بناعــة بـكره .. نعمل طبقين علشـــان الزوار .. أمـا اللحمة فسيبوهــا لــى انا بقــى ..

ــ راح تسلقهـــا ..

ــ راح نسلق سويــة .. ونحمر شويــة .

ــ وحانعمل ســلطة .

ــ يقــوم **حليم طوسون** يجيب لنــا شويــة جرجيــر من مزرعتــه الخاصــة .. وكمان شويــة طماطم وبصــل أخضر ..

ويرد **حليــم طوســون** :

ــ ده كل الــى فى المزرعــة ما يجيتش حزمتين جرجير وحزمتين بصل و½ كيلو طماطم ..

ــ كويس نعملهم سلطة للزوار ..

ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يقم بعمل مثل هـذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب** ، **والمهندس** ، **واستاذ الجامعة** ، **والطـالب** ، وهـم مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقــة لـم **تعرف الخضرة** من قبـل ،وهم يستضيفــون ضيوفـا أعزاء . وهذه الوليـمة الفاخــرة التى يعـدون لها ترمـز الى معـان عميقة . ان يطمئــن الأهالـــى الــى أننــا قـادرون علـى مواصلة الحيــاة تحت أى ظـرف من الظروف ، واننا معـا ، يـدا واحـدة ، نتعاون ونتكاتف من أجـل أفضـل حيــاة تستطيع عقولنـا ان تدبـر ظروفها ، ونستطيع سواعدنــا أن تبنيهـا ، نحن بنــاة الحياة وصناعهـا ، سلاحنـا الكلمة وسبيلنـا الديمقراطيــة ، وأداتنـا الوحدة الوطنيــة . لن يقهرنـا أعـداء الحيــاة مهما تنوعت اسـلحتهم . لن نسمح لهم أن يغتالـوا أرواحنـا ، أو يقتلوا حبنــا للحيــاة ، وسوف نحيــا تحت أى ظـرف من الظروف ، وفى أى مكان يزجون بنـا فيـه .

يحل موعـد الغـداء ، الزملاء لا يسمعون الدقـات التى تناديهم لاستلام طعامهم . عصافير بطنهم تزقزق وتعلو أصواتهـا مع كـل دقيقـة تمـر ولا يسمعون فيهـا « دقات » الطعام .

ــ ايــة الحكاية ؟

ــ جعنــا ..

ــفين الأكـل يا لمعى .

ويــرد لمعي يوســف بغضب :
ــ مش عيب برضـــه ٠٠
ــ أيــه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل ٠٠
ــ مش برضه الضيوف ياكلوا الأول ٠
ــ معاك حــق ٠٠متأســفين ٠
ويصيح لمعــى يوســف ٠٠
ــ دى تقاليــد شعبنا يا عالم ٠٠ شعبنا المضياف ٠
ان يقدم الضيف على أهــل البيت شيء رائــع ، احـــدى القيــم الكثيرة التى يتميز بهـــا شعب مصر العظيم ٠ عطاؤه لا ينضب ، يعطـــى للضيف قبــل ان يعطى لنفسـه ٠ يعطيه أغلـــى ما عنــده وهو راض ، حتـى وان لــم يكن يمتلك غيره ٠ لكن ليس كــل من يدخلون بيتــه ضيوفـــا ، هـم فى بعض الأحيــان دخلاء ، وهو يملك حاسـة لا تخطــيء ، يميز بهـــا الضيوف عن الدخــلاء ٠ الضيوف اصدقائــه ، والدخــلاء اعـداؤه وهـــو قـــادر على تمزيــق أقنعتهم مهما تنوعت أشكالهـــا ٠ ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف ٠ هذا يحمل صينية عليهـــا أطباق الأرز ، وآخــــر يحمل صينيـة الكوســة ، وثالث البامـيــة ورابــع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المســلوق والشـــوربــة التى بهـــا لســان العصفــور ٠٠
ــ تصبح أم مجــدى
ــ أيــه ده كله ٠٠ دى وليمة ٠٠
ويتقدم مســئول الحياه العامــة ، ينحنـــى فى احتــرام ، كما يفعــل المتر فى الفنـــادق الكبرى ٠٠
ــ كله من خيركم يا ست أم مجدى ٠
وتسأل « فتنـــه » ٠
ــ وكل يوم بتاكلوا كــده ٠٠
ــ طبعا ٠٠ طبعـــا ٠٠
وتتعالى « بدريـــه » زوجه مصطفى شقيق مجدى ٠
اذا كان كده آجــى اسجن معاكو بقــى ٠
ويضحك الجميع ٠٠
ــ لا اهلى معروف ٠٠ أخوى مصطفى يزعــل ٠٠
ــ ييجـــى معايـــا ٠٠
ــ أيــوه ٠٠ تبقــى كملت !
بعد الغذاء يأتــى حاملو جرادل الميــاه والصـــابون والفــوط ، ويغســـل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا أمامهم ٠
ــ يا ســلام لو فنجان قهـــوة ٠٠
ــ حاضر يا ست أم مجدى ٠٠

البن من بين الأصناف التي لا تصادر كلهـا مثل معجون الاسنان والأدويه الخاصة للاستعمال الشخصي ، ويقع مسئول الحياه العامه في « حبص بيص » • من أين يأتي بالبن ؟ يصبح بأعلى صوته •

ـ مين عنده بن يا زملا ؟

ـ الضيوف عاوزين يشربوا قهوة • •

ـ • • •

ويدم « كبيبفه » المهوه المعروفين ، **شريف حتاته ، حازم طوسون ، وليم اسحق ، زكي مراد ، صلاح حافظ** يتسابقون لعمل قهوة •

ويعلن مسئول الحياة العامة :

ـ يعني المستخبي طلع •• من الصبح دايخ على فنجان « قهوة » • •

ـ هوه أنت ضيف ؟

ويمضي اليوم بسرعة لم نعهدها في السجن من قبل ، قرص الشمس الأحمر يبدو بعيدا في الأفق ، يرسل أشعته الأخيره ، الظلام يزحف بسرعه يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق • ما أقسى لحظة الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق • احباؤنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد **موعد اللقاء مرة ثانية** • حتى هذا اللقاء الشاذ لا نعرف له موعدا آخر • الحزن يزحف على الوجوه ، والألم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان في لحظه واحده قبل الافتراق •

وفي قلب « اللحظة » **تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد** حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع • الثوار أنقى انقياء البشر • قلوبهم طاهرة مثل قلوب الأطفال ، وارادتهم أقوى من الصلب • هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به • عيونهم لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف انساني يهز عواطفهم ووجدانهم •

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة في نفوسنا خلال ساعات مضت كالبرق • أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وقلوبنا تسقط الى أقدامنا ، والدموع في مآقي العيون تبدو في ظلام الليل كنجوم السماء • تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت يلف الجميع • دمات العشاء الرتيبة تنادي الزملاء ، نذهب بتثاقل الى « الميس » •• يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ، يعلن أن العشاء اليوم فيه ما لذ وطاب ، تعلو هتافات الاعجاب لكن تحس بفقدان حرارتها المعروفة •

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاي والحلوى سوف تقام

بعـد العشـاء . بقابل الخبر بالتصفيق والتهليـل الخاليين من روح المـرح المعهـودة عند الزملاء .

بعد العشـاء ، وخلال شرب الشاى وتنـاول الحلوى يرتفـع صـــوت **صلاح حافظ يغنـى** لأم كلثوم ، ثم لعبد الوهــاب ، وفاروق عبد السلام يغنى منلوجات شكوكو ، وأغنيات اسكندرانيـة ، لكن الجميـع ، المغنون والمستمعون معـا ، فى واد وما يـدور فى أعماقهم فى واد آخـر .

ما أنبـل الثوار ، فـى اللحظــات التى يعتصر الألـم قلوبهم ، يحرصون على أن لا تنتقـل عـدوى آلامهم الى زملائهم وهم يعرفـون أنهم يتألمــون مثلهم . تنتهى الحفلة . ونمضى الى الخيام . نستلقى على الأسرة الخشبية لا يغمض لنـا جفن . العيـون مفتوحـة ، والألسـنة لا تتكـلم ، عـواء الذئاب ونبـاح الكـلاب يعكر هـدوء الصحراء وسكونهـا ، لكن قلوبنـا أكبر من الصحراء ، ونفوسـنا أكثر منهـا هـدوءا ، لـم تنـل منهما كـل عـواءات ونباحـات أعـداء الانسـانية من البشر : وهـم أشرس من كل الحيوانات المفترسـة .

قبـل بزوغ الفجر بقليـل يهمس مجدى فهمى :

ــ ما نمتش ليـه يا درش ؟

ــ سرحـــان .

ــ فى أيـه ؟

ــ فى اللـى انت سرحان فيـه .

ــ نبدو فى الأفـق مؤشرات لمعركـة حاسمة ضـد الاستعمار .

ــ تحطيم حلف بغـداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة .

ــ لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليـل .

ــ وقضيـة الديمقراطيـة .

ــ يكسبها الشعب من خلال المعركة ضد الاستعمار .

ــ ما رأيك فى مقال **عبد الرحمن الشرقاوى** ؟

ــ موافـق عليـه .

ــ وأنـا أيضـا ؟

ــ لا بد من [illegible] جديدة .

ــ غير الاتصال بالخارج .

ــ يناقش الأمـر من كل جوانبـه

ــ **مايل .. تصبح على خير .**

وتشرق شمس يوم جديد من أيـام النصف الثانـى من **يوليو عـام ١٩٥٦ .** شيئا ما غير عـادى يجرى فى احـدى الخيام منذ الصباح . **أنـا ومجـدى فهمى وزكى مراد ومحمد شـطا** نجلس فى احـدى الخيـام وتطـول الجلسـة فى مناقشات حـول المعركـة ضـد الاستعمار التـى تتجمـع بوادرهـا فـى

الأفق • يجب أنيكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار تتطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للشعب فى المعركه ضد الاستعمار هى ضمان النصر • ونتفق على كتابة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ونوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجتمع كل الزملاء كى يتلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجاه لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد • وزادت حرارتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا فى الموقف •

لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييدا ومساندة **وبلا أى شروط** • يتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهره ويوصل هذا البيان الى **رئاسة الجمهورية** والى مدير مصلحة السجون •

ـ والصحف والنقابات العماليه والمهنية ؟

ـ سأحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •

ثم يستطرد :

ـ ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •

ـ لأ لسه بدرى •

ـ ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتأييد للحكومة •

ـ نأمل هذا • •

ويصيح المامور بحماس :

وبأسرع ما يمكن مكانكم مش هنا ، بره • فى الشارع ، ده شىء منطقى •

وأعلق بابتسامة :

ـ ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد المأمور :

ـ عهدى بك انك لست متشائماً • •

ـ فى هذه المسألة بالذات متشائم • •

ويوضح أحد الزملاء • •

ـ اصل له ظروفه الخاصة جدا •

ـ ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •

ويبدو على المأمور انه لا يفهم الحكاية • ويتولى زميل شرحها له •

ـ أصله كان المفروض يفرج عنه بعد **الثورة مباشرة** •

ـ ليه ؟

ـ لأنه القى القبض عليه **قبل الثورة بسبعة أيـام** ٠

ونلمح علامات الدهشـة والاشفاق على وجـه المأمور ٠ ونحس بفتـور حماسـه فى نبرات صوته وهو يقـول :

ـ **أظن الموقف مختلف دلوقت** ٠

يسـافر المأمور الى القاهـرة يحمل موقفنـا الجديد الى الحكام ، ويعـود فى صباح يوم ٢٦ **يوليو** ١٩٥٦ ٠ ومعـه أخبـارا سـارة لنـا ، وكان يومـا مشـهودا أحـكى لك تفاصيـل أحداثـه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتــــى

قضينــا الأيــام العشره بعد سـفر المأمور الى القاهـرة فى ١٦ يوليـو ١٩٥٦ وعودته فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، فى مناقشــات واســعة مع **الاخــوان المسلمين** حول ما جــاء فى مجلة « **الوطن** » وهى مجلة أسبوعيــة خصصناهــا لمناقشتهم على صفحات المجلة • وكنــا نصدر جريدة يومية من صفحتــى كراس بهـــا آخـر الاخبـار وتعليق سريــع • **كما كنـــا نصـدر مجــلة « الفــكر »** وهى مجلة ثقافيــة تصـدر كــل شـهر ، وكانت مقالاتهـــا تعبر عن رأى أصحابهـــا وكنــا نناقش كل ما ينشر بهـا فى جلســاتنا معــا أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقــات قويــة ، بدأت فى لـمـــان طره انسانيــة ، وانتهت سياسية فــى « **جناح** » ثم فــى « **المحاريق** » • منهم على سبيل المثال البكباشى **فؤاد جاسر** ، الصــاغ **جمال ربيــع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سيد الريس وغيرهم ولـم توقف الخلافــات مــع الاخــوان الآخرين دون استمرار المناقشــة معهم أذكر منهم **صالح ابو رقيق** ، **ومحمــد ابو النصر** ، **ومهدى عاكف وحسن دوح** وغيرهم • من بين هذه المناقشـــات اختار مناقشة بينى وبين البكباشى أركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو مـــن « الاخوان المؤيدين » • ذات يوم من تلك الأيــام العشرة فى يوليــو ١٩٥٦ ، وبعــد أقــل من ساعة من صدور مجله « **الوطن** » جــاءنــى البكباشـــى **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتهــا « نوبتجى » الخيمة وأقـــوم بغســيل أوانـــى الأكــل ، وأملأ ميــاه الشرب ، وأرش الخيش الملفوف حولهــا بالمــاء كلما جفت ، وبعـــد وضعها فى مكان ظليــل ، كــى تحتفظ ببرودتهــا ، ثم ارش الميــاه أمام الخيمه كلما جفت ، وأروى الزرع أمــام الخيمة ، هذا العمل كــان يســتغرق اليوم بطوله ، لكن كــان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخـر للقراءة ، أو لمناقشــة سريعــة • وحين طلب منـــى **فؤاد جاسر** أن نجـرى مناقشة فى خيمته على فنجــان شــاى قلت لــه ضاحكا :

ـ ما أنت شــايف يا فؤاد أنــا مشغول •

ـ وبعدين ضرورى أناقشــك دلوقت •

ـ طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنــا •

ـ عندك شــاى • •

ـ ما عنديش طبعا ـ لكن نطلب من مسئول الحياة العامة •

نظام الحياة العامة يصادر الشاى والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز مادى لتشجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة ٠٠ الخ ٠

وتبدأ المناقشة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خمس جرادل مياه الشرب حين تجف مارس علبها الماء وأملأ التى تفرغ منها ٠ وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطيه ، يقول فؤاد :

ـ قضية الديمقراطية ، وتشمل حرية تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد ٠

ـ ليست هناك شروط فى السياسة يا فؤاد ٠ ٠

ـ ازاى بقى تفضل فى السجن ونؤيد الحكم الوطنى ٠ ٠

ـ الافراج عنا ليس شرطا للتأييد ٠٠

ـ ولكننا نصبلة وطنية مع الحكومه الوطنيه فى معركتها ضد الاستعمار ٠

ـ ولكنك فى نظرها لست كذلك ٠

ـ وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها ٠ ٠

ـ مواقفك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمعلنه للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك ٠

ـ من جانبى موافق ٠٠ ماذا تقترح ؟

ـ أقترح أن تجرى مناقشة مع أكبر عدد من زملاءك وتكتب بيانا للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية ٠

ـ مهمة صعبة ٠٠ سأبدأ بنفسى ٠

ـ لا يا فؤاد والا فسر موقفك تفسيرا خاطئا ٠ ٠

ـ جمال عبدالناصر يعرفنى شخصيا ٠٠ وسوف يثق فى موقفى ٠

ـ حتى ولو حدث ذلك وهو احتمال ضئيل جدا ٠٠ سوف يكون مادة لأى تفسير خاطىء ٠

ـ وماذا يهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى ٠

ـ أظن أن دورك الوطنى [illegible] عند خروجك من السجن

ـ [illegible] فى الخارج

ـ مع [illegible]

ـ مع الحكومة ٠

ـ أيهما أكثر ضمانا ـ حتى من الناحية الشخصية ـ أن تعمل وحدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين ٠

ـ لن أجد منهم من يقتنع ٠

ـ هل حاولت وفشلت ؟

ـ لا ٠٠ ولكنى أعرف مقدما ٠

ـ الناس بتتغير يا فؤاد ۰۰ انت نفسك تغيرت ۰
ـ **موافق ۰۰ ولكن بشرط ۰**
وأضحك قائـلا :
ـ أنت هاوى شروط ۰۰ ايـه شروطك ۰
ـ **ان تشترك معى فـى المناقشـة ۰**
ـ **موافـــق ۰**
يبتسـم **فؤاد جاسر ويقـول**

ـ وأدى سيجارة بيلمونـت بحالهـا ۰۰ تشربهـا لوحدك ۰ اشـعل السيجارة ، وبشـعل فؤاد غيرهـا ، ونصمت حتـى لا تشـغلنا المناقشـة عن الشعور بلذه ندخن سيجارة كامله ۰

كان عـدد من الزملاء يرقبوننا من بعيـد لا يسـتطيعون الاقتراب منـا أثناء المناقشة وتدخين ½ سيجارة مشاركة ۰ وما أن لمحوا السـيجارتين مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان ۰ أقول ضاحكا :

ـ يـا زمـلا احنـا مشغولين ۰ ۰
ـ يعنى ۰۰ فتـره استراحـة ۰ ۰
ـ **نشترك معكما فى التدخين ۰**

ويخرج **فؤاد جاسر** علبه سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع **الخمسـة المتبقين فيهـا** على الزملاء ، بعـد أن يأخـذ أحـد الزملاء سـيجارة **يقول لى** :

ـ هـات نفس بقـى ۰
ـ **يا أخى ما معاك سيجاره بحالهـا ۰**
ـ **نشربها** بعد العشـاء ۰۰ لوحدنـا ۰ ۰
ـ والله فـكرة ۰۰ خـد ۳ **أنفاس** يا عـم ۰

دقات ساعة الغذاء المعتـادة تنـادى علينـا ۰ يهم البكباشى فـؤاد جاسر بالانصراف ، يسرع الينـا مسـئول الحيـاة العامة ويقـول لـى بغضـب :

ـ ايـه بقى ، يمشى فى وقت الغذاء ۰ ۰
ـ والله فكرت ۰۰ لكن ترددت ۰
ـ ابعت حـد يقول لـى ۰۰ على العموم أنا عامل حسـاب الأسـتاذ فـؤاد ۰

واحتفاءا بضيفنا يجلس معنـا مسـئول الحيـاة العامـة ۰ واثنـاء تناولنـا الغذاء أهمس فى أذنـه :

ـ **ما تنساش ۰۰ كام سيجارة كـده نشربها مع الضيف ۰ ۰**
ـ يا زميـل أنا عامل حسـابـى ۰

وبعد الغذاء تشتعل ۳ **سجائر** ويهجم علينـا بعض الزملاء « ليرحبـوا » بالضيف ، ومنعـا لاحراجـه ، يتصرف مسـئول الحياة العامة فيوزع علـى

كل ثلاث زملاء سيجارة . ويقترح فؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير من خيمته . ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

ـ شفتوا بقى الملكيه الخاصة .. مفيدة !

ـ عملت لنا أيه الملكيه العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلا :

ـ أيه الحكاية .. باين علينا راح نتبادل المواقع .

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة فى مواقفها الوطنية كتبه هو والصاغ **جمال ربيع** والصاغ **حسين حموده** ، وسوف يناقشونه مع أكبر عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله . أقول لفؤاد جاسر :

ـ شفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم ..

ـ وده راح يلقى على مسئوليه كبيرة .

ـ وأنت جدير بها .

ـ تشجيعك بزيدنى ثقة بنفسى ..

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ **صالح أبو رقيق** . علاقتنا قديمة بدأت فى **ليمان طره** انسانية ثم سياسية . جمعتنا **معارضة** السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية . كان يؤكد حقنا فى مباشرة نشاطنا السياسى بحرية . وكنت أتشكك فى هذه التأكيدات ، غير أننا كنا ننتهى دائما الى أننا متفقون على الاقل فى المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع . فى هذا الاجتماع بدى لى غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « **الوطن** » بانه **ارتداد** عن الموقف الصحيح .

ـ وما هو الموقف الصحيح ؟

ـ الغاء قرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم فورا .

ـ بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

ـ طبعا ..

ـ وحقنا فى مشروعية نشاطنا السياسى ؟ .

ـ هذا ما تملكه الحكومة .

ـ ليس هذا ملكا لأحد .. انه حق .

ـ ومن الذى يعطيه .. ؟

ـ الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ ..

ـ كيف ؟

ـ الشعب بواسطة آداته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى الوطنية ، الممثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد هو القادر على أخذ حقوقه .

ـ من خلال اسـقاط الحكومة ؟
ـ الحكم الوطني داخل هذا التحالف الوطنـي ٠
ـ هذا ما نختلف عليـه ٠٠
وبسـتطرد ٠٠
ـ أعجب لكم ٠ قلتم بالأمس انها **فاشـية** ، وتقولون اليـوم انهـا **حكم وطنـي** ٠٠ كيف هذا ؟
ـ المواقف ليست ثابته ٠٠ الناس تتغير ٠
ـ من الذى تغير ٠٠ أنتم أم هـم ؟
ـ ربما كنـا مخطئين فى الحـكم عليهم ٠
ـ وبماذا تفسر موقفهم من الحريـات ؟
ـ **تناقض لا شـك** ٠٠ ولا بـد من حلـه ٠
ـ شعار **الاسـقاط** هو طريق حـل هذا التناقض ٠
ـ وانما **التحالف الوطني** معهم هو الحل الوحيد ٠
ـ أعجب لكـم ٠٠ ربما كنتم خياليين ٠٠ وربما كان وراء موقفكم هـذا شيئا آخـر ٠
ـ لا هذا ولا ذاك ٠٠ بـل هو **موقف موضوعـي** ٠
ـ لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم ٠٠
ويكمـل :
ـ على الأقـل فى المـدى القريب ٠٠
ـ نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة ٠ فالمعركـة طويلة صعبـة ومعقدة ٠
ونفترق على خـلاف ٠ لكن نظـل أصدقـاء ، وما زلنـا حتـى الآن ٠
وفى كل مـرة نلتقـى فيها حتى بعـد خروجنـا من السجن يمزح معـي ويقـول :
ـ أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنـا جنـود لمصر ، فلننتظم فى جيش واحـد ٠
واعـود الى الخيمة ويوصلنـي الاستاذ **صالح ابو رقيـق** الى منتصـف الطريق ويقول ضاحـكا :
ـ الحدود هنـا ٠٠ مع السلامة ٠
ـ ليس بين الوطنيين حدود ٠
ـ اذن انضموا الينـا ٠٠
ـ ربما كان التحالف الوطنـي افضـل ٠
ـ لكنـه لا يلغـي الحدود ٠٠
ـ نعم لا يلغيهـا ٠٠ وانما يضعفهـا ٠
ـ ولماذا لا نلغيهـا بضربة واحـدة ٠٠
ـ منطق الحياة لا يسمح ٠

يربت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب ٠

فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين المقابلتين ٠ وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « **المؤيدين** » ٠ وأن تصدر « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان المؤيدون » ٠ وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم المعارض للحكم الوطنى ٠ وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى يصيح الفنان **سعيد عبد الوهاب** وهو المسئول عن توضيب ورسم صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

ــ وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟

ــ كلك نظر يا سعيد الصبح طبعا ٠ ٠

ــ وفين المواد ؟

ــ حالا تجهز ٠ ٠

ــ والحوافز ؟

ــ المعنوية زى ما أنت عاوز ٠

ــ لا يا سيدى ٠ ٠ شبعت حوافز معنوية ٠

ــ والمادية علبة سجاير هوليود « لارج » وأربعة شاى ٠

ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :

ــ وأجيب ده كله منين ٠ ٠

ــ اتصرف يا أبو الصلح ٠ ٠

ــ مفيش سجاير الا للتوزيع يومين على الزملا ٠ ٠

ــ ربنا يرزق بعد يومين ٠ ٠

ــ لا يا عم مش موافق ٠

ــ أبو الصلح ٠ ٠ لا تكن حرفيا ضيق الأفق ٠ ٠

ــ أنا مش مسئول ٠ ٠

واقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :

ــ وبعدين ٠ ٠ يا أبو الصلح !

ــ طيب ٠ ٠ طيب ٠ ٠ أدى علبة السجاير ٠ ٠ وأدى السكر والشاى ٠ ٠ وأنا بقى رايح أنام

ويقول فاروق عبد السلام :

ــ وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الأشغال الشاقة دى ٠

يسحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به ٠ وأجلس إلى جانبه أكتب أنا الآخر ٠ وعند منتصف الليل أهز فاروق عبد السلام كى يستيقظ لندفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » ٠ ومع

شروق شمس اليــوم التالــى يعيد الينــا المواد منسوخة فى نسختين :
ـ هايــل يا فاروق ٠٠ امتــى الباقــى ؟
ـ قبل الغدا يكونوا جاهزين ٠
ـ الجانب الايجابــى الحرفى فيك عظيــم ٠ ٠
ـ بس نظير أجــر ٠ ٠
ـ مفهــــوم ٠ ٠
ويصيح مسئول الحياة العامة :
ـ لأ ٠٠ مش ممكن ٠٠ مفيش سجاير ٠ ٠
ـ وبعديــــن ٠ ٠ !
ـ طيب ٠٠ طيب ٠ علبة صغيرة آهــى ٠ ٠
ويبتســــم فاروق ويقــول :
ـ لكن أنا عنــدى « نوبتجيــة » اليــوم ٠ ٠
ويتقدم الزميل **سعد باسيلى** متطوعــا للقيــام بالنوبتجيــة بــــدلا مــن فــــاروق ٠

وتمضى الأيــام سريعــة ٠ فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفــى صــدور أعــداد خاصــة من مجلة « **الوطن** » وجريــدة « **الأنبــاء** » التــى تحمل آخــر الأخبــار والتعليقات المحليــة والعالميــة ، حتــى يحل **يــــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦** ، وتتلاحــق الأخبــار والأحــداث والمناقشـــات بشـــكل مثير ، أحكى لك عنهــا فى الرسالة المقبلة يا حبيبتــى ٠

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهــرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتـــى

كما قلت لك فى رسالتــى السابقــة كان يــوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمــل لنــا مع المأمور الذى وصــل من القاهرة فى ذلك اليــوم أنبــاء ســـارة • قال لنــا وعلى وجهه ابتســـامة عريضــة :

ــ مش قلت لكم •• **الافراج** عنكم أقرب ممــا تتصورون •

ــ هــل هنــاك وعـــود ؟

ــ لــم اسمع وعــودا ولكن الجــو العــام فى **الصلحة** ، **والمبــاحث العامة** ، فى صالحكم تماما • لقد وافقــوا على كــل مطالبكم وأكثر منها • الكتب والصحف والزيــارة والخطابات والطرود واقامة كانتتين هنــا وسوف تصــل غــدا ٣ زيارات فاســتعدوا • وبالنسبة للطعام فقــد اتفقت مع متعهـــد فى اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصــل طازة بطازة •• واحضرت معى ثلاجة كبيرة • و • و •••

ويقول أحد الزملاء ضاحــكا :

ــ دى الحبســة أحلوت قــوى ••

ويعلق آخـــر :

ــ دى تبقــى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب ••

ويعلق المأمور :

ــ أنا مش فاهم ليــه التشـــاؤم ؟

ــ أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار ••

ــ وكل **قرار** لــه مقدمـــات •

ــ المقدمات ضرورى تكون سياسية •

ويــرد المأمور :

ــ زى أيــه مثلا ؟

ــ رأى الحكومة فى البيــان اللــى أرسلناه •

ويبتسم المأمور ، ويقول ••

ــ واذا جبت لكم رأى **رئيس الجمهورية** •

ويخرج من جيبه برقيــة من رئاسة الجمهورية موجهــة الى مامــور سجن « جناح » بالواحــات لتوجيــه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعــوا علــى البيـــان •

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم • الافراج القريب مؤكد ، مسالة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج الى مساندة من كل الوطنين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار • والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية • ولكن النظريه سىء والتطبيق شىء آخر • وفى طريقى الى **مجدى فهمى** أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :

– محتاجين لجلسة سريعة ••

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف •

يقول مجدى :

– من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه الموجة من التفاؤل •

– تمام •• والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات الزملاء •

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء •• يقول :

– أى خدمة •• سجاير •• شاى •• قهوة ؟

– وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

– انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم ••

– ما أحنا طول عمرنا بنتناقش •• وأنت عمرك ما عرضت خدماتك بالشكل ده •

– ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

– اذن هات ما عندك •• وورينا عرض اكتافك •

ويعطينا علبة سجاير هولبود « لارج » • ويضع أمامنا ترمس مملوء بالشاى • ثم يقول :

– وبعد شوية أعمل لكم قهوة ••

– أيه الكرم المفاجىء ده ؟

– بس شدوا حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا **افراج** •

لم أشعر يوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ، قبل السجن وخلال السنوات **الأربع الماضية** فيه • ربما كانت هذه أول تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ، **يؤيدونها ويساندونها** ، دون أن **يفرج عنهم** • وربما كانت هذه أول مرة، تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيها حتى الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟ وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم،

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل . كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب النظرية ، وتأكيد عدد من مفهوماتها . الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها وتمارسها الطبقات المختلفة . دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية وشرط قيادتها للثورة ..

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من يقول : المأمور جاب راديو كبير علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** . ونجلس على **البطاطين** فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت المذيع يعلن وصول جمال عبد الناصر .. ونسمع هتافات عالية وتصفيق حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ جمال خطابه . وحين اعلن جمال **تاميم قناة السويس** ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** هتافا يشق عنان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** . وبعد الخطاب انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة . وبلغ تأثر **المامور والضباط والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون الينا ويهتفون معنا ، ثم يعانقوننا فى ود وانسانية . وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والاخوان المؤيدين . ألقيت فيه الكلمات المناسبة ، والشعر . الشاعر **فؤاد حداد** انسحب بهدوء بعد أن سمع جمال وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته ليكتب قصيدة .

يا حمام البر سقف ، طير وهفهف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله ..

وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** .

بكره النور فى بلادنا ملالى لما نقبم السد العالى .

قصائد كتبت أثناء **خطاب ناصر** التاريخى ، وأخرى خلال احتمالنا . فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها ومعها كل أقطار الأمة العربية .

كان استقبالنا لتأميم القناة يفوق فى ايجابيته كل القوى الوطنية الأخرى . فمنذ **الأربعينات** وهذا الهدف واحد من أهداف

برنامجنا • وخلال معركة الكفاح المسلح فى القناة ضد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بها حكومة **الوفد** •

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضع احتمالات معركة ضارية ضد الاستعمار الذى سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قد نصل مؤامرته الى الغزو المسلح • وانه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أشكالها الا بتعبئة الشعب واطلاق حرياته السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنين • وتضمنت البرقية التى أرسلناها الى الرئيس **جمال عبد الناصر** فى نفس الليلة هذه المعانى : لقد تحمس المأمور حين قرأ تلك البرقية وركب عربته على الفور واتجه الى المحافظة كى يرسلها باللاسلكى ، قال وهو يركب عربته التى كنا نحيط بها من كل جانب :

— أظن بقى لا مجال للتشاؤم

— وهل نهوى التشاؤم ؟

— نحن أكثر الناس تفاؤلا •• ولكن !

ونسمع نبرات صوت المأمور الودودة :

— كلها يومين وأجيب لكم أحسن خبر •

موجة التفاؤل تصعد بسرعة عند الزملاء • لا نستطيع أن نقف فى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معها • الموقف هو أن نهيىء أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها فى نفس الوقت • الأمر المؤكد ان معركة ضد الاستعمار قد بدأت بعد **التأميم** • والانتصار فى هذه المعركة يتوقف بالدرجة الأولى على **قيادة المعركة** • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعاد المعركة وهل تعى ضروراتها • وما تفرضه من اطلاق الحريات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاته الوطنية ، وقيام جبهة وطنية والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انها حقا قيادة وطنية ، ولكنها بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفرض حملة تعبئة سياسية وفكرية • محاضرات يوميا ، سياسية وفكرية ، والنشرة الداخلية « **الوعى** » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لما يرد الينا من أخبار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعون بعقولهم المقولات النظرية ، لكن عواطفهم معلقة **بالأمل المستحيل** • وتنهال خطابات الأهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعد ان يلوون عنق أى كلمة أو تصريح لمسئول • ولم يكن هذا غريبا منهم فالحق كل الحق معهم حين يتعلقون بقشه كالغريق ، ولكن الغريب حقا أن تصلنا تحليلات سياسية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يوم وآخر • أكثر من ذلك ،

يصلنــا مقــال نظـرى بعنوان « **نحن حزب فى السلطة** » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قــد تحقق ، وبالتــالى فــان القيـــادة السياسية قــد أصبحت لــه !

وأصبح وضعنــا شــاذا حين وصلنــا هـذا التقرير ، مثـــل هـذا الكلام لا نوافق عليــه من الناحية النظـرية · وهذه التحليلات السياســية المتفائلة على غدر أساس ، نرفضها ، غما العمل ؟ موجه التفاؤل ســوف تصل الى قمتهــا لو عــرف الزمــلاء ما جــاء بهــا ، فمن البديهى أن يكــون الزملاء فى الخـــارج هم الذين على صــواب لأســباب مختلفـــة ، ليس فقط بحــكم وضعهم ، وانمــا أيضــا لأنهم أقــرب الى الواقع · بل المفــروض انهم جــزء منــه · كــان من الأفضل أن لا يرسل لنــا زملاء الخارج هذه التحليــلات والمقولات النظـرية على الأقل من بــاب الحـرص على معنويات زملائهــم المسجونين اذا لم يتحقق الافــراج عنهم · لقــد وصلوا الى يقين بحقيقــة الافــراج عنــا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم · وهو خطأ نظـرى ومنهجى فــى نفس الوقت · ان التزامنــا ليس التزاما أعمى وانمــا هو التــزام واعى · والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعــديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينــا مسئوليتنــا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفــرض الحــرص علــى معنوياتهم بعــدم تعريضهم لأى **هــزة نفسية** · ورأينــا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهــة نظــرنا فى هذه التحليــلات السياسية والمقولات النظرية ، ومــررنا اعلانها على زملاءنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم · وتجــرى الأيام الباقيــة من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يومــا من أكتــوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفــاؤل بين الزملاء بين مد وجزر · خطابات الأهالى **ترفع** الموجــة أحيانا ، وأحيانا أخــرى **تهبط** بها · وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجــة التفاؤل فى مدهــا وجزرها · كانت كل الدلائل تشير الى مؤامــرة كبــرى يدبرها الاستعمار ضد الثورة · ولم تكن مواقف القيــادة السياسية تــدل على ادراكها الكامل بأبعــاد هذه المؤامــرة · لقــد ركــزت كل ثقلهــا على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدوليــة · ولم تهتم باعــداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين فى جــدول أعمالها · وكان من الطبيعــى أن يقل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافــراج ، وأن تهبط موجــة التفاؤل الى أدنى مستوى · وبرزت مشكلة خطيرة · مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفــرض علينــا تأييـــد ومســاندة المواقف الوطنيــة للســلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير مــن اشكالها المتعــددة · وفى كل بيــان أو برقيــة كنــا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحــول الى أكلشيــه تتنــاوله ألســنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفــرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزملاء تفسير سياسى ونظرى لاستمرار وجودهم فى السجن ، أن تسجن لانك تعارض النظام شىء مفهوم ومقبول . ولكن أن تسجن وأنت تؤيد وتساند هذا النظام مسألة لا تقبلها الا اذا كنت نملك قدرة نظرية كبيرة ورؤية سياسية واضحه مستمدة منها . ولقد أثبتت التجربة صحة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين. غير أن موقف الاخوان المسلمين « المؤيدين » كان ضعيفا ، فبعد أن كان عددهم يزداد ، أخذ يضيق ، فتركهم عدد كبير وعادوا الى الاخوان المسلمين « المعارضين » . وبعد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشون معا أصر المعارضون على عزل المؤيدين فى خيام خاصة . ومع الساعات الأولى لصباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ سمعنا خبر العدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجرت أحداث أحكى لك تفاصيلها فى الرسالة المقبلة ياحبيبتى

١٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

ملحوظات لابد منها .. وسؤال .

الملحوظة الأولى : يوافق اليوم ـ **١٨ يوليو ١٩٧٧** ـ الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ .

الملحوظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة **٢٣ يوليو ١٩٥٢** وبقيت فى السجن **حتى ٤ ابريل ١٩٦٤** .

الملحوظة الثالثة : بعد أربعة أعوام وأربعة أيام قضيتها فى السجن صدر قرار تأميم قناة السويس .

الملحوظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى **لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** .

السؤال : **كم** كان عمرك يا حبيبتى يوم صدر قرار تأميم القناة . وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الأسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتـــى

في مســـاء يوم **٢٩ أكتـــوبر ١٩٥٦** ، كنـــا مثل بعض أبنـــاء البيت الـــذين قيدهم أبنـــاء آخـــرين من نفس البيت حتى لا يقاومـــوا اللصوص الـــذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من ينشلون مقاومتنـــا لهـــؤلاء اللصـــوص ؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبنـــاء البيت وهم لايتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهـــم ٠ واخوننـــا الذيـــن يقيدوننا يتعرضون لنفس مـــا يتعرض لـــه أبناء البيت البررة ٠

وأتـــرك لك يا حبيبتـــى تصـــور حـــالة الزملاء الملقى بهم فى **قلب الصحراء** ، وبلادهم الحبيبة يعتـــدى عليهـــا الغزاة الاستعماريون والصهاينة ٠ كانـــــوا أسودا وضعوا فى **أقفاص** ٠ ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين يجمع بينهم شرف الانتماء **للبيت الواحـــد** ٠ لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة٠ **الملك يقبض على ، وحـــكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشـــغال الشـــاقة ثـــم يحرموننى من شرف الدفاع عن بلادى !**

الزملاء جميعـــا يتجمعون فى حلقـــات حول عـــدد مـــن أجهـــزة الراديـــو «الترانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

ـ الجيوش الاستعماريـــه ٠٠ اجتازت ممـــر متـــلا ٠٠

ـ أى اذاعـــــه ؟

ـ لنـــــدن ٠

ـ كذب لا تصدقوها ٠

ويرتفع صـــوت آخـــر ٠٠

ـ اسرائيل اذاعت نفس الخبـــر ٠٠

وتصيح أصوات غاضبـــة :

ـ كذب ٠٠ كذب ٠٠

ويأتى صوت ثالث حزين ٠٠ حزين ٠٠

ـ الخبـــر صحيح يا زمـــلا ٠٠

وتصيح كل الأصوات ٠٠

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ مش ممكن ٠٠

ـ الخبر من راديو القاهرة ٠٠

وبسود صمت رهيب • راحت سيناء • ربما يكونون غدا فى مدن القنـاة • هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟
الموقف العسكرى خطير جدا ؟ لماذا ؟
البكباشى **أركان حرب فؤاد جاسر** من الاخوان المؤيدين - يشرح لنـا الموقف العسكرى على سبورة ، أن يمر الغزاه من ممـر متـلا معناه احتلال كـل سيناء • الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقـدم الغـزاة ؟ لا • مستحيل ؟ ما العمـل اذن ؟
ويأتى الينـا **صوت فؤاد جاسر** حزينـا ، ممزقا ، مكسـورا :
- لابـد من انسحاب جيوشنا الى ضفـة القنـاة •
وفى صباح يـوم **٣٠ أكتـوبر** نسمع خبـر صدور الأوامـر بالانسحاب من سيناء ! لم تعـد الحرب نظاميـة بين جيوش فقط • انهـا حرب شعبية• وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينـا صـوت **جمال عبد الناصر** من الجامع الأزهـر ••
سـنقاتل •• سـنقاتل ••
وتصل أخبار حمل **الشعب للسلاح** في مـدن القنـاة وفـى القاهـرة • ليقـاوم الغـزاة !
دماؤنا تغلى • وأعصابنا لم تعـد تحتمل • هذه ارضنـا ونحن اخلص ابناءها • ايدينا التى يكبلها الحكام يجب ان تحمل السـلاح مع الشـعب فى وجـه المعتدين العزاة • وأصحب **زكى مـراد** فى صباح اليـوم التـالى للعدوان على بلادنا ونذهب الى **المأمور** ، فى الطريق الى مكتبـه نتفق علـى كل شىء • دون أى مقدمات يقول **زكى مـراد** :
- نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتى :"**اذا لم يصدر قـرار الافراج عنـا فـى ظـرف ٤٨ ساعة من الآن فعليهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنـا •**
ويلاحظ **المأمور** الانفعالات على وجهنـا فيقـول بصوت ودود :
- يا جماعة أصبروا •• •• الحكومة عارفـة موقفكم الوطنى العظيم ••
وأقـول بغضب ••
- لم يعـد **شرف** معرفتها لموقننـا لـه أى أهميـة ••
ويحاول المأمور تلطيف الموقف ••
- ده برضه بساعدنى فى مسالة **الافـراج ••**
- **لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضـه**
- أنتـو عارفين - الرئيس مشغول فى المعركة •
- ونحن •• السنا جـزءا من هذه المعركـة ؟
- يعنى ••"المسألة تحتاج لبعض الاجراءات
ويقـول **زكى مـراد** بغضب :
- اجراءات أيـه ؟ دى كلمـة يقولهـا ••

وأكمل ٠٠

ـ ولابد أن يقولها ٠٠ والا ٠٠

ويقول المأمور ٠٠

ـ طيب أدونى فرصة كافية ٠٠

ونقول بحسم :

ـ ٤٨ ساعة من الآن ٠٠ ليس أكثر ٠

ـ وأنا فى ايدى أيه ؟

ـ فى ايدك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة ٠٠ الآن ٠

ـ سأفعل ٠٠

ـ واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف آخر ٠

ـ زى أيه مثلا ؟

ويقول زكى مراد :

ـ سننتظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة المستعمرين ٠

ويقاطعه المأمور :

ـ وأنت عارف اننى لا أملك هذا ٠٠

ـ طبعا نعرف هذا ٠٠

ـ اذن ما الذى تنتظره منى ؟

وارد عليه :

ـ أن تقوم بتنفيذ ما يمليه عليك واجبك

ويسأل المأمور :

ـ واجبى الوظيفى ٠٠ أو الوطنى ٠

ـ نتمنى أن يكون الواجب الوطنى

ـ وأكل عيشى ؟

ـ هذه ظروف استثنائية

ـ لكننى موظف أولا ٠٠

ـ فى مثل هذه الظروف انت وطنى أولا ٠٠

ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى

ـ لا استطيع الا أن انحنى احتراما لكم ٠٠ لكن أرجو أن تقدروا موقفى ٠

ويقول زكى مراد :

ـ نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنى ٠٠

ـ وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ٠٠

ـ وأقول :

– نعرفه جيدا ·· ستطلقون علينـا **الرصاص** عند خروجنا من **السجن** ··
– وهل أنتم مستعدون لذلك ؟
ويـرد زكي مـراد بحسم :
– كل الاستعداد ·
وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجـه المأمور :
– سيسقط منكم **ضحايا** ·· والباقى لن يخرج ··
– لا سنخرج جميعـا من بـوابة السجن ·· **أحياء أو امواتا ·**
ويتساءل المأمور :
– وما الذى تجنونه من وراء **ذلك ؟**
وأقول سـاخرا :
– حتى تصل المأسـاة الى ذروتها ·
لحظـة صمت تمـر كأنها دهـر · نلاحظ خلالهـا وجه المأمـور يجسـد ما فى داخله · هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه · خروجهم من باب السـجن ليس لـه سوى معنى واحـد · هو محاولة الهروب · والقانون صـارم ، **اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب** · هؤلاء أول مسـجونين يعلنون عن عزمهم **للهروب** ويحددون لـه موعـدا · وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانمـا كى **يموتوا** فى ساحة الشرف · عجبا **لهم** من بشر·· **يهربون للمـوت** ولبس للحيـاة ·
– وفجأة يسأل المأمور :
– هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،
ونقـول فى نفس واحـد .
– وفـورا ·
ويتنـاول **زكي مـراد** الورقة والقلم من **المأمور** ويسـجل عليها مطالبنـا · الافـراج عنـا كى **نمـوت** فى سـاحة القتـال برصاص الغـزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنيـة على بـاب السجن · ويوقع وأوقع بعـده ·
– واضح أن الحكاية جـد خالص ·
– عهـدك بنـا لا نقول الا الجـد ··
– اذا أعطونـى فرصة للتصرف
– نرجو أن يكـون بسرعـة ·
سأذهب فـورا الى المحافظ وأطلعـه على ما دار بيننـا وعلى هذه الوثيقة· وأطلب منـه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونهـا ·
– نأمل أن نعـرف النتيجـة على وجه السرعة
ويقـول ضاحكـا :
– ربمـا يحتاج الأمـر اطالة مـدة **الانـذار** ٢٤ ساعة ·

ويقول **زكي مراد** بحماس شديد :

ـ ولا ساعة واحدة ··

واكمل :

ـ وهو ليس انذار ··

ـ ما هو اذن ؟

ـ هو موقف ·· والانسان موقف ·

ويضمني **زكي مراد** بحب ، ويقول :

ـ عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك ·

ـ ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم ايضا ·

ويطلب المامور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند المحافظ، فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعده أن يسمع القصيدة · ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالواحات الخارجة فى ذلك اليوم · اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطني.والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لاكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين · كان الراديو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اذاعات العالم · وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الترانزستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى ·

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أشار الى خبر هام ··

ـ الرئيس **جمال عبد الناصر** يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى ولكل القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماريين والصهاينة والغزاة ·

وتلتهب الأكف بالتصفيق دقائق · وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة ·· وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات ·

ـ الاذاعة توقفت عن الارسال ·

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى اجسامنا · لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بذل دماؤنا فوق ترابك المقدس ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى نبذلها فداء لك يا مصر يا حبيبتى ·

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

ـ تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التى تعطلت ٠

اكف الحاضرين تلتهب من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر ٠واعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدها ينشد زكى مراد قصيدته ٠ ثم نردد مع أم كلثوم ٠٠ **والله زمان يا سلاحى اشتقت لك فى كفاحى ، أنطق وقول أنا صاحى يا شعب والله زمان** ٠٠ **ومع فايدة كامل ٠ دع سمائى فسمائى محرقة ، دع مياهى فمياهى مغرقة** ٠٠ الخ ٠٠

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هادئة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلاله ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى شموخه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شىء ٠٠ حتى الموت ذاته ٠

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا انباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى اخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

---

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد ٠ النائب لأول مجلس للأمة عن دائرة روض الفرج ٠ اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترفع عنه الحصانة البرلمانية ٠

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتــى

ذات يــوم من الأيــام الأولــى فى شــهر **نوفمبــر ١٩٥٦** حملت الينــا زيــارة من أهالينــا انبــاء هامة أعطتنــا أمــل الاشتراك فى معركــة مصر المقدســة ٠ وازاداد أملنــا حين ســمعنــا اخبارا أخــرى من مأمور السجن ٠ الحكومة توزع الســلاح على الشعب ٠ **زملاؤنــا** فى الخــارج بالاتفــاق مــع **الحكومة** يقومون بتعبئــة الجماهير فى المعركــة ، وينظمون المقاومة الشعبية فى بور سعيد ٠ الجبهة الوطنية تتحقق من خــلال المعركــة ، والحــريات السياسية تعم كــل مناحــى الحيــاة فى مصر ٠ فقط لــم يبــق ســوى الافراج عن المسجونين السياسين الوطنين ، وهى مســألة قــد أصــبحت أقرب الينــا من حبل الوريــد !

ــ ولماذا لــم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟

وجهنا هذا السؤال الى الزميــل الذى جــاء مع الزيــارة وحمل لنــا هذه الأخبــار ٠

ــ لأنــه يحتــاج الى قانــون ٠

ــ ربما كان الأفضــل أن يصدر عفــو سياســى ٠

ــ بالعكس القانــون أفضــل ٠

ــ حتى يكتســب نشــاطنــا مشروعيتــه ؟

ــ بالضبط ٠ ٠

ــ ونشاطكم ٠٠ أليس مشروعــا ؟

ــ بالطبــع ٠ ٠

ــ من أى شىء يستمد مشروعيته ؟

ــ من صلتنــا بالدولة وعملنــا مع أجهزتهــا ٠

ــ وهــل ننتظــر حتى يصــدر القانــون ؟

ويصيح الزميــل وكــل نبرات صوتــه توحــى بالتفاؤل الشديد ٠ ٠ :

ــ مشروع القانون أعــد بالفعل وسينظر أمام مجلس الأمة ٠

ــ وهــل تضمنون وقوف أغلبيــة مجلس الأمة الى جانبنــا ٠ ٠ ؟

وترتفــع رنــة التفاؤل فى كلمات الزميــل :

ــ عــدد من مجلس الأمة طالبــوا بهــذا فى مقدمتهم ابو الفضل الجيزاوى ٠ ٠ ٠

ويهمس :

ـ اطمئنوا ما دام الريس عاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق .

وأتساءل بسخرية ..

ـ وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟

ـ ليس في ذلك أدنى شك .

ـ اذن فليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .

ـ قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .

ـ وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟

ـ توزيع السلاح ده قرار سياسي .

ـ لكنه يستند الى قانون .

ـ وهذا ما حدث .. وبسرعة ..

ـ ألا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟

ويستنكر الزميل هذا الكلام .

ـ ده بقى موقف ذاتي . !

واقول بغضب :

ـ الافراج عن الوطنيين في ظروف غزو استعماري يبقى موقف ذاتي ؟

ـ الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتي ..

ـ وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتي ؟

ـ طبعا لا ..

ـ لماذا اذن هذا الفصل التعسفي بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين ؟

ـ ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟

ـ أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !

وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتي المأمور ومعه أنباء أخرى ، يقول :

ـ جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .

ـ خيرا ..

ـ شكر وتقدير لموقفكم الوطني المشرف .

ـ تاني !

ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وابتسامته ، سخريتنا :

ـ على العموم لازم تطوهم فرصة ..

ـ تاني !

ـ يا جماعة ليه بس التشاؤم ده ..

ـ على العموم • باقـى من الزمن **٢٤ ساعة** • •
ـ ده بقى بيبقـى انذار •• **مش موقف** • •
ـ ليــه بقـى • ؟
ـ يمكن تعديل الموقف • •
ـ هذا اذا استجدت ظروف تستدعـى تعديله • •
ـ بقى توزيع السلاح على الشعب ، واشتراك زملائكم في المعـركة مـع الحكومه دى مش ظروف جديده ؟
ـ هى بالفعل ظروف جديدة •• تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنــا •
ويكاد المأمور أن يتوسـل الينا • ويقول :
ـ أرجوكم لا تضعونـى فى موقف حرج •
ـ ولماذا تضـع نفسـك فى موقف حرج ؟
ـ سأكـون مضطرا الى القيـام بواجبـى الوظيفـي •
ـ لا تقـم بـه وحـدك •
ـ كيـف ؟
ـ اطلب حضـور المحافظ واتـرك لـه الامـر •
ـ هذا يفسر على أنـه تقصير فى تأديـة وظيفتـى • •
ـ أهون من أن تكـون وظيفتـك هى **اطلاق الرصاص علينـا** •
ويستمر عشرة من الصمت • كان الحوار مـع **المأمور** يدور معنـا على مسمع من أعيننا ومن الزملاء الذين جاؤا لزيارتنـا ، لكنهم لـم يفهموا شيئا من الحوار حتـى آخـر كلمه منـه • لـم يعـكر كـل مـا شـهدنـاه من خوف وهلع وتساؤل فى وجوه الزوار من هدوء أنفسـنا الـذى يعكسـه بريـق الاصرار فى عيوننـا • ويبـدأ **المأمور** محاولة كسـب الزوار الـى جانبه . ولـم تعبر الدموع التى جرت من عيـون **الأم والزوجـة والأخت** ، من موقفنـا ، ويلقـى الزميـل آخـر ما فى جعبتـه •
ـ ده موقف استفزازى •
ـ لمـن ؟
ـ للسـلطة •
ـ لمـاذا ؟
ـ لانهم سيفسرونها على أنها حـرب للمعركة
ـ لكن ما تفسيرك أنـت ؟
ـ الى حـد كبير هو كذلك • •
وتتوالـى تعليقات الزملاء :
ـ البعض يسـتفزون • •
ـ والبعض يطبطبـون • •

ـ اللى ايـده فى الميـه •
ـ مش زى اللى ايـده فى النـــار •
ـ البعض يقاومـــون •
ـ والبعض مســجونون •
ـ يـد تطلق الرصاص على الاعــداء •
ـ واليد الأخرى تطلقـه على الأصدقـاء •
ـ أحسن جبهة وطنيـة •
ـ وآخـر صيحـة نظريـة •

سخريـة لاذعـة تجســد كل ما فــى داخلنــا ، اصرار على الموقــف الذى أخترنــاه ، رمض لكـل الأوهـام التى نسجها زملاؤنـا فـى الخــارج ارضـاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسـى من موقفهم الذاتـى •

ويتوجه المأمور الى عربتـه وقبل أن تتحرك بـه ، يقول لنـا :

ـ أنا رابح اتفـاهم تانـى مع **المحـافظ** •• ونتصـل **بالقاهـرة** •

راديـو القاهرة لا يتوقف صوتـه الذى يسمعه كل من فـى السـجن • يذيـع الأغانـى الثوريـة والأناشـيد الوطنيـة • وآذان بعض الزملاء على كل اذاعـات العالم بتابعـون أخبار الحرب العدوانيـة على بلادنــا • يقطـع المذيـع الأناشـيد والأغانـى الوطنية ويعلن :

ـ قوات العـدو تغزو بورســعد •• المعـارك تدور فى منطقة الجميل • ويعـود الراديو لمواصـلة اذاعة الأناشـيد الوطنيـة • وتغلى الدمـاء فى عروقنـا •

ويعلن المذيـع •

ـ المقاومة الشـعبية تطـارد قوات الاحتـلال ، **بورسـعيد** يا مدينـة البواســل وقلعة الاحرار • قاومى الاحتلال ••

وتعود الأناشـيد •• وترتفـع صيحـات الزملاء تستنكر هذا الموقـف من جانب الحكومة الوطنيـة • انهـا حمـا نقـود الشـعب فى معركـة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركـة ولمصلحة من ؟ وتدور منافسـات حـادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخـر :

ـ ماذا جنيتم من تاييدكم للحكومة ؟
ـ هو موقف سياسـى لا ننتظر من ورائه شيئا •
ـ ومطلب الافراج عنـكم ؟
ـ جـزء من الحريات السياسية •
ـ ومتى يفـرج عنكم ؟
ـ هذا ما تقـرره المعركـة •
ـ قـد تطول ولا يفرج عنكم ؟

ـ لن يغير هذا من موقفنـــا •
ويعلو صوت مذيــع راديو القاهــرة :
ـ الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعتدين الغـزاه •
يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلن بعض الاخـــوان المعارضين
ـ لمصلحة من هذا الانذار ؟
ـ لمصلحه المعركة المشتركه ضـد الاستعمار •
ـ سيكون الثمن باهظـا •
ـ مـــثلا •
ـ احلال استعمار محل استـعمار آخــر ••
ـ **وما رأيـك فــي الآخـــر ؟**
ـ **أهـــون الشريـــن •**
ـ كـــذا •
ـ نعـم •• وما رأيك ؟
ـ مصر الحـــرة المستقله •

وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخـوان المؤيدين • تتوتـر الأعصـاب وتعلو الأصـوات ، تتبـادل الشتائم ، والأيـــدى تتشـابك . وتكـاد معركة تنشـب **بين الطرفين** • لكن صـوت العقـل يعلو ، ويعـود الهدوء • تتوقف المناقشـات والاستفزازات المتبادلة ، ونتفـق علـى عـدم اثـارة اى مناقشات جماعيه والتمسك باحترام كل لمشاعر وفـــكر الآخـر •

صوت « **البروجـى** » يعلو بنغمــة خاصــة تعرف معناهــا المسجونون في سجونهم ، ورجــال الحبس فى تكناتهم . زيــاره أحــد **لـــواءات** الجيش أو البوليس •

ـ أى نوع من اللواءات يا ترى ؟
ـ المحافظ لـواء •• ومدير مصلحه السجون لـواء •• ومدير المبــاحث العامة لـــواء !

العربيــة الســوداء فى مقدمتها عـــلم « **اللــواء** » تجرى بسرعـــة نحـو باب السجن ، وصـوت « **البروجـى** » لا يكف عن الصبــاح ، وراديـــو القاهرة يواصـل اذاعــه الأناشيد والأغانــى الوطنيــة ، وشمس الظهيـــرة اللافحـــة فى الصحراء ، لا تحـول دون وقوف الزملاء تلى باب **السجن** ، وفوق الرمال الملتهبـــة ، فى انتظـــار ما يحــدث ويرتفــع صـوت حاسم •

ـ موقفنـــا كما هو لـــم يتغيـــر •

أذهب أنا وزكى مراد لاسـتقبال اللواء القادم الينا •

ينقدم الينـــا **اللواء المحافظ** وعلى وجهــــه ابتســـامة عريضـة ويســـلم علينـــا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

ـ أحمل أخبارا هامة البكـم ٠
ـ خيـــرا ٠
ـ برقيــه من رئاســة **الجمهوريــة** تعـد بالافراج العاجـل ٠
ـ كنــا نود أن نحمل البرقيــة قــرار **الافراج** ٠
ـ مجلس الأمة سيناقش الأمــر غــدا ٠
ـ ربما نطـول المناقشــة ٠
ـ لا أعتقد ٠٠ مطلوب منــه اصدار **قانون بسرعــة** ٠
ـ وهــل تتحمل أعصابنــا الانتظار وجــزء من أرضنــا تدنســه قـــوات الاحتلال ؟
ـ أعـرف عنكم القدرة على التحمل ٠
ـ نحن غير مقتنعين بهــذا ٠
ـ أجدر بكم أن تثقــوا بقيادة المعركــة ٠
ـ كل الثقــة بجديتهــا فى المعركــة ٠
ـ من المنطقى اذن أن تثقــوا بوعودهـــا لكــم ٠
ـ تجربة الأيــام الماضيــة ـ منذ قرار تأميم القناة ـ علمتنا الحذر ٠
ـ ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفــكم ٠
ـ نرجو أن لا يكــون ذلك تهديــدا ٠
ـ بــل هو واجب الوظيفــة ٠ ٠
ـ نحن لا نعتــرض ٠ ٠
ـ وتعرفــون النتائــــج ٠ ٠
ـ نعرفهـــا جيـــدا ٠ ٠
ـ أنتــم تنتحـــرون ٠
ـ لا ٠٠ وانما نســـجل موقفنـــا ٠

ويضحك المأمور ، ويقــول :

ـ الانســان موقف ٠

ويبدو على المحافظ عــدم الفهم ٠ ويشرح لــه المأمور ما ســـمعه فـــى المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشــة ممزوجه بتعبيــرات الاعجــاب والتقدير ٠ يقــول :

ـ لــم أكن أتصــور الأمــر بهذه الدرجــة ٠
ـ ألــم ينقــل اليكم المأمور حوارنــا معــه ؟
ـ ليس من سمع كمن رأى ٠
ـ وها أنت قــد سمعت ورأيت ٠
ـ وتضاعف حــرج موقفــى ٠
ـ نأســف ٠٠ ونرجو أن تقدروا موقفنــا ٠

وتتوالــى رجاءات **المحافظ والمأمور** وعـــدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

المسلمين الذين كانــوا يتابعون الحوار :
ـ انتظار كــام يوم لن يقلل من قيمه موقفــكم ٠
ـ انتــم فى منزلــة أولادى ٠
ـ فى التانــى السلامة ٠
ـ ألبس لكــم أولاد ؟
ـ وزوجــات وأمهــات ؟
ويذهب **المأمور** الى خيمة **الزوار** ويصطحبهم الينــا :
ـ يا ولادى ٠٠ حرام شبابكم ٠
ـ أولادكم مين يربيهم ؟
ـ وزوجاتكم ٠٠ ليه يترملوا بدرى ٠
ـ وامهاتكم ٠٠ رح تبقــى حالتهم أيــه ٠٠

و ٠ و ٠ و ٠ وبنتحــى بنــا البكباشــى **فؤاد جاسر** جانبــا ويهمس :
ـ أنا رايــى كصديق ننتظروا كام يوم ٠٠
ـ انتظرنــا طوبــلا ٠٠
ـ انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم ٠
ـ ولن يغير أيضــا من موقفهم ٠
ـ وقتئذ يكون الحق معكم تماما ٠
ـ أوليس الحق معنــا منذ زمن ؟
ـ أقصــد حق مسئوليتكم عن أرواح زملائكــم ٠٠

مسئوليتنا عن **أرواح** زملائنا قبــل مسئوليتنا عن **أرواحنــا** نحــن ٠ لكنْ الزملاء ممتلئون حماســا ٠ انهم مقتنعــون تماما بهذا الموقف ٠ القرار ليس قرارنــا ٠ انــه قرار كــل الزملاء وبالاجماع ٠ هــل اهتز اقتناعنــا أمــام كل ما ســمعنــاه ٠ من توســلات ، وما رأينــاه من دموع فى العيــون ؟ هل يكون تأجيــل الموقف ضعفــا منــا ؟ وهــل الاصرار عليــه بعــد كل ما سمعناه ورأيناه يعتبــر موقفــا جامــدا ؟ ٠ موقفنــا واضــح ومحــدد يعرفــه كــل المسئولين وكل أهالينــا وبالتالــى قطــاع هــام من الجماهير ، وقدرتنــا على تنفيذه ليست محل تســاؤل ، الانتظــار عــدة أيــام أخــرى سيكون فى صالحنا فى كل الأحــوال ٠ اذا صــدر **القانــون** من مجلس الأمة ، فقد كسبنا **الافراج** ، واذا لــم يصــدر واتضحــت نواياهم بعــدم الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ونمز بسقط يخلد فــى سجل **الشــهداء** ٠
كان ما يدور فى داخلــى هو نفس ما يدور بداخل **زكى مراد** :
ـ أيــه رأيك يا زكــى ؟
ـ **نعود الى الزملاء ٠٠ نناقشــهم** ٠

ـ أفضـل أن نعـود برأى واحـد •
ـ وما رأيـك ؟
ـ المساومة •
ـ كـم يومـا ؟
ـ أربعـة أيـام أخرى •
ـ موافـق •

وقبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط •
ـ مـا سنتوصل اليـه يتوقف تنفيذه على موافقة كـل الزملاء •

ويبتسـم المحافـظ • •
ـ يعنى الرجوع لمجلس الأمـة •
ـ تقريبـا •
ـ ماذا تقترحـون ؟
ـ التأجيل أربعـة أيـام • •
ـ خلوهـا سبعة أيـام • •
ـ ولماذا سـبعه ؟
ـ اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمـر بنفسـى •
ويسـتطرد المأمـور •
ـ وينتهـى مجلس الأمـة من المناقشـة • •
ـ نقسـم البلد نصـفين •
ويضحك المأمور :
ـ يبقـى خمسة أيـام ونصف • • بلاش كسـور •
ـ اذن خمسة أيـام • •
ـ لا سـتة • •
ـ اذن اتفقنـا • •
ـ ليس قبل موافقـة الزملاء •

ويذهب معنـا الى الزملاء ، **فؤاد جاسر وحسين حموده** وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين • وبعـد اجتماع يستمر أكثـر من سـاعة نبـذل خلاله جهـدا مكثفـا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنـا خلال الحوار مع **المحافظ والمأمور** ، وتارة أخـرى بشرح الظروف الموضـوعية الآن ، وبعـد التأجيل ، وانهـا سـوف تكـون فى صالح موقفنـا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجمـاع الكامل •

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قـرار الزملاء جميعـا بالموافقـة ، تتهلل وجوهم فرحـا ، ويعـدون ببذل كل الجهـود حتى يفـرج عنـا •

وتجرى الاحداث بسرعـة مذهلة ، مع كل حـدث ترتفع موجـة التفـاؤل وتتوقع افـراجا سريعـا ، لكن حدثا بعينـه يدمع بقصبة الافراج عنـــا الى الخلف ، وبدفع فى نفس الوقت المعـركة الى بـداية النهاية ٠
أحكى لك عنـه فى الرسالة المقبلـة يا حبيبتى ٠

٢٣ يوليـو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتـــى

فى نفس اللحظـة التى توقف فيهـا القتـال **يـوم ٦ نوفمبـر** ، ألغينـا قـرارنا الذى حدثتك عنـه فى رسالتى السابقتين · أحس بنمنيك نتحركان لتسألنى سـؤالا أعرفـه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطـلب المزيـــد ·

قـرارنا السـابق الذى ألغيناه كانت حيثياته تتلخص فى كلمـــات : ان ننتهى جسديا **برصاص الحكومة الوطنية** ، خير من أن نمـوت مـــن الداخل حين نـرى أرضنـا المقدسـة تدنسها أقـدام الاستعماريين الصهاينة، ونحن هنـا فى السجن **مكبلون** · ولم يكن قرارنـــا هـذا بسـبب الرغبـة فى الاستمتاع بحيـاة آمنـة مستقـرة بين الأهل والأصدقاء ، وانمـا كان لهـدف محـدد هو أن **نخـرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة** · وكنـــا على استعداد للعودة الى **السجن** مـرة أخـرى اذا لم ننـلشرف **الاستشهاد** فى ميـدان القتـال ، اذا ما اشترط الحكام ذلك ! كـان موقفنـا يا حبيبتى صادقا كل الصـدق ، غايته محددة ووسيلته جـزء مـن هـذه الغـــاية ، فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لهـا ، كمـا يفعـل الانتهازيـــون والوصوليون · ان كانت غايتك شريفـة فيجب أن تـكون وسيلتك الـى هذه الغـاية شريفة حتى ولو كـان ثمنهـا **المـوت** ·

هذه المعـانى كانت محـور حديثنـا مع **مامور السجن** بعـــد انتهـــاء المـدة المتفق عليهـا كى نعلن تمـردنا ونخرج **من باب السجن** اذا لم يفـرج عنـا وبالتالـى نتعرض **للرصاص** ، قـال :

ـ أقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقـوا ··

ـ سننتظر طويلا ·· ربما حتى انتهـاء مـدة **عقوبة السجن** وربمـــا سـنوات أخرى **بعـدها** ··

قـال بدهشـة :

ـ وموقفكم السـابق ·· هل عدلتم عنـه **؟**

ـ لـم يعـد لـه ما يبـرره ·· **والغيناه** ·

ـ هل يمكن أن أعـرف السبب ؟

ـ ليس خوفا أو جبنا ٠
ـ لم يبدر هذا بخاطرى ٠٠
ـ وانما لأن الظروف قد تغيرت بعد وقف القتال ٠
ـ ظننت انكم وجدتم فيها فرصة للضغط ٠٠
ـ عفوا ٠٠ وبعض الظن أثم ٠
ـ ربما لأنى لا أفهم العلاقة بين موقفكم الحالى وبين وقف القتال ٠
ـ كانت غايتنا أن نخرج من هنا الى ميدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى حيا منا ، اذا اشترط ذلك الحكام !

دقات نداء العشاء تدعونا ، ويقبل المأمور والضباط دعوتنا لتناول الطعام معنا ٠ ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال ادارة السجن ، أثناء تناول العشاء ، وخلال الحفلة الساهرة ، التى أحياها الزملاء لمناسبة وقف القتال ٠

كانت هذه أول حفلة نقيمها منذ بدأ العدوان على بلادنا ٠

وبعد انتهاء الحفله وقبل أن ينصرف المأمور ، عائدا الى منزله يقول :
ـ كل يوم اكتشف فيكم جديدا
ـ نرجو ان يكون محل تقديركم
ـ كل التقدير
ـ وما آخر جديد اكتشفته ؟
ـ قدرتكم على العطاء كبيرة
ـ ولكنهم يحبسونها هنا فى قلب الصحراء ٠
ـ ورغم ذلك فعطاؤكم لا يتوقف ٠٠ حتى فى الصحراء !

كان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى سجن « جناح » بالواحات الخارجة ٠ كما قلت لك يا حبيبتى فى رسالة سابقة ، اننا وصلنا الواحات ولم نكن بها الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة ٠ وكان أول ما قمنا به هو توصيل المياه الى السجن ، واعداد مطبخ لطهى الطعام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى ٠ بعد ذلك قمنا باعداد « كافتريا » نتناول فيها وجبات الطعام ٠ ونستخدمها فى القاء المحاضرات ، كما كنا نستخدمها كمدرسة ٠ أكثر من ٢٠ مسجونا من المسجونين العاديين الذين جاءوا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعدادية ، وبعضهم حتى الثانوية العامة ٠ واثنان التحقا بالجامعة ، وأكثر من ١٠ سجانة واصلوا دراستهم ومنهم من التحق بالجامعة ٠ فى نفس الوقت فتحنا فصول دراسية للزملاء الذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغات المختلفة ، والرياضة ، والرسم ٠

كثير من الزملاء تعلم الرسم على يد وليم اسحق وسعيد عبد الوهاب وكان « الملك الصحراء » خيمة خاصة يستخدمها كمرسم بعد أن قام هو بنفسه بصنع الحامل والبراويز التى يشد عليها القماش ٠ ان عدد

اللوحات التى رسمها ولم اسحق للزملاء . وللزوار من أهالينـا ، وللسجانة والضباط نكفى لأكثر من ثلاثة معارض كبيرة • كان أمـلا « لملك الصحراء » بعـد أن توقف عن الرسـم ما يقـرب من أربع سنوات ، أن يرسم • وتكاتفه الزملاء جميعـا كى يحققوا لـه هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفـر لـه كل ما يلزمه من مماس وألوان زيت وجواش وورق وخلافه •

ما زالت صوره وليـم فى ذاكرتى حين وصله أول طـرد بـه القماش والألوان والفـرش • احتضنهم بحب وأخـذ يجـرى فى انحـاء السـجن يصيح :

ـ راح ابتـدى ارسـم تانى •• أنا ملك •• أنا ملك •

ـ ملك أيه ياوليم •• ما خلاص مفيش ملوك ••

ـ لأ فيـه •• أنا ملك •• أنا ملك الصحراء

ـ لكن أنت ما تنفعش ملك يا وليم •

ـ مش الملك يملك ••

ـ وبيقولوا أنه لا يحكم

ـ أنا أملك الآن ما استطيع أن أعبـر به بالفن

ـ تبقى ملك الفن ••

ـ لأ •• ملك الصحراء •• لأن فى هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيهـا فـن •

ـ يعنى مش راح تحـكم

ـ لأ •• سـايب لكم الحـكم ••

ويكمل ضاحكـا ••

ـ فى المشمش طبعـا !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويز الخشب ليشـد عليهـا قماش الرسم • وظل طول الليل يصنع كرسى خاص ليجلس عليـه أثنـاء الرسم وبعـد « الطبيعة الصامتة » التى سيرسمها فى الصباح، كنت معـه كل تلك الساعات أقـوم بعمل صبى النجار حينا ، وصبى الفنان حينـا آخـر ، وبين الحين والآخـر نعمل قهـوة « بن غامق » • !

ـ يا درش البن ده قشطه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونـانـى فى شـارع شبرا ، عارفـه ؟

ـ مش واخد بـالى يا ملك ••

ـ يا أخى اللى جنب الملة « مملة شبرا » المشهورة ••

ـ أيوه •• أيوه •• افتكرت •• لكن يعنى لازم البن ده ؟

ـ مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » •

وكان يرفض باستمرار أن يقـوم أحـد بعمل القهوة •

ـ أصل عمل القهوة فن

ـ طيب أولع لك الوابور •
ـ وابور أيه بس •• هيــه برضه القهوة تتعمل على وابور
ـ أمــال تتعمل على أبــه ؟
ـ على نار هادية جـدا
ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، ويضع عليهـا قطعـا من غصـون الاشجار الجافـة بعـد أن يقطعها قطعــا صغيره . ثــم يشعل فيهـــا النــار ويتركهــا حتى تتحول الى جمــرات :
ـ طيب أحط الميــه والبن والسكر ••
ـ أيــه هــوه •• كــده مــره واحــدة •
يأتى بالكنكــة ويبـدأ بوضع البن ، ثــم السكر ، ثـم الميــة •
ـ ولازم بهـذا الترتيب ••
ـ طبعــا •• دى بقى اسمها كيمياء •• ملعقــة صغيرة من البن لكــل فنجــان و ½ ملعقــة صغيرة من السكر ، ثــم تضع الميــه ، ودى برضــه بالمقاس • المية تبقى أقل شــوية من سعة الفنجان •
ـ وبعدين نقلب بالملعقــة ••
ـ شــوية قبل وضعها على النــار •• وبعدين أثنــاء وضعهــا على النار الهــادية •
ـ ونقعد قـد أيه بقى على نارك الهادية دى ؟
ـ أنا برضه نارى هادية يا درش •• ؟
ـ مش قصدى ••
ـ ده أنا مولع من جــوه ••
ـ نار القهوة « الهادية » دى عاوزه بيجى ساعة علشان تغلى •
ـ وماله مش لازم المســائل تنضج ••
ـ طبعــا •• بس مش على الهادى قــوى كده ••
ـ بالضبط •• يعنى على النــار المناسبة •
ـ وانت متأكــد ان هيــه دى النــار المناسبة ؟
ـ التجربة الذاتية •• فضلا عن تجربة الملايين تؤكـد هذا ••
ـ طب الذاتيــة وفهمناها •• امــا حكاية الملايين دى تبقــى أيــه ؟
ـ ملايين الفلاحين يا درش •• القهوة •• والشاى •• والأكل •• كلــه على النــار الهــادية دى !
ـ معــاك حق •• اقتنعت •
ـ نشرب القهــوة •• هات الفنجان البنى •• يــدى للقهوة طعم •
ـ آهى دى بقى مش فاهمها •
ـ أولا • أنا أحب اللون البنى ، لأنــه لون مصرى أصيل • وثانيــا : القهوة البنى ، أغمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى •

ـ حبيبي .. انسان وفنان .
ـ ايه ده .. اكتشاف جديد .
ـ أبـــدا .. انمـا تأكيـــد حقيقة ..
من يملك تكوينـــا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القـــدرة على التعـــامل الانساني مع البشر ، وانمـــا على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملـك الصحراء » في اعداد مادة اللوحة التي سيقوم برسمها في الصباح « حنظل » جمعه من الصحراء ، و (دوم) كان قد أوصـــى أحـــد السجانة بشرائه مـــن « جنـــاح » زهـــور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فـــروع شـــجر الخروع . يضعها بطريقة ثـم يتأملها من بعيـــد ، ويعود الى ترتيبها مـــرة ثانيـــة بطريقة أخـــرى .. وثالثة ورابعـــة .. و . و .. وأروح في نـــوم عميق . وفي الصباح الباكـــر أرى وليم وقـــد جلس أمـــام الحامل والفرشاة فـــي يـــده . وعلى اللوحـــة خطوطا وألوانا . جلست أتأمـــل هـــذا المشـــهد الانساني . ما الذي يجـــري داخل هذا الفنـــان وهو يمسك بفرشاته لأول مـــرة منـــذ أربع سنوات ، منـــذ انتزعوها منـــه ؟ ما الذي سيخرج مـــن أعماق هذا الفنـــان ، بعـــد كل ما لاقاه في ســـجون مصر ، وأبي زعبـــل وليمان طره ، والواحـــات طـــوال أربـــع سنوات ؟ ما الذي يريـــــد أن يقولـــه ، حين وضـــع « الحنظل » المـــر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عبـــاد الشمس ، والورود التي زرعناها هنـــا في الصحراء ؟

تجري يـــده بسرعة على اللوحة ، خطوط . ألوان ، أتأمل اللوحة تـــارة ، وتارة أخـــرى اتأمل ما يجري على وجه هذا الفنـــان من انفعالات . وفجأة ــ رأيت على وجهه ما لم أره أبـــدا من قبل خلال سنوات السجن . هل يمكنك يا حبيبتـــي تصور تعبيرات وجه أم وهي تـــرى طفلهـــا يذبح أمامها ، وهي لا تستطيع انقاذه ؟ بالهول ما رأيتـــه على وجه الفنـــان الصادق الذي يريد أن يعبر عما في داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكـــــل كيـــانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمـــة . وظل صراعه العنيف ضـــد احســـاسه بالهزيمة أكثـــر من ســـاعة . القى بالفرشاة وخشبة الألوان جانبـــا ، والتفت الي وعلى وجهـــه ابتسامة تحـــد :

ـ مش هو ده اللي أنا عاوز أقوله .

وأنظـــر الى اللوحة بالوانها الجميلة وأقول مشجعا :

ـ مش من أول مرة يا وليم .

ويخرج من أعماقه تنهيـــده طويلـــة ويقول :

ـ ودي أول مـــرة ارسم فيهـــا يا درش ؟
ـ قصدي يعني منـــذ أربع سنوات .
ـ طيب وانت أيـــه رأيك في اللوحـــة دي ؟
ـ المهم رأيك أنت الأول .

ــ لو شفت اللوحــة دى فى معرض تلفت نظرك ؟

ــ .ما .انت عارف ياوليــم أنا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيــد عــن معلوماتى عن اللغــة الهيروغلوفية ٠

ويمسك بحجر ويلقى به ويخرق اللوحة ويمزق القماش . ثم تقول :

ــ ما تعمل لنا فنجان قهوة ٠

ــ وأقــول ما زحــا :

ــ هو انا برضه أعرف أعمل قهوة ٠

ويبتســم ابتسامة باهتــه :

ــ زى بعضــه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » ٠

بقــدر صــدق الانسان مع نفســه بقــدر ما يكون احساسه بالهزيمــة كبيــرا ٠ وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهــارته وبراءته وتلقائيته ، حقيبة جسدها لى وليــم اسحق الفنــان ، حين ظــل لمدة شهر كامل ، رســم خلاله أكثــر من عشر لوحيات ويمزقهــا ٠ وفى كل مــرة كان يعانى آلاما تفــوق طاقــة البشر ، حتى أننــا دون أن نشعر ــ فهو يرفض بشراســة أى مجاملة أو عطف ــ كلفنــا الزمــلاء الذين يتجــاوب معهم انسانيا ، بألا يتركــوه وحــده أبــدا وكنت أنــا الازمــه طــول الوقت فيمــا عــدا الأوقات التى أكون مشغولا فيهــا ٠ وكثيــرا مــا كــان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجيــة » بــدلا منى حتى لا أترك وليــم ٠

وذات يــوم لازمتــه منــذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قــد بدأهــا ٠ وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه ســوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعــانى منهــا طوال شهر كامل ٠ فى الدقائق الأخيرة كان يضــع اللمســات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكســو وجهــه ، ووضــع الفرشاة جانبــا وقــال :

ــ نعمل بقى فنجان قهوة ٠

ــ بطريقة الفلاحين والا المثقفين ؟

يضحك من اعماقه ويقــول :

ــ لا ٠٠ بطــريقة الفلاحين طبعــا ٠

وجلس يتأمل اللوحة ، وقــد استغرقه عالمــه الخاص ٠ وجلست الــى جانبه اتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخــر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبــه انتصر على الهزيمة بعــد ان عانى منهــا طويلا ٠ بعــد أن رشف بلذة كبيــرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قشطة اليمن » سألنى :

ــ أيه رأيك بقى يا درش ؟

قلت مازحــا :

ــ فى اللوحــة والا فى القهوة ؟

ويبادلنى المزاح :

ـ فى المهوة طبعـا ٠
ـ لا ٠٠ دى قهوة مدفمين ٠
ـ طيب وفى اللوحـة ؟
ـ فبهـا ما نريـد أن تقوله ٠
ـ لكن رأيك انت أيـه ؟
ـ ما تقوله رائع وعظـم ٠
ـ بلسانى أم بفرسانى ٠
ـ وهل يمكن الفصل ؟
ـ كثيرون يفعلون ذلك ٠
ـ ليسوا فنانين ٠ عم آفاقون ٠
ـ لكنهم فى الصورة ٠
ـ مزيفون داخل اطار صورة مشوهه ٠

ويستمر حوارنا متصـلا ، نتحدث ، ونشرب قهوة بطريقـة الفلاحين ، ونسمع موسيقى بيتهوفن وباخ وشوبان ، ونتأمل الصوره ، ونمشى وسـط الصحراء خارج الخيمة ثم نعـود اليهـا ، ونعـاود التأمل فى الصـورة ، وتمتزج أشـعة الفجـر ، مـع صـوت الموسيقى مع حوارنـا الانسانـى ، مع نظراتنا الجانبيـه الى اللوحـة ، ونعيش لحظـات فى عـالم خاص ، ونتمنى أن يكـون هذا هو عالم الناس كلهـا ٠

ـ فجـر يـوم جديد ٠
ـ هو آت لاريب فيـه ٠
ـ أحلم أن يكون كمـا أراه فى هذه الجظـة ٠

وأفيق من حلمى على صوت ينـادى على :
ـ يا زميل منتظرينك فى «**الفرن**»

كنت أذهب الى « الفرن » ثلاث مرات فى الأسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصـى « **فـرد عجينة الخبز بالنشابة** » ٠ وعن نظـام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنهـا فـى رسالتى القبلة يا حبيبتـى ٠

٢٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٦)

حبيبتـــى

قبل أن أدخل السجن قـرأت وكتبت كثيرا عن الكادحين وعرمهم وآلامهم ، غير انى لـم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت **كادحـا** ما يقـرب مـن ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** ٠

منـذ اللحظة الأولى التى وصلنـا فيهـا الصحراء ، لم يكن أمامنـا كـى نعيش سـوى أن نتحول الى كادحين حقيقين ، نأكل من عرقنـا وكدحنـا ٠ كنـا ثلاثين كادحـا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كـل مقومات الحياة الضرورية ٠ وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقـوم كـل واحـد منـا بعمل يومى عـام فى المعسـكر ، وعمل آخـر خاص فى خيمـة السكن ٠ فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمـال العـامة ، خبـازين ، وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخترت أن أكون خبازا وكـان تخصصى «فـرد » رغيف العيش وهو عجينـة « بالنشابه » ٠ والعمل فى الفـرن يبـدأ مع **غـروب** شمس كل يـوم حتى **ظهـر** اليـوم التـالى ٠ المتخصصون فى العجن واللتّ يذهبون مع غروب الشمس يمزجون الدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتون حتى يصـبح للعجينة « عـرق » ، فيغطونهـا باجولة من الخيش ، ويشترط فى هؤلاء الكـادحين أن تكـون صحتهم جيـدة ، وعضلاتهم قـويه ، وأجسامهم طويلة ٠ وقبـل الفجـر بقليل يذهب الى الفـرن متخصص آخـر ٠ يمسك بطـرف أصابعه قطعة من العجين ليـرى قـوة « العـرق » فيهـا ، ثـم يذوقها بلسـانه ليتـأكـد من « **حدقهـا** » ٠ اذا وجـد كل شىء على ما يرام نادى على فـريق العمل ويقسم الى اثنين يقف كل منهما على « **عين** » الفـرن ، واثنين يضعان الخشب والحطب تحت « **صاجة** » الفـرن ويراقبان اشتعال النـار ، كلما خمد لهيبها يعطـونها المزيـد من الحطب ، واثنين يقفـان على « ماجـور » العجين ويشترط فيهمـا أن تكـون عضلاتهما قـوية ، حيث مهمتهما أن يخرجا مـن « الماجور » كمـة مـن العجين لا يقل وزنهـا عن **١٥ كيلو** ، ويضعاها على « الطاولة » حيث يتلقاهـا اثنـان آخران أحدهمـا يقطع بيـده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنهـا الثانى ، ثم يدفع بهـا الى أربعـة من حاملى « النشـاب » الذين عليهم أن « يفـردوا » القطع الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق والمنفوخ ٠ وطبعـا هنـاك فـرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لاحصر

لها بين المدينة والريف · وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيف يحملها بمهارة من يضعها على « **الكريك** » ليدفعها آخر الى عين الفرن · وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون في يد كل منهم سفنجه مبلوله بالماء يمسح بها بسرعة « **وجه** » الرغيف حتى « **يلمع** » · ويقوم آخرون برص الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على « الخيام » · كل خيمه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة في اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة ·

في أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج في الفجر من تحت أربع **بطاطين الى برد الصحراء القارص** ، وأسير في الخلاء حوالى **٢ كيلو متر** حتى أصل الى **الفرن** · وقبل خروجي البس ملابس داخلية « كستور » ثم بدلة السجن « العبك » ، وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح **ببطانيتين**· وفي كل مرة كنت أحسب أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ، كان « **سرسوبا** » أو « **سرسوبين** » أو عدد من « **السراسيب** » **تخترق** جلدى ، ولحمى لتستقر في عظامى باردة **كالثلج** ! · وكنت أجرى بسرعة **الى حيث الدفء** في الفرن ، وعند عودتى من العمل في عز الظهر والشمس عمودية على رأسى مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب **بضربة شمس** ، وأحمل البطانية **الأخرى** والبلوفر الصوف · وبداخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه **الأرغفة** الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين في الفرن الذين يبدأ عملهم في الفجر فقط ·

وفي أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس **الأولى** يبدأ الجو في السخونة التى تمتصها الواح الصاج فوق رؤسنا في **الفرن** ، ترسلها الى اجسامنا بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق التى تخرج من احسامنا · ولا يأتى الظهر الا وتكون أجسامنا عارية تماما ، الا من « الشورت » طبعا !

ودون مبالغة ، كان « **خبزنا** » أفضل من « **خبز** » القاهرة ، ولا يقل جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة **مأمور السجن وضباطه** الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالى الذين حضروا الينا في زيارات ما شهدت به ادارة السجن · وكنا نعطى لكل زائر ٣ أرغفة يأخذها معه عند عودته ، بالاضافة الى ما كان يأكله خلال الزيارة التى كانت تستمر يومين متتاليين ·

ودون مبالغة ـ مرة ثانية ـ تمكنا من صنع كحك العيد وبسكويت وغريبة بمناسبة الأعياد · كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » في

المناسبات المختلفة خاصه فى اعيـاد ميلاد الزملاء · لكن ذلك لم يحـدث الا بعـد فتـرة أدخلنـا خلالهـا التحسينات الضرورية · فقـد بـدأنا « بتكنولوجيا » محلية · ثـم استوردنا تكنولوجيا مناسبة للبيئـة · فمثلا بدأنا « تحميه » الفـرن بنيران الحطب ، واستهدينـا الى اسـتخدام « السولار » · كذلك المطبخ بعـد أن كنـا نطبخ على « الكانون » · وعلى صفائح ، أصبحنا نطبخ فى « حلل » كبيرة وعلى « بوابير » كبيرة تشتعل بالسولار ، كتلك التى نراها فى المطاعم الشعبيه وعنـد « بتوع الطعمية » · وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المتمسكين بالقديم ويرون ان الأساليب البدائية نعطى « نكهـة » « خاصة » « للطبيخ » وللخبز · وبين المتحمسين بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفـر الجهـد والوقت · وكـان انصـار القـديم يضعون الجهـد الاكثـر نظير الطعم الألذ والأفضل · ويـرد عليهم دعـاة الجديد بأن الجهـد الأقل نظيـر الوقت الأطول للثقافـة والتـزود بالمعـرفة ، وخـلال المناقشة يطرح أحـد الخبثاء سؤالا · أيهما أكثـر متعه . الطعـام اللذيذ ، أو قـراءة كتـاب ، أو سماع قطعه موسيقية · والطـريف ان بعض الزملاء وقعوا فى « حيـرة » السـؤال الخبيث فـراحوا يتبـارون

— أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسـمة ·

— أمال عامل زى عجايز الفرح ليـه مش عاجبك الأكل ؟

— أنا لم أنتقـد الأكل الا فى الأيام الأخيـره ·

— يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » ·

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ··

— تبقى من أنصار القـديم ··

ويـدرك « المطب » الذى استدرج اليـه ويشاركهم الضحك والتصفيق ·

والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى السجن وفـر لنـا كثيرا من الجهـد والوقت · وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافى والفكـرى والفنـى ·

فقـد استطعنـا تنظيم وقتنـا بصورة دقيقـة سـاعدت الجميع علـى التحصيل الفكـرى والثقافى بشكل كبير · فقـد كتب المرحوم « خليل قاسم » روايته الشهيرة « الشمندورة » وكتب صلاح حافظ مسرحية « الخبر » ، وكتب مجدى فهمى كتـابا عن « التفسير المادى للتاريخ » . وترجم حلمى طوسون « مبادىء الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادىء الاقتصاد السياسى ومعظم أشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فتـرة سجن جناح ، وتعلـم عـدد من الزملاء لغـات جديدة ، انجليزيـة ، وفرنسية ، وروسية ، هـذا الى جانب النشاط المسرحى فقـد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حـافظ ورؤوف نظمى وعبد المنعم سعودى ·

هكذا بدأنا من الصفر ببدائيات بـدو الصحراء الى امكانيـات تقـرب ·

(م ١٥ ـ الرسائل)

من مثيلاتها في المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحلة نوادى سياسيه وثقافيه ومرسم ومسرح • وتحولنا نحن من كادحين في بلاد شديدة التخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة في اليوم ، الى كادحين في بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات في اليوم ! لقد تمكنا من تحويل هذه البقعة من **الصحراء** الجرداء الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير تسوده المساواة التامة . لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدويا لا فرق بين زميل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نقود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليلة كحوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمثاليته من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة في الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة •

ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاشتراكى وشعاره « من لايعمل لاياكل » مجرد تصور نظرى • وحين طبقنا هذا الشعار في تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لقد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى قضيناها في سجن « **جناح** » ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة في الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نجحنا أيضا في تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تثقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفي مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير اما أن ينجح **مسجونون** في ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحرية فهو **أسطورة** ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء بدأ بنكتة من أحد الزملاء العمال :

– أنا شخصيا مبسوط جدا هنا •

وتلقى النكتة زميل عامل آخر

– نعمة يحفظها من الزوال •

باستنكار يقول زميل مثقف :

– مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هى كل شيء •

– ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان •

ويرد المثقف :

– دى نظرة ضيقة الأفق •

– ليه بقى ؟

– أن تفضل الأكل على الحرية •

ويضحك زميل ثالث من العمال :

– وقع فى « المطب » ·· وهل هنــاك تناقض بين الاكل والحريه ؟

– أصل لــه مفهومه الخاص عن الحــريه ·

ويغضب الزميل المثقف ··

– أفهم من كــده أنكوا تفضلوا **السجن** « عنــا » عن الحريــة ·

ويقول الزميل الأول الذى بــدأ الحوار بنكته

– ببساطة ·· نتمنى الخروج من السجن ·· ونرجو أن نتوفر لنــا فى بيوتنــا ما ناكله هنــا ··

وتبــدو « الدهشــة » على وجه الزميل المثقف :

– للدرجة دى ؟

– وأكثــر يا زميل !

– ازاى ؟

ويصيح الزملاء العمــال :

– لا بقى ·· ده مش معقــول ·

ويدرك الزميل المثقف – متأخرا – أنه **نسى** ما عــرفه وسمعه عن حيــاة العمال والكادحين ·

هذا الحوار يا حبيبتــى لــم يحدث بالطبــع · وانما هو صــورة فنية أردت بهــا أن أجســد لك حقيقــة عــارية · الانفصــام بين الفكــر والممارســة · كثيرون من أبنــاء الطبقــات المتعددة التى حملوا الفكــر التقدمى لــم يســتطيعوا حــل التناقض بين **ما يحملونــه من فــكر · وبيــن ممارســتهم للحيــاة** ، لسبب محــدد هو أنهم ذاتيــون · ولست هنــا فى مجــال الحديث عن الاضرار التى أصابت الحركه الثوريــة حين تولــى **بعضــهم** مراكز قياديــة ، وانما أريــد أن أصــور لك سلوكهم فى ســجن « **جنــاح** » فى نظــام حياتنــا وكيف استطعنـــا من خلال اعــادة تثقيفهم · أن نصل الى المجتمع النموذجــى الذى كتبت لك عنــه فى عده الرســالة · لقــد كانوا خارج السجن « **يشتركــون فى المعــركة مع الحــكم الوطنــى** · أثنــاء العدوان الثلاثــى وبعده بشهور · وألقــى القبض عليهم · وصــدرت أحــكام ضد بعضهم ، وافرج عن البعض الآخــر لبراءتــه · ثــم ارسلوا جميعــا فى **الواحــات فى اوائــل عــام ١٩٥٧** · وكان اول مــا شــاركوا فيه هــو نظــام « الحياة العامة » عندنــا والذى يقــوم على انــه ······ **لصالح الجميــع** » مع استثنــاءات قليلــه جــدا · لقــد كانوا أن يتعرفوا على الحياة العظيمة التى استطعنــا أن نغرســها فى نفوس الزملاء المســجونين القدامى – **منذ عــام ١٩٥٢** – لكننا عالجنــا الأمــر بمرونــة وحكمــة واستطعنــا أن نحمى مجتمعنــا النموذجــى وسوف تــكون رسالتــى المقبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتــى ·

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهــرة

الرسالة (٣٧)

حبيبتى

مع كل دقيقه تمر منذ التقيت بك يزداد يقينى بلحظة الصدق التى أعيشها ، ويزداد اصرارى على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمرى . ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يغضبه فى رسائلى السابقة ، لكنى أرجح أن هناك من سيجد فى رسائلى المقبلة ، ما سوف يغضبه . وربما يلقى فى وجهى بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التى الصقوها بعدد من الثوريين . ومتى ؟ فى **ديسمبر عام ١٩٥٦** . وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم **أحكام بالسجن والأشغال الشاقة** . على أن هذا ومثله ليس مجال حديثى فى هذه الرسائل ، وسيكون لها مكان آخر . وحديثى هنا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان **عاريا** تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى قناع أو ستار . لقد دلت تجربتى الخاصة على أن السلوك الشخصى هو محك صدق الثورى . فالثوريون يا ابنة الستينات من **طينة خاصة** . وبقدر ما يكون التكوين الانسانى للثائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، ثم يجنى ثمارا يانعة له وللآخرين . وفى قاع النفس اللا انسانية تضيع كل جرعات الفكر التقدمى الانسانى ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التى لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها فى حديث **مبهر** ، أو مقال **رشيق** يحتوى على « **بهارات** » ثورية جدا ! . واليك تجربتنا معهم فى نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا فى السجون بالعشرات منذ **الخمسينات** ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مصادرة** كل الامكانيات التى ترد الينا واعادة **توزيعها** على الجميع يتساوى فى ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله **شىء** على الاطلاق . طبقنا هذا النظام فى **سجن مصر وفى أبى زعبل وفى ليمان طره وفى سجن « جناح » بالواحات** . وخلال تلك السنوات ــ **٥٢ الى ٥٧** ــ لم يثر أصحاب الامكانيات ــ على قلتهم ــ أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماستهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرفنا على الافلاس الذى يهددنا بان نعيش على ما يقدمه لنا **السجن** فقط وهو دون **الكفاف** .

وكانت المفاجأة **فى أوائل عام ١٩٥٧** حين وصل الينا من **سجن القناطر الخيرية** عدد من أصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المعدمين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، والـ ٥٠٪ الباقية لصالح **أصحاب الامكانيات** .

ويدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الخيرية وبين مسئول الحياة العامة فى سجن « جناح » بالواحات الخارجة ويتوقف حتى اتخاذ قرار .

وجائنى مسئول الحياة العامة ، فقد كنت فى ذلك الوقت أملك اتخاذ القرار ، قال :

— اليك استقالتى .
— وهل املك قبولها ؟
— ولماذا لا تملك ؟
— انت منتخب ولست معينا .
— أقدمها للجمعية العمومية .
— ربما أمكن علاج الموقف .
— لا أظن .
— كيف ؟ انهم زملاء .. !
— أشك فى ذلك .
— كلامك خطير .
— وأتحمل مسئوليته .
— الى هذا الحد ؟
— وأكثر
— انتظر .. سنرى كيف نعالج الموقف .

وابدأ نقاشا مع الزملاء :

— المسألة فى غاية الحساسية وأرجو ان توافقوا على نظامنا ..
— وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟
— أفضل أن نرتفع بمستوى المناقشة .
— لكنك لم تجب على السؤال ؟
— ما زلت أحترم ذكاءكم .. أنتم تفهمون ما أعنيه .
— اليس لكل انسان احتياجاته الخاصة .. ؟
— بالتأكيد .. ولكن زيدونى أيضاحا .
— المريض الذى يحتاج الى طعام معين .

ــ يوفـره له نظامنــا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمهــا ٠
ــ المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا ٠
ــ ربما يجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحده ٠
ــ وعندئذ تـكون المسـألة مفروضــه ٠
ــ أليس من الأفضـل أن يكون الأمـر بارادتكم ؟

كان **مجدى فهمى وسعد باسيلى** يشاركانى فى هــذا الحوار ، تداولنا فى الأمر مـره أخرى واتفقنــا على نقل حوارنا معهــم الـى كـل الزمــلاء ، وهو يتضمن ادانــة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنـــا للحيــاة العامــه والذى ارتضيناه ما يقـرب من **خمس سنوات** ٠ فى ذات الوقت نقترح نظاما آخـر مرنا جوهره المصادرة ولكن مــع استثنــاء بعض الأشــياء والتنــازل عن ١٥٪ مـن قيمـــة مــا يــرد اذا زادت القيمـــة عن ٥ جنيهات ولمن يرغب ٠ وكان من المســتحيل أن نتجاهـل انانيـــة من يملكـون الامكانيات والتى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفهــا « **بموقـــف مبـدئى** » الى تغليـل ما يقدمونه أو حتى الى الامتنــاع عــن تقـــديم شىء بالمـرة ٠ وعند مناقشـــة هذا النظــام الجديد معهم وافقــوا بشرط ان تزيـد نسبه الاستثناء الى **٢٠ ٪** اذا زادت قيمة ما يـرد من امكانيـــات عن ١٠ جنيهـــات ولـم نعترض ٠ فالذين تقـل قيمه امكانياتهم عـــن ٥ جنيهــات لن يطالبـوا بنسبة لانهم مع المصــادرة الكاملة ، واولئـك الذين تزيـد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم ٠

ومع أننا بذلنــا جهـــودا مكثفــة لاقنــاع زملاءنــا القدامى للموافقــة علــى هذا النظـام الجديد ، ولكــى تـكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات **واقعيــة** ٠ فــان العلاقات الانسانية بينهم لـم ترتـق أبـدا الى مثل ما هــى عليــه بين الزملاء القدامــى ٠

ربمــا طــال حديثى قليــلا عن الموقف من نظــام الحياه العامــة داخـل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطــرح جانبـا من جوانــب السلوكيـــات الشخصية للمناضـــل خاصــة داخل السجن حيث الهدف الأساســـى هـو خلق أرقــى علاقات انسانيــة بين الجميـــع ، كضرورة للمقاومة الجماعيـــة لكـل الظروف الصعبــة التــى يواجهونهـــا فى السجن ٠

لقـد حسبنا عندما حضر الينــا الزملاء من سجن القنـــاطر الخيرية فــى أوائل عــام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربـــة **تعاونهم** مع الحكومـــة الوطنيــة ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومة الشعبية** فى بورســـعيد ، وأخيرا ، وليس آخـرا ، عن سبب تفاؤلهم الشــديد فــى **قضية الافراج** عنــا بعـد تأميم قنــاة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثــى ، ولكن بـــدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكـون وقتنــا فى قضيـــة تتعلق بذواتهم فـــى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريري الحديدي في الخيمة ، وجدت نفسي أمام شريط طويل من ذكريات الماضي البعيد . **الأربعينات** . وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من **الخمسينيات** . ما هي حصيلتها اليوم ؟ فجأة طفرت الدموع من عيني غزيرة . خرجت من الخيمة مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ ترسل سوره في المكان وبكاد يحيل ظلام ليله الى نهار لكن عيناي لا تراه . ولا تحس الا بظلام مستقبل حالك السواد . هواء ربيع الصحراء نقي ومنعش ، لكنني اكاد **أختنق** ! وآلام حادة في كل جسمي . تمتد الى عظامي وتكاد تحطمها ، دوار يلفني وصداع يكاد يحطم رأسي . وأروح في إغماءة . أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمي** وعلى وجهه ابتسامته الانسانية :

ـ نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده .
ـ نومة واغماءة ؟
ـ وانت برضه من الصنف اللى يغمى عليه ؟
ـ أمال بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
ـ قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .
ـ وكل قدرة لها حدود ..
ـ أثق فى انها لن تصل الى تلك الحدود .
ـ أرجو ..

يقول وابتسامته لا تفارقه :

ـ تسمع حتة الزجل دى ؟
ـ أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمعك وأنفعل بكلماتك .. لكن حالتى لا تسمح .
ـ طيب ما نيجى نروح عند الملك ؟
ـ لأ ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ..
ـ لوحدك .. لأ ..
ـ أرجوك ..
ـ لا تنس أننى مشروع طبيب .

ويتركنى دقائق . ويذهب ذهنى بعيدا الى أواخر الأربعينات .

كان **رؤوف نظمي** واحدا من المناضلين القادرين على كسب ثقة الجماهير ، بين طلبة **كلية الطب** حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك . احترف العمل الثورى وهو فى السنة النهائية ، ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل **دفاع سياسى** يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها .

هل كان من باب الصدفة أن يدان رؤوف نظمى وعدد آخر من الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم **كأحمد الزقم وعبد الخالق الشهاوى** . وغيرهم من الذين أدوا دورا هاما فى الحركة الثورية مثل **داود عزيز ووليم طانيوس** ؟ . وأن تصدر هذه الادانات والمعركة الوطنية فى عنفوانها ؟ ما أخطر الذاتية حين تتمكن فى نفوس الذين يملكون اتخاذ القرار !

وأرى **رؤوف نظمى** قادما نحوى ومعه **مجدى فهمى** ، وملك الصحراء ، ويدور حوار انسانى أحكيه لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى .

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٨)

حبيبتـــــى

لماذا خرجت فى تلك الليلة التى حدثتـك عنها فى رسالتـى السـابقة من خيمتى الـى وسط الصحراء ؟ هـل كانت الرغبـة فى وقفـة مـع النفس ؟ كـلا ٠ فالتقييم الذاتى هـو جوهر الوقفـة مـع النفس ٠ هـل كانت محاولة لتقييم موضوعـى للمسيرة منذ انتزعونـى من موكبهـا ؟ كـلا ٠لست أدرى على وجـه الدقـة ما الذى كان يسيطر على كيانـى ويكاد يهده هكذا ٠ ربما كان ميتا أقـرب الى أحسـاس أم ذبحـوا وليـدها أمـام عنيهـا ٠ لقـد شدنـى هذا الاحساس المؤلـم والبالغ القسـوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظـور حالك الظلام ، بعـد أن كـان فـى بداية الخمسينات يبشر بمستقبل مشرق ٠ ولكن لماذا تملكنـى هذا الاحسـاس بعد مجئ زملائنـا من سجن القناطر الخيرية منـذ شـهور وفـى تلك الليلة على وجـه التحديد ؟ حقـا كان لهذا الاحساس ارهاصـات ، لكنهـا لـم تجعلنـى يوما قبل ذلك اليـوم المشهود أتشـاءم فـى المستقبل المنظـور وبمثل هذه النظـرة شبه البائسـه ٠ منـذ القـى القبض علـى كانت لنـا ملاحظات سياسية وفكريـه وتنظيمية على عمـل زملائنـا فى الخارج ، بعثنـا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنـى اهتمام ٠ كانـوا من عليائهم يرسـلون الينـا بكـم هائـل من التقديرات والتحيـات ، لمواقفنـا البطولية فى السجن ! ولصمودنـا فى وجـه الارهـاب ونجاحنـا فـى المحافظة على وحـدة الزمـلاء داخل السـجن ! لكن دون اشـارة واحـدة الى ما نرسـله لهم من نقـد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية ٠ وكنـا نقابـل كل هذا الكـم من التقديرات والتحيـات بفتـور بلـغ حـد السخرية فـى بعض الاحيـان ثـم وصـل الى حـد الاستنكار حين وصلنـى قرارهم الذى ينص علـى التقدير الخاص بـى ؛ ضمن قائمة قـرارات الادانـة لعـدد من أخلص الزملاء ؟ وسجلنـا استنكارنا هذا فـى شـكل رفض لهذا « التقدير » وادانـة الهـدف منـه ، فـى ذات الوقت اتخذنـا قرارا كنـا نملك حق اصداره برفـع الاتهـام عن الزملاء المدانين ٠ ومـع ذلك فقـد ظلوا فـى « عليائهم » ولـم تصل الينـا كلمة واحـدة منهم ٠ حتى حين أوقفنـا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنـا « القدامـى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سـكتوا ولـم ينطقـوا بحـرف واحـد ٠ وكانت

النسمـه انى نضعت طهر النعبير هو موقفهم من نظـــام الحياة العامــة .
لقد صاغ كل سيء ولم تبـق سـوى قيمة الروح الجماعيـــة التـى
نجحت في تأكيدهـــا عند زملائنـــا القدامى ، فهـــل يريدون تدميرهـــا
بعد أن **دمروا كل شيء في الخارج** ؟ .

ويسدسى عن تأملاتـى صوت « **ملك الصحراء** » .

ــ ولا يهمك يا درش .

ــ ولا يهمـــى من أيـــه يا ملك ؟

ويعلق **رؤوف نظمـــى** :

ــ طـول ما فينا نفس مش راح نسكت أبــدا .

ــ وايه اللى تقدر نعمله أنفاسنا الباقية .. فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة .. يقطعه قــول **مجدى فهمى** :

ــ وقف التدهــور على الأقــل .

ــ أرجو أن لا نكون قـد وصلنا الى نقطة اللا عــودة !

ويبتســم مجدى فهمى ويقــول :

ــ لا دى الحكاية عاوزة فنجان قهوه من بن « قشطة اليمن » .. أيــــه رأيــك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

ــ اجرى يا رؤوف جهز لنـــا عــدة الشغل . .

ويلتفت الى رؤوف نظمى . .

ــ عاوز قهــوة « منقفين » ولا قهوة « فلاحين » يا درش ؟

ــ ما كفايانـــا مثقفين يا رؤوف . .

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنـــى بهم علاقـــة أبويـــة ، مجموعة من الشباب لا يزيـــد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما . **نبيـــل حلمـــى** الطالب بالسنة النهائيـــة بكلية الآداب . **جسمه النحيـــل يحمل امـــراض** الكبـــد ، والكلى والاشتباه فى الصفراء . **مجـــدى نجيب** ابتســـامته الانسانية وتلقائيته التـــى تبشر بمولد فنـــان كبير على يـــد الملك . **ماجـــد حـــافظ** الطالب بالثقافـــه العامـــة « العمدة » الذى يسهر على راحتنـــا . **مصطفـــى حامـــد** عامل الخراطـــة الذى تعلم القراءة والكتابـــة فى أقـــل من ثلاثـــة أشهر . وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخليـــة **ومحمد خليفـــه** طالب الثانوية العامة الذى حـــكم علـــه بالاشغال الشـــاقة **عشر سنوات معى** . **وفايز مـــراد** طالب الثانوية العامة بتكوينه الانســـانى السوى المعطاء ، وابتسامته الذكية أحيانا ، والخبيئة أحيانا أخرى ، وسعيد عبد الوهاب الفنـــان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتـــى احتوت كيانـــى المهـــدود كلمـــات الزملاء « أبنائـــى » .

ماجـــد حافظ « عمدة خيمتنـــا » يقول :

ـ اتمد نفسك يا زميل ٠
ـ ليه يا عمده ؟
ـ جرادل الميه فاضيه ٠ ٠
ـ معاك حق ٠٠ نسيت ٠
ـ يعنى أيه نسيت ٠ ٠ اقترح عقوبة على نفسك ٠
ـ أقترح أنت يا عمدة ٠
ـ العمدة لا يقترح ٠٠ وانما يقرر ٠
ـ قرر وسأنفذ فورا ٠
ـ خذ ٣ سجاير هوليود « لارج » ٠ ٠
وأضحك قائلا ٠ ٠
ـ على كده راح أنسى كل مرة ٠٠
ويقول متوعدا :
ـ لأ ٠٠ المرة الجاية بقى ٠ ٠ حاتشوف ٠
ويقول **مجدى نجيب** ٠ ٠
ـ انى اتهم ٠ ٠
ـ أيه يا مشروع فنان ٠
ـ تعطيل المشروع ٠
ـ ازاى ؟
ـ انت نسيت يا أستاذ ان موعدنا اليوم لرسم « بورتريه » لك ٠ ٠
ـ معاك حق يا مجدى ٠ ٠ متأسف ٠ ٠
ـ أقترح عقوبة لنفسك ٠ ٠
ـ ترسمنى مرتين ٠ ٠
ويضحك الجميع من قلوبهم ٠ ٠
ويقول **مصطفى حامد** :
ـ كله كوم ٠ ٠وحسابى معاك كوم لوحده ٠
ـ كان موعدى معك ٠٠ لمراجعة مقالى للنشرة ٠
ـ وده معناه أيه عند الثوريين ٠ ٠
ـ تخريب الثورة طبعا ٠ ٠
ـ اقترح عقوبة لنفسك ٠ ٠
والتفت الى الملك ضاحكا ٠ ٠
ـ اقترح انت يا ولمم ٠ ٠
ويقول وليم ضاحكا :
ـ الشنق طبعا ٠ ٠
ويضج الزملاء بالضحك ٠ والتفت الى **رؤوف نظمى** قائلا :
ـ أحدث طريقة للعلاج يا رؤوف ٠

ويقول بـود وحب :

ـ أولادك وأحبابك ٠٠ عاوزينك !

وأحس بكياني المهدود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلي يصرخ بأعلى صوت **الحقيقة مؤلمة** ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت **عشرات المرات** !

ويناولني الملك فنجان القهوة ٠٠

ـ فنجان قهوه « قشطة اليمن » يعدل المخ ٠٠

وأقول ضاحكا ٠

ـ ما دام قهوة « فلاحين » يبقى راح يعدل المخ ٠٠

ـ همه دول يا درش ممبش غيرهم ٠

ويحتج **مصطفى حامد** :

ـ والعمال راحوا فين ؟

ـ يا سيدي العمال ٠٠ **قيادة** ٠

ـ للسلطة والا من خارجها ؟

ـ ما خلاص اتعدلت ٠٠

يضج الجمبع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن » التي تبرع بها الملك على شرف « درش » ويهمس **مجدى فهمى في أذني** :

ـ أول مرة تخرق اتفاقتنا ٠٠

ـ كنت في حالة سيئة جدا ٠

ـ هذا أدعى ٠٠

ـ معك حق ٠٠

ـ اذن لنا قعدة ٠

الهدوء يعود الى نفسي المضطربة وأنام الساعات الباقية من ليلة ذلك اليوم ٠ وفي مساء اليوم التالي التقى مع **مجدى فهمى** في احدى « قعداتنا » التاريخية :

أسأله :

ـ هل كان موقفا بائسا ٠٠

ـ بل كان خطوة نحوه ٠

ـ ولكني انسان ٠

ـ حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدها ٠

ـ وأن تكرر ؟

ـ يصبح مهزلة ٠

ـ وتكتمل المأساة ٠

ـ لا يزال في نفسك ما يسمح بتكرار الموقف ٠

ـ وكيف يزول نهائيا ؟

ـ **أن تكون أنت** !

ـ كان فى الخارج بريق من أمـل ٠
ـ ليكن الأمـل هنـــا ٠
ـ نبـدأ من الصفر مـره أخـرى ٠
ـ وهل نملك غير ذلك ؟

كنـــا نتحدث ونحن نسير فى الصحراء ، وعيـون الزملاء من بعـد ترقب ، ما كادت تراهـا متعانقين ، بعكس نـور القمر ظلنـا . جسـما واحـدا ، يخـرج علينـا **سعيد عبد الوهـاب** ، لا نـدرى من أيـن وهو يصيح ٠ ٠

ـ اثبتوا ٠٠ خليكو زى ما انتـو ٠ ٠
ـ أيـه يا فنـان الجيل الصاعـــد ؟
ـ حتـة دين منظـر ٠٠ مدهش ٠
ـ راح ترسـمه يا سعيد ؟
ـ أتأمله ! الفن تأمــل يا أستاذ ٠
ـ دا الحب يا ســـعيد ٠
ـ وهــوه الحب مش فن يا أســـتاذ ؟

الحب بجميـع أنـواعـه هو علاقـة انسانيـة جوهرهـــا الصـدق ٠ الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب ، حبيبـا كان ، أم زميـلا ، أو واحدا من ذوى القربـى ٠

وهذا الحب « الانسانـى » ليس غايـة فى ذاتـه ٠ أنـه غايـة وفى نفس الوقت وسيلة الى غايـة اسمى ، هى حب الوطـــن بكل ما يفرضـه هــذا الحب من التزام ومسئولية ، واســـتعداد لبذل الحيـاة ذاتهـا من أجلـه ٠

والتفت الى مجدى فهمى قائــلا :

ـ مجدى ٠٠ انت دائما تصيب كبـد الحقيقـة ٠ ٠
ـ ليس دائما والا أصابنى الغرور !

ويستطرد ضاحـــكا :

ـ ما هـى آخـر حقيقة أصبت كبدهـا ؟
ـ قولك ان الأمـل من هنـــا ٠
ـ فعـلا لـم يعد الا من هنـا ٠

ومنذ ذلك التاريخ نفضنا كل الأوهام عن كاهلنـا . لنبـــدأ **مـن جديـد** ٠ **من السجن** ، وبالزملاء الذين اثبتوا خـلال نضالهم خـارج السجن وداخله ، انهم قادرون على مواصلة المسيرة ٠

كيف بدأنـا ؟ وما الذى أنجزنـاه **منذ منتصف عـام ١٩٥٧** حتـى انتقلنـا من سجن « جنـاح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس **الواحات فى أغسطس عـام ١٩٥٨** ؟

هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ٠

٣٠ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتـــى

كان علينـا بعد **منتصف عـام ١٩٥٧** بعد اهتزاز الثقـة بزملائنـا فـى الخارج ، أن نستمد أملنـا فى مواصلة المسيرة من زملائنـا فـى السجن بعد خروجنـا • كان قرارنـا : من السجن نبدأ من جديد • هذا على الرغـم من الأخبـار التـى وصلتنـا عن مباحثات الوحـدة بين التنظيمات الثلاثة وقـرب وصولهـا الى تنظيم واحـد « شـامخ » ! ولقـد كان شـعار الوحـدة جذابـا للغالبيـه العظمى من قواعـد وقيـادات التنظيمات الشيوعية فـى مصر • وكان موقف المسجونين من الوحـدة يتجسـد فى وحدتهم الطبيعيه فى مواجهـه ظروف السجن وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسـية والايديولوجيـه والتنظيمية • لذلك رحبنـا بأخبـار مفاوضـات الوحـدة • وان كان هنـاك سـؤال يجول فى أعماقنـا : لماذا اندفعت القيـادات التـى عاشـت سنوات طويله منقسمة على بعضهـا ، وتحـكم كل منها علـى الآخـر بالانحراف ، والانتهازية ، بـل والخيانـة ، الى **الوحـدة** ، وبهـذه **السرعة الجنونية** ؟ وهـل تنبـع هذه الوحـدة من ايمان حقيقـى بضرورة انهاء **الانقسـام الطويـل** ، أم أنهـا محاولة يائسـة لقيـادات تشعر **باهـتزاز** ثقـة قواعدهـا بها ، وتحاول استرداد هذه الثقـة ؟

وكان علينـا أن نجيب على السؤال الكبير •

كيف نعـد انفسـنا ، ونعـد الزملاء لمواصـلة المسيرة بعد خروجنـا من السجن على أسس نظريـة وسياسيه أكثر وضوحـا ؟ وكانت الاجابـة هـى : دعـوه كل الزملاء الى تقييم كل المواقف الفكريه والسياسية لزملائنـا فى الخارج منذ **٢٣ يوليو ١٩٥٢** بهـدف الخروج **بدروس مستخلصة** • وفى وجه معارضه سريه واتهامات عديده لنـا من بعض الذين حضروا المبنـا فى **عـام ١٩٥٧** ، قررنـا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشـة موضوعـات أذكر منهـا : الموقف من ثـورة **٢٣ يوليو عند قيامها** • الموقف من أزمة **مـارس ١٩٥٤** • الموقف خـلال **العدوان الثلاثـى** • مفهـوم الوحـدة الوطنيـة وعلاقتـه بقضيـة الديموقراطية والحريات السياسية ، **كذلك مناقشة أهـم** الموضوعات النظرية التـى تضمنتهـا بعض التقديرات الأساسية التى كتبها زملاؤنا فى الخارج وأهمها • « **حزب السلطة** » • و « **الوحدة مع الانتهازية تغليب لهـا** » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » •

وخلال **أشهر** قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعى » **عشرون عددا** احتوت على الرأى الرسمى وكان الذين يدافعون عنه يدافعون فى الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأى المعارض ، وقد جاء بآراء جديدة . وأخرى كانت **مرفوضة رسميا** فى وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسيه والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان **اطلاق حرية** كل الزملاء فى المناقشة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التى لم تحدث فى تاريخ التنظيمات الثورية فى مصر أو خارج مصر **مؤشرا** لمفهوم جديد بدأت صياغاته الأولى منذ ذلك الحين عن **الديموقراطية داخل التنظيم** ، ربما استطيع أن أكتب عنه فى وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحة وقتئذ . كيف يثق الزملاء بقدرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نفضوا عن كاهلهم التعلق بأوهام نشاط زملائهم فى الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقائهم الفكرى بعد اتمام الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من ارهاب فكرى تحت ستار « **المحافظة على الوحدة** » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق ويستخلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن . حقيقة سكنية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقة أنه لا أمل الا فى الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الافراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد **انتهاء مدة العقوبة ؟**

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟

لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . تملك وضوحا سياسيا وفكريا « كان سلاحها فى القتال ضد اليمين وضد اليسار داخل تنظيم الوحدة الجديد » وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن شرفها والتزامها .

وشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى **سجن « المحاريق »** بالواحات **الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثا** « عامة واخبارا مثيرة » ! . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت **تعثر** مفاوضات الوحدة بين **التنظيمات الثلاثة** واعلانها بين تنظيمين . فأقمنا احتفالات « بهيجة » لمناسبة

هذا الحدث « **السعيد** » • ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** – واقمنا احتفالات « **مهيبة** » لمناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » • ثم شهدت انقساما – بعد أقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » **!** وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علاقة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن • ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **المحاريق** » **الجديد** • فبعد اعلان « **الوحدة الثلاثية** » حمل الينا زملاء القي القبض عليهم في أوائل عام **١٩٥٨** حوكموا ونقلوا الينا في « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » **لنا في المحاريق بالواحات الخارجة** • ما الذي ينتظرنا في السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلا :

– اللي أكلناه وز • وز • راح يطلع علينا بط • **بط** •

كان نقلنا من ليمان طره – بعد **الاضراب العام** الذي دخله كل **المسجونين في الليمان** – الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعا لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن** « **المحاريق** » **في قلب الصحراء** •

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدي ، في سجن مثل هذا في قلب الصحراء ؟

ويهمس الينا أحد الضباط الأصدقاء • •

– سينتقمون للسنوات التي أخذتم فيها **حريتكم** هنا في « جناح » • •

– وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ •

– لقد أعدوا لكم **نظاما خاصا** •

ونبدأ في اعداد أنفسنا للحياة في **سجن** « **مغلق** » **في قلب الصحراء** •

لم يدر بخلدنا يوما أننا سننتقل الى سجن له « زنزانات » مرة أخرى في قلب الصحراء • حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية • لكنهم كانوا يتلمظون غيظا ، فكيف **نكون مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطي « الثقافة والفكر » فاذا بنا ننهل منهما لنغذي عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو يهدأ لهم بال ، ونحن هنا ، في **الصحراء** التي أرادوها قبرا لنا نغني ونرقص، ونقيم الاحتفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقي أمامنا من وقت كي نعد أنفسنا للظروف الجديدة في **السجن الجديد** ؟ ويأتي الينا الخبر « من منبعه الأصلي » **من مكتب**

قائد **السجن الحربى** ٠ ! ويحمله الينا الزميل **محمد مختار جمعه** الذى وصل الينا حديثا ، فى أبريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور ٠ كان **مختار جمعه** مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه ٠ عذبته **المخابرات العامة** ، « **نفختـه** » و « **جلدتـه** » وحرقت **ظهره بالحديد المحمى** « **وخلعت أظافره** » ، **ووضعوه عاريا فى الماء المغلى** ، كى يعترف على واحد من زملائة ولكن دون جدوى ٠ كان بطلا ، فاقت بطولته **الأسطورة** ٠ وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم الجبناء رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا ارساله الى سجن « جناح » **بالواحات الخارجة** ٠ وفى مكتب **قائد السجن الحربى** قبل ترحيله بساعات سمع **محمد مختار نقاشا بين قائد السجن وبين أحد ضباط المخابرات** :

ــ مش كان أحسن نرميه هنا ؟

ــ مفيش فايده ٠ ٠ لن يتكلم ٠

ــ راح يا خذ حريته فى « جناح » ٠ ٠

ــ كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحاريق » ٠

وتأتى الينا أخبار أخرى تؤكد ان سجن « **المحاريق** » **على** « **التشطيب** » وأن بعثة من **ضباط المباحث العامة** ، **والسجون والمخابرات** ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك ٠ وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلنا الى **المجهول** الذى لم نستعد له ٠

المعرفة هى زادنا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونه وتحت أى ظرف من الظروف مهما بلغت قسوته ٠ هذه الكتب والتقارير والبحوث **والمجلات** سوف يلقون بها الى أفواه النيران لتلتهمها ٠ ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من أدوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا **المعرفة** عن طلابها ! وكان أول قرار نتخذه هو اعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على ورق سجاير « **بفرة** » وخصصنا [illegible] ة لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى تشرب أهلها [illegible] لف » ، وتكليف أهالينا بشراء أكبر كمية منه من القاهرة ٠ وخلال أقل من شهرين تم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قرائته دون جهد كبير ٠

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعادة نسخ ما فى هذه الكتب **والتقارير** من معرفة على ورق « البفرة » يفوق التصور ٠ كانوا حريصين عليها حرصهم على **حياتهم** ٠ وهل يمكن أن تكون لحياتهم معنى ٠

بـدون **الثقافة والفكر** ؟ **الثائـر لا يموت** ، اذا قتـل أو مـات ، انـه يمـوت فقط عندما يحجبون عنـه **المعرفـة** • وأبـدا لـن نستسلم ، لـن يقتلوا ما فى داخلنا من حب وصـدق وشرف وانسانية نغترفهـا من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبـدا •

كانت عملية النسخ تجـرى بسرعة لتسبق الزمن • مجموعـات الزمـلاء **تعمل ٢٤ ساعة** فى اليـوم ، هذا يقـرأ وآخـر يكتب وثالث يراجـع • مسـئول « الحياة العامة » يدور على المجموعـات المختلفـة ، يوزع عليهم السجائـر ، يرفضـون حينـا ويطلبـون بـدلا منها ورق « بفـرة » وحينا آخر يقبلون حتى تعينهم على السـهر طول الليـل • لم نكن فى حاجـة الـى جلسـات توعيـة كتلك التى عقدناهـا قبـل نقلنـا **من ليمان طـره الـى « جناح »** • ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعـادة « نسـخ » ما لدينـا من فـكر وثقافـة تجسد لمـا يدور فـى نفوسهم ، أنـه أقـوى من أى كـلام يمكن أن يقـال فى مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعـدوا أنفسـهم لمواصـلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكـون شـيئا سـوى ارادتهم ، وتحديهم لواقـع مؤلـم وصعب داخل السجن وخارجـه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنـى ، كما كانت تعليقاتهم الممزوجـة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** •

وفى غمرة هذا النشـاط الكبير الذى يسـتعد للحيـاة الجديدة ، المعروفـة والمجهولة فى **سجن « المحاريق »** تأتينـا أنبـاء انتصـار **ثورة ١٤ يوليـو ١٩٥٨ فى العراق** من راديـو القاهـرة • ونظـل طـول الليـل نسـمع تعليقـات الاذاعات العالميـة ، واعلان القاهـرة بوقوفهـا الى جانب الثـورة ضـد أى تدخل اجنبـى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خـلال عودتـه من **موسكو** • ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافـراج قريب ، ونقـرأ بيانا يصدره أقطـاب « التنظيم الواحـد » الثلاثة ويوقعون عليـه بأسمائهم !

ونتسـاءل بسـخرية :

ـ ليـه كـده ؟

ـ وأيه المناسـبة ؟

ـ ليجدوا مكانـا تحت الشمس •

ـ ولن يجدوه كما يتوقعـون •

ـ ربما كان وراء الشمس •

ـ لـم يتعلموا بعـد • •

ـ سيلدغون مـرة أخـرى •

ـ آه لو كانـوا مؤمنين •

ـ ومن أيـن يأتيهم الايمـان ؟

ـ ذواتهم فـوق كل أعتبار • •

- **اليــوم يمين** ٠ ٠
- وغـدا يســـار ٠
- كلـه ماشـــى ٠
- وحسب الطلب ٠

ومرة أخرى يأتينا من زملائنـا فى الخارج ما يهـدد معنويات زملائنـا فى السجن ٠ **الافراج** أقرب ممـا تتصورون ، اعـدوا قائمة بأسماء عـدد كبير من **الاخوان المؤيدين** ٠

ونـرى تكاسـلا فى عمليـة نسـخ الكتب والتقارير . وتتضـاعف مسئوليتنا ٠ ولا نجـد سـوى الحوار معهم حبنـا ، والسخرية بمـا يقولـه الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حينـا آخـر ٠ وتجرى الاحـداث بسرعة مذهلة نداء شـهر « **العسل** » الذى حسب زملاؤنـا أنه آت لا ريب فيـه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » ٠ ونتوالى التعليقـات السـاخرة :

- همه كانوا عاوزين عسل أبيض ولا أسود ؟
- مش مهـم ٠ ٠
- مش مهم ازاى ٠٠ الأبيض غير الأســود ٠
- ليه بقى ؟ الأبيض حلـو ٠٠ والأسود حلـو ٠
- برضـه الطعم مختـلف ٠ ٠
- المهـم ما يكونش مـر ٠
- وهـل يميزون ؟
- انهم لا يبصرون ٠
- ربمـا يحسـون ؟
- ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم ٠

ويعود الزملاء الى حياتهم السـابقة فيواصلون عمليـة نسخ الكتب التى سنأخذهـا معنـا الى **سجن** « **المحاريق** » وينجزون كل ما كلفوا بـه ويجرى عمل **مخابىء لها** حتى لا تقع عند وصولنا الى سجن « **المحاريق** » ٠ وفى المسـاء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجـى فى وقت لم نعتـده من قبل ٠ ينزل من سيارته ونـراه متجهـا الى حيث يسـكن الاخوان المؤيدين ٠ بعـد مرور بعض الوقت يزف البنـا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافـراج** الصحـى **عن ١٠٠ من** الاخوان المؤيدين ٠ جاءنـا الرجل سـعيدا ليس لانـه سيخرج من السجن فقط ، وانما لأنه يـرى ٠ ٠

- ده مقدمة **للافـراج** عنكـم ٠ ٠
- مش بالضرورة ٠

ويقـول بدهشـــة ٠

- ازاى بقى ٠٠ وانتو اللى خليتونـا **نؤيـد الحكومة ؟**
- ولـــو ٠ ٠

ونتضاعف دهشته ٠٠

ـ مش ممكن ٠٠ ده شيء غير منطقى ٠
ـ المهم ٠٠ ألف مبروك ٠
ـ سأسحب تأييدى للحكومة اذا لم يفرج عنكم ٠
ـ يسجنوك معانا ٠٠
ـ زى بعضه ٠٠
ـ موقف مثالى ٠
ـ بل أبسط أنواع الوفاء ٠٠
ـ أى وطنى خارج السجن ٠٠ مكسب للمعركة ٠
ـ سأمتنع عن العمل السياسى ٠
ـ خطأ كبير ٠٠
ـ خير من التعاون مع من **يسجنون** أخلص الوطنيين ٠
ـ تغلب عواطفك !
ـ وهل من العقل أن تسجنوا ؟
ـ عقل الحكام ٠
ـ وهل تختلف عن عقولكم ؟
ـ اختلاف كبير ٠
ـ وما مصدره ؟
ـ الموقف الاجتماعى ٠
ـ لكن المعركة ما تزال وطنية ٠
ـ يحسبون أنهم قادرون على كسبها وحدهم ٠
ـ ولماذا وحدهم فقط ؟
ـ لضمان موقفهم الاجتماعى ٠
ـ ربما لا يفرج عنكم أبدا ٠
ـ الا اذا اضطروا الى ذلك ٠
ـ وما الذى يضطرهم ؟
ـ ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية ٠
ـ فهمت ٠٠
ـ وماذا بعد أن فهمت ؟
ـ سأكون من أقوى المطالبين **بالوحدة الوطنية** ٠

وفى ساعة متأخرة من الليل يقيم الزملاء احتفالا يدعون اليه الاخوان المسلمين المفرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عدد قليل منهم **البكباشى فؤاد جاسر** ، **والصاغ جمال ربيع** ، **والصاغ حسن حموده** ، **وسيد الريس** ٠ وفى نهاية الاحتفال يلقى **البكباشى فؤاد جاسر** كلمة انسانية تتضمن

كل المعانـــى التى دارت فى حوارى معه ٠ وفى اليـــوم التالـــى يشـــهد سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** مشاهد انسانية ، قـل أن يحـدث مثلهـــا ٠ أحكى لك عنـها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ٠

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهـــرة

الرسالة (٤٠)

حبيبتــــى

وشــهد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية مواقف** انسانيــه عميقــة أكــدت الجوهــر الطيب للانســان · كانت قائمة أســماء المفرج عنهم فى مســاء اليوم السابق تشــمل كل ضبــاط الجيش وعددا من المدنيين ، ولــم تتضمن أسماء اخــرين مــن الاخــوان المؤيدين · وظلت هذه المســألة محل تســاؤل من الاخوان المؤيدين الذيــن شملتهم القائمه والذين لــم ترد اسماؤهم فيهــا · مخاوف كبيــرة كــانت تنتاب الباقين من المؤيدين ، ليس فقط لعــدم الافراج عنهم ، ولكن بســبب مــا ســوف يلاقونــه فى السجن بعد خروج قياداتهم · فلقــد كان الوضــع بين الاخوان المؤيدين والاخوان المعارضين قــد بلغ درجــة كبيـــرة من الســــوء · ولقــد بلغت هذه المخاوف حــدا جعلت الاخــوان المفــرج عنهــم يفكرون فى البقـــاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هــم الآخرين ·

وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مأمــور الســـجن :

ـ هل تقبل **استضافتنا** عنــدك كام يــوم ؟

وتبدو علامات الدهشــة على وجــه المأمور ·

ـ استضافتكم ! أين ؟

ـ هنــا فى **الســـجن** ·

وتزداد دهشــة المأمـــور ·

ـ هل أكذب أذنـــى ؟

ـ لا تكذبهـــا · ·

ـ تريدون البقــاء فى السجن !

ـ أيـــوه ·

ـ وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بــره ؟

ـ مش دى المشـــكلة ·

ـ وهــل توجــد مشــكلة ؟

ـ أيــوه ·· اخواننا الذين لــم يفــرج عنهم بعــد ·

ـ ستحل قريبــا جدا ·

ـ ننتظر فى السجن حتى تحــل ·

وبصيح المأمور :
ـ جـد والا هـزار ؟
ـ منتهـى الجـد ٠
ـ دى بيبقـى مسئوليـه على ٠
ـ ليه بقى ٠٠ نحن نريـد أن **نسجن** بارادتنـا ٠
ـ لا تملكـون ذلك ٠
ـ لا نملك أن نسجن أنفسـنا ؟
ـ ولا تملكـون الخروج من السجن بارادتكم ٠
ـ اذن سنعتصم هنـا على أبواب السجن ٠
ـ ولا تملكـون هذا أيضـا ٠
ـ لماذا ؟ ألـم يفـرج عنـا ؟
ـ بعـد أن اسلمكم فى القاهرة ٠ ٠ افعلوا ما شـئتم ٠
ـ نحن عهـدة ؟
ـ تمـام ٠
ـ اذن لن نخرج من باب السجن ٠
ـ سأكون مضطرا لاستخدام القـوة ٠
ويتوتر الموقف لحظة ٠٠ ويقول المأمور مبتسما ٠ ٠
ـ **السجن بالقوة ٠ ٠ والافراج بالقوة** ٠ ٠ أيـه رأيكم ؟
ـ هل يمكن الاتصال بالقاهـرة ؟
ـ للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمـر غريب ٠
ويضحك واحـد من الأخوان :
ـ وما وجه الغـرابة ٠٠ ناس عاوزه تنسجن فيها أيه دى ؟
ـ فيها كسر ٠ ٠ **قرار جمهورى** ٠
ـ وهـل الحصول عليه صـعب ؟
ـ جـدا ٠ ٠
ـ كان سـهلا قبـل ذلك !
ـ أنا لا أفهم فى السياسـة ٠
ويضج الجميع بالضحك ، بينمـا يـدق جـرس التليفـون ٠ يضع المأمور السماعه ويقول مبتسـما ٠
ـ وصـل القرار الجمهورى ٠
ـ باعـادة سـجننا ؟
ـ **بالافراج عنكم جميعـا** ٠
يتعانقون ويتبادلون التهانـى ويعودون الى خيامهم يعلنـون الخبـر ويستعدون للعودة الى الحريـة ٠
يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنـى :

ـ ربع ساعة وأكون عندك ٠

ويهمس **جمال ربيــع** :

ـ فين ملك الصحراء ٠٠ أنا عاوزه ٠

ـ أظن في خيمته ٠

ينادى على **فؤاد جاسر** ، واخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظل شجر الخروع الذى زرعناه حول كل الخيام ٠ تخرج منه كلمات خجولة :

ـ الحاجات دى بقى مش لازمانى ٠ حاجة بسيطة كده ٠

ـ شكرا يا أستاذ مؤاد ٠ ٠

ـ والكام مرس دول ٠٠ يعنى برضه ٠

ـ ستحتاج الى نقود ٠

ـ لا ٠٠ عندى في البنك ٠

ـ قصدى ٠٠ ربما تحتاج ركوب تاكسى مثلا ٠

ـ عامل حسابى ـ معايا **ثلاثة جنيه** ٠

وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لأسلمه هذه الخيرات من علب الطعام المحفوظة والسكر والشاى والحلاوة الطحينية والسجاير ، فضلا عن **عشرين جنيها** ، أسمع صوت **ملك الصحراء** ٠ ٠

ـ انت فين يا أستاذ فؤاد ٠٠ أنا دايخ عليك ؟

ـ انا اهو يا ملك الصحراء ٠ ٠ كان لازم أمر عليك ٠

ـ فاضى لمدة ساعة ٠ ٠

ـ ثلاث ساعات يا ملك ٠ ٠ انت عارف ٠

ـ طيب بينا على « الاتليية » ٠٠ معانا يا درش ٠

ـ نقعد هنا ٠٠ في الضلة دى ٠

ـ لا في الاتيلية ٠٠ عاوز أرسمك ٠ ٠

ـ حقيقى يا وليم ؟

وينهض ليعانقه في حب وأخوة ٠٠ وفي خيمة وليم نجد كل شيء معدا للرسم ، يجلس **فؤاد جاسر** على كرسى ويبدأ **ملك الصحراء** يضع خطوطه الأولى ٠ يقول فؤاد ضاحكا ٠ ٠

ـ طيب ما أنا رايح لهم بنفسى يا ملك ٠ ٠

ـ وماله ٠٠ أصل وصورة ٠

ـ وطبعا الصورة أحسن ٠

ـ المقارنة بين صورة وأخرى ٠٠ وليس بين الأصل والصورة ٠

ـ وما هى مقاييس المقارنة ؟

ـ قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به ٠ ٠

ـ وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

ـ طبعا ٠ ٠ ما آراه أنا قـد لا يراه غيرى ٠ ٠

ـ مثـــلا ٠ ٠

ـ فنان يغوص فى الأعماق الانسانية ٠ ٠ وآخـر يستهويه الشـكل الخارجـى ٠

ويضحك فؤاد ويقـول :

ـ وطبعـا انا شكلى الخارجى ٠٠ الحمد لله ٠٠

ـ شكلك الخارجى يجسـد ما فـى داخلك ٠ ٠

ويضـج بالضحـك ٠ ٠

ـ يا ساتر ٠٠ حرام علىك يا ملك ٠ أنا بأشوف نفسى فى المرايـة ٠٠

ـ لما تشوف الصورة راح تغير رأيـك ٠

ويدخل الصاغ **جمال ربيـع** تسبقه رائحـة « البارفان » النفاذه ، ويرتدى البدلة « **الملكـى** » ، آخـر أناقـة ، يحيينـا ويقـول موجهـا حديثـه الى **فؤاد جاسر** :

ـ مش كان احسن تلبس البدلة يا فؤاد ٠ ٠

ويرد الملك :

ـ مـا كنتش راح أرسـمه ٠

ـ يعنى مش راح ترسمنـى يا ملك ٠

ـ ما أنا رسمتك ثلاث صـور ٠

ـ كانت بهـدوم السجن ٠

ويقول وليـم ضاحـكا :

ـ واحـدة منهم بالروب ٠

ـ كانت هايـلة ٠ ٠

ـ أبـدا ٠٠ كانت وحشـة ٠ ٠ أوحش صورة رسمتها ٠

ويضحـك جمـال ٠ ٠

ـ كل ده بسبب الروب ٠ ٠

ـ أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكـى » !

ـ البس بدلـة « جمهورى » !

ـ ما انت خلعتهـا خلاص ٠ ٠

ويضج الجميع بالضحك ٠ ويقـول **جمال ربيـع** :

ـ وحياتك يا ملك ٠٠ صورة كده سريعه ٠

ـ فوتوماتـون ؟ ٠ ٠

ـ حتى ولـو بالقلم الرصاص ٠ ٠

ـ بشرط ٠ ٠ الوجه بس ٠

ونضج بالضحك مـرة أخـرى ، وتتوالى التعليقـات ٠

ـ يا خسارة القيافـة دى كلهـا ٠

ـ طب ياقــة انجاكتــة وعقــدة الكرافتــة •
ـ لو بالألوان كان ممكن •
ـ الظـل والنــور يغنى عن اللون •
ـ المهم تبقــى الصورة مختلفــة •
ـ وأيــه وجه الاختــلاف ؟
ـ صورة مسجون • • وصورة مفرج عنــه •
ـ تعبيرات الوجـــه •
ويتدخل ملك الصحراء قائــلا • •
ـ اذا كان كــده مش راح أرســـم •
وينزعج **جمال ربيــع** • ويقــول .
ـ ليـــه يا ملك ؟
ـ مش شــايف أى فـــرق •
ـ ازاى بفــى ؟ دى مسألة مهمة قــوى • •
ـ تبقى تنتظر كام يــوم لغاية ما أشوف الفرق •
ـ يا ملك بلاش هــزار •• مفيش وقت •
ـ استنى شويــة • • يمكن أشوف حاجة استحق أرسمها •
ـ الله يسامحك •• مش لافــى حاجة فيــه تستحق ترسمها ؟ ••
ـ أنت فاهم قصـــدى ؟
ـ طبعــا •• طبعــا •• أمامنــا وقت •
أكثر من ساعة لــم يتحرك خلالها **فؤاد جاسر** من جلسته •
يهمس قائـــلا :
ـ نشرب سيجارة يا ملك •
ـ وفنجان قهوة « قشطة اليمن » •
ـ قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك •
ـ كلك نظــر يا درس • •
ـ قهــوة « فلاحبن » طبعــا •
ـ تبقــى بتحب الاستاذ **فؤاد جاسر** •
ويضحك ولبم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر •
ـ أيــه الحكاية •• فهمونــى علشان أضحك معاكم •

أقــوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، ويجلس **وليــم اســحق** يتأمل الصــورة التى أوشــك على الانتهـــاء منهــا • تعبيرات وجهــه تــدل على رضـــاءه عنهــا ، وهـــو نــادرا ما يرضى عن صــورة يرسمها • أقول لوليــم :
ـ أسرع صورة ترسمها يا ملك •

ويقول بأســـــى :

ـ وربما آخــر صــورة !

ويقــول فؤاد جاسر بصوته الودود :

ـ ربنا يديك طولة العمر يا ملك ٠

ويرد بأســـى :

ـ مين عارف راح ارسـم فى سـجن « **المحاريق** » **والا لا** ٠ ٠

وأقــول منســجعا :

ـ لن نتوقف عن الرسم يا وليـم٠٠ شـن ٠

ويــرد بسخرية مريــرة ٠

ـ أنق فى عجله التاريــخ ٠ ٠مش كـده ؟

وتسود لحظـــة صمت تقطعها نبـرات صـوت ولـــم يحمـل الأسف

ـ متأسف يا درش ٠ ٠ انت مش ناقص هموم ٠

ـ وأنت جزء هـام من همومى يا ولـسم ٠

ـ ما هو علشــان كده ٠٠ كان لازم ألم لسانــى :

وأقول ضاحـــكا ٠ ٠

ـ طب لـم صـورة فؤاد بقــى ٠

ويعود الى فرشاته وألوانــه ٠ تعبيرات الأسـف ما تزال علــى وجهه ٠ الفرشاه تهتز فى يـده قليــلا ٠٠ بتركها ترتشف رشفه قهـوة ٠ وأقـــول ضاحكـــا ٠ ٠

ـ قهــوة « فلاحين » اكسير الحيــاه ٠

يعود الى فرشاته ويمسكها بحيويه ويمزج على « البالتـــا » عـددا مـن الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقــول :

ـ سوف يا درس ٠٠ عينك فيها سبه كبير من **عنين فـؤاد** ٠٠

ـ وأيــه اللى بيجمع بينهم يا وليـم ٠ ٠

ـ **صـدق الانســـان** ٠

ونسمع أصوات تنــادى على **فؤاد جاسر** ٠ حـان الوقت لسفر المفــرج عنهم ٠ فؤاد لا يتحرك من مكانـــه ويظـل جالسا فى صمت ووليـم يواصـل الرسم بهدوء ، وحوار سريــع يدور بين تعبيرات تجسدهــا اللحظـــة علــى وجه فؤاد ونلتقطهـــا روح الفنان لتضعها ريشتـه فى الصورة ٠

ـ أحسن صورة رسمتها فى حياتــى ٠

وينهض **فؤاد جاسر** من جلسـته ويعانق **وليـم اســحق** ، يقبله والدموع تجرى على خدوده ٠ وأرى فؤاد يبذل جهـــدا خارقــا للتغلب على انفعالاته ، وأقــول ضاحـكا :

ـ خد بالك يا فؤاد الألوان لســه طريـــة ٠ ٠

وبصعوبة شديدة نسحب **فؤاد جاسر** خارج خيمة وليـم اسـحق كـــى يذهب الى خيمته ليرتدى ملابســه « **الملكــى** » ويأخـذ حاجياتــه ، فموكب

المفرج عنهم قد اوشك على التحرك ٠

وعند **باب السجن** يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخوانا لهم **دخلوا** السجن وهم مختلفون معهم فى كل شىء ، وخرجوا منه وقد انفقوا على شىء واحد ولكنه أساسى وجوهرى ، **مساندة الحكم الوطنى بقيادة جمال عبدالناصر** ، من أجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبيبة كل الشرفاء ٠

وخارج **أسوار السجن** ، بالقرب منها ، تشهد صحراء **الواحات الخارجة** ، ما لم تشهده أبدا عبر الأزمان والعصور ٠ **صورة عدد من الاخوان المسلمين يعانقون** فى ود **ومحبة من يختلفون معهم فى الفكر** ، **ويجمعهم حب مصر** ٠

متى تشهد القاهره هذه الصورة ؟ متى ؟ ٠ بل متى **يشهد الوطن العربى كله** هذه الصورة ؟ متى ؟ ٠

وتتحرك العربات تحملهم الى **الحرية** ! وتعود الينا بعد **أيام قليلة كى تحملنا** الى **سجن الحاريق** ! ٠

اكتب اليك رسالتى المقبلة وانا فى الطريق اليه يا حبيبتى ٠

٢ اغسطس ١٩٧٧
القاهرة

تم الجزء الأول

الجزء الثاني ((تحت الطبع))

رقم الايداع ٧٨/٤٥٩٤
الترقيم الدولى ٧ ـ ٥٨ ـ ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »
اول شارع الجيش ـ تليفون ٩٠٨٣١٨
القــاهرة